Ibn Hudhayl al-Andalusī

﴿كتاب﴾

﴿عين الادب والسياسة﴾

﴿وزين الحسب والرياسة لابى﴾

﴿الحسن على بن هذيل﴾

﴿رحمه الله﴾

﴿تعالى﴾

﴿الطبعة الاولى﴾

﴿بالمطبعة الاعلامية بمصر﴾

﴿سنة ١٣٠٢ هجرية﴾



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى وهب لنا العقول والاذهان ومنحنا فصاحة اللسان وألهمنا التبيان وحضنا على التحلى بالحلى الادبية والتخلق بالمكارم العلية ورغبنا فى الاقتداء بالسنن السنية والاهتداء بالاقوال المرضية الزكية المتكفلة بالسعادة الدينية والدنيوية وأرشدنا الى الطريق الاسنى وأمرنا بالاحسان والافعال الحسنى ونهانا عن الاخلاق الدنيئة اللئيمة والافعال الرديئة الذميمة وأنعم علينا بالبلاغة والبيان فقال جل وعلا فى محكم القرآن يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فبالبيان تستخرج الحقائق وتنمق الحكم والرقائق ويتوصل الى معرفة الخالق ويستعان على شرح العلوم ويتفنن فى الكلام المنثور والمنظوم وبمكارم الاخلاق يستدل على فضل الطبع وكرم النجر وطيب الاعراق وبالاستمساك بحبل المروءة والآداب تظهر نتيجة العقل وثمرة الالباب فهدانا سبحانه وما كنا لنهتدى لولا عونه وفضله ووفقنا ولم نكن نتوفق لولا امتنانه وطوله (نحمده) تعالى والحمد من احسانه الجسيم ونشكره والشكر من انعامه العميم (ونصلى) على سيدنا ومولانا محمد النبى الامى الكريم المخصوص فى الانبياء بمزية التفضيل والتقديم المحفوف بالعصمة المؤيد بالحكمة الذى أوتى من البيان الحظ الاوفى والقسم الافضل الاعلى فلا كلام يعدل بكلامه ولا بيان كبيانه فى حكمه البالغة وأحكامه فبذ فى فصاحة اللسان

الناطقين



الناطقين وحاز فى الفضل ومكارم الاخلاق قصب السابقين صلى الله عليه وعلى آله وعلى جميع النبيين والمرسلين كثيرا (وبعد) فان التأليف غير موقوف على زمان والتصنيف ليس بمقصور على أوان لكنها صناعة ربما قصرت فيها سوابق الافهام وسبيل ربما حادت عنها أقدام الاوهام (قال بعض الحكماء) لكل شئ صناعة وصناعة التأليف صناعة العقل (قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) لولا تغيير العلماء ونقلهم آثار الاوائل فى الصحف لبطل أول العلم وضاع آخره ولذلك قيل لا يزال الناس بخير ما بقى الاول حتى يتعلم الآخر (وقال أبو الحسن ابن فارس) صاحب كتاب مجمل اللغة لو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب أدب غزير واضلت افهام ثاقبة ولكلت السنة لسنة ولمجت الاسماع كل مردد ولفظت القلوب كل مرجع

(قال الشاعر)

اذا تحدثت فى قوم لتؤنسهم * من الحديث بما يمضى وما ياتى
فلا تعاود حديثا ان طبعهم * موكل بمعادات المعادات

والذى عليه فى التأليف المدار هو حسن الانتقاء والاختيار مع الترتيب والتبويب والتهذيب والتقريب (قال بعض العلماء) اختيار الكلام أشد من نحت السلام (وقالوا) اختيار المرء وافد عقله ورائد فضله وفضيلة هذا التأليف هى فى جمع ما افترق مما تناسب واتسق واختيار عيون وترتيب فنون من أحاديث نبوية ومكارم أدبية وحكم باهره وأبيات نادرة وامثال شارده واخبار واردة ووصايا نافعة ومواعظ جامعة ومروآت عمرية وسياسات سنية ومعان مستظرفة وحكايات

مستطرفة وجميع ذلك مطرد بكل شعر جزل سهل برىء من الغزل والهزل (قال الشاعر)

للجد ما خلق الانسان فالتمسن * بالجد حقك لا باللهو واللعب

لا خير في الهزل فاتركه بجملته واهرب بعرضك منه غاية الهرب

ما يلبث الهزل ان يجني لصاحبه * ذما ويذهب عنه بهجة الادب

وانما يذم ويكره من الكلام ما كان لغواً غير نافع وهزلا عن منهج الجد مانع (وأما) ما ينتبه به غافل ويعلم به جاهل ويذكر به عاقل فذلك مما يحسن ويجمل ويرجح به عقل سامعه وينبل ويقرب ما بعد مأخذه عليه ويسهل ما صعب تناوله بالتنبيه والاشارة اليه اذ الشكل مضاف الى شكله والجنس الى جنسه ومثله أجعله ان شاء الله مختصرا جامعا وتصنيفا مفيدا نافعا تصغي اليه الافئدة والاسماع ولا تمله القلوب والطباع لان التطويل داع الى الملل وكثيرا ما يقع فيه الخطل والزلل وأقسمه على أربعة أقسام

القسم الاول

في نبذ من الاحاديث والحكم والامثال التي يقوي الشاهد بها ويعظم الاستدلال

القسم الثاني

في السودد والمروءة ومكارم الاخلاق ومدارة الناس والتأدب معهم في حالتي الغنى والاملاق

القسم الثالث

في طرف من الحكايات والآداب الصادرة عن أولي الالباب والاحساب

القسم

القسم الرابع

في جمل من الوصايا والمواعظ الحسان العظيمة الفائدة والمنفعة لكل انسان (وفى كل ذلك) ما يحتاجه المتأدب العاقل ويحظى بمراعاته المبتدئ والمتدرب الفاضل فالناظر فيه يجالس صاحبا الاعلى بمجالسته ويحاضر منه مأمونا غيبا ومشهدا يمتعه بفوائده ومؤانسته وانى أنبه به ولدى وفلذة كبدى لعل الله عز وجل يرشده به ويجذبه الى سبيل الخير بسببه اذ فى جواز الغفلة على البشر ما دعا الى التنبيه والتذكير للفطن والنبيه (قال بعض العلماء) وفى حكم الحكماء وفى كلام الالباء العقلاء من أئمة السلف وصالحى الخلف الذين امتثلوا فى أفعالهم وأقوالهم آداب التنزيل ومعانى سنن الرسول ونوادر العرب وامثالها واجوبتها ومقاطعها ومباديها وفصولها الى ما حووه من حكم العجم وسائر الامم وتقييد اخبارهم وحفظ أمثالهم وأشعارهم التى هى صوب البابهم وثمار آدابهم ما يبعث على امتثال طرقهم واحتذائها واتباع آثارهم واقتفائها (وفى) معرفة الامثال والتمثيل وفهمهما معادن من العلوم وينابيع من الحكم واستكشاف لاسرارهما وبلوغ الى حقائقهما (روى عن الشعبى) انه قال لوان رجلا سافر من أقصى الشام الى أقصى اليمن ليسمع كلمة واحدة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره ما رأيت ان سفره قد ضاع (وقد جمعت) بعون الله عز وجل فى كتابى هذا من الكلام الذى يحصل الانتفاع به أنواعا جمة فى فنون مختلفة وضروب متفرقة ومعان مؤتلفة وحسبنا وكفى ما نقلت فيه من آيات التنزيل وكلام النبى المصطفى (وسميته) بعين الادب والسياسة وزين

الحسب والرياسة والله تعالى الموفق لما فيه له الرضى والنجاة لنا فى الآخرة والاولى وهذا حين ابتدائى بذكر الاقسام وتقييد الكلام بحول الله تعالى وقوته

﴿القسم الاول فى نبذ من الاحاديث والحكم والامثال﴾
التى يقوى الشاهد بها ويعظم الاستدلال

اعلم ان كلام الحكما أكثر من أن يدركه الاحصاء ويستوفيه الاستقصاء لكنى أوردفى هذا القسم من الحكم المأثورة والامثال المشهورة والفقر المنظومة والمنثورة مافيه مقنع وكفاية وان كنت لا ادرك من ذلك غاية ولا أبلغ الى نهاية (قال بعضهم) من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة وان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة والحكمة شجرة تنبت فى القلب وتثمر فى اللسان وهى موقظة للقلوب من سنة الغفلة ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة ومحيية لها من موت الجهالة ومستخرجة لها من ضيق الضلالة وقد اثنى الله سبحانه على الحكمة فقال ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ووصف بها لقمان عليه السلام فقال عز من قائل ولقد آتينا لقمان الحكمة الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب ليس فيه من الحكمة شئ كبيت خراب ولا عامر له وقال عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها قيدها ثم اتبع ضالة أخرى وقال لقمان ان القلب ليحيى بالكلمة من الحكمة كما تحيى الارض بوابل المطر (وقال أبان بن سليم) كلمة حكمة من أخيك خير لك من مال يعطيك لان المال يطغيك والكلمة من الحكمة تهديك (وقال بعض السلف) القلوب تحتاج الى

قوتها كما تحتاج الابدان الى قوتها من الغذاء (وقال بعض الحكماء) الحكمة خلة العقل وميزان العدل ولسان الايمان وعين البيان وروضة الارواح ومزاح الهموم عن النفوس وأنس المستوحش وأمن الخائف ومتجر الرابح وحظ الدنيا والآخرة وسلامة العاجل والآجل (وقال بعضهم) الحكمة نور الابصار وروضة الافكار ومطية الحلم وكفيل النجح وضمين الخير والرشد والداعية الى الصواب والسفير بين العقل والقلوب لاتندرس آثارها ولا تعفو ربوعها ولا يهلك أمرؤ بعد عمله بها (قال أفلاطون) كما ان لهذه الدنيا شمسا يستضاء بها ويعرف بها الليل من النهار والاوقات والاشخاص والاجرام فكذلك للنفس نور تميز به بين الخير والشر وهو الحكمة فان الحكمة أشد ضياء من الشمس وان للنفس صحة وسقما وحياة وموتا فصحتها بالحكمة وسقمها بالجهل وحياتها بان تعرف خالقها وتتقرب اليه بالبر وموتها ان تجهل خالقها وتتباعد منه بالفجور (وقال بقراط) من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما (قال بعض الحكماء) صلاح اسقام النفس أفضل من صلاح اسقام البدن لفضل النفس على البدن لان البدن آلة للنفس والنفس باقية والبدن فان مضمحل ومصلحة الباقي والعناية به وتعديله أفضل من اصلاح الفاني ومع ذلك فان اصلاح أنفسنا أسهل وأخف من مؤونة اصلاح أبداننا لان صلاح النفس انما هو بالحكمة واتباع الآداب العقلية ولزوم العادة الفاضلة المؤدية لمن تمسك بها الى سبيل الفلاح وطرق النجاح لا بدواء مشروب ولا غير ذلك من أصناف العلاجات التي لا تتهيأ الا بالكلفة العظيمة في البدن والمال وانما هي نتائج العقول والاذهان وفوائد التجارب في

مرور العصور والازمان واولاها بالتقديم واحقها بالتكريم والتعظيم ما صدر عن النبي المصطفى الكريم وكذلك ايضا للامثال مواقع فى نفوس الانام ولذلك ضرب الله سبحانه الامثال فى كتابه الكريم (ويرتبط) الكلام فى هذا القسم فى عشرين فصلا من المقال عشرة راجعة الى بعض حروف المعانى المصدرة بها الاداب والامثال وعشرة من الاعداد التى تقوم للمستشهد بها مقام الاحتفال والقصد فى ذلك الاختصار وترك الاكثار ومن الله تعالى نسأل الاعانة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق

﴿فصل ان﴾

فمن الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم

(ان) الحكمة تزيد الشريف شرفا (ان) من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا (ان) للقلوب صدأ كصدا الحديد وجلاؤها الاستغفار (ان) الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف (ان) مكارم الاخلاق من أعمال أهل الجنة (ان) حسن العهد من الايمان (ان) أحساب أهل الدنيا هذا المال (ان) أحسن الحسن الخلق الحسن (ان) أشكر الناس لله أشكرهم للناس (ان) لكل دين خلقا وان خلق هذا الدين الحياء (ان) لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه (ان) الله يحب الرفق فى الامر كله (ان) الله يحب معالى الامور واشرافها ويكره سفسافها (ان) الله لا يرحم من عباده الا الرحماء (ان) الله عند لسان كل قائل (ان) من موجبات المغفرة ادخال السرور على اخيك المؤمن (ان) من اشد الناس عذابا يوم القيامة

القيامة من اتقاه الناس اشره (ان) الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني باقامة الفرائض (ان) الله حي كريم يستحي أن يمد العبد يده اليه فيردها خائبة (ان) لله عبادا يفزع الناس اليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله (ان) من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (ان) لله (ان) لله خزائن للخير والشر مفاتحها الرجال فطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير وويل لمن جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير (ان) التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا ينفعكم الله (ان) الناس لم يعطوا شيأ أفضل من العفو والعافية فسلوهما الله (ان) الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه رحمتي تغلب غضبي (ان) الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم (ان) لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت (ان) الله يحب الملحين في الدعاء (ان) ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها (ان) الصبر يأتي العبد على قدر المصيبة (ان) الله يبغض الخصم الالد (ان) لله عند قوم نعما يقرها عليهم ما كانوا في حوائج الناس فاذا ملوها نقلها من عندهم الى غيرهم (ان) العبد ليبدي من نفسه ما ستره الله حتى يمقته الله (ان) الرجل ليتكلم بالكلمة يرضي بها جلساءه يهوي بها في نار جهنم (ان) من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم (ان) المؤمن اذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت صدقة (ان) الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير

﴿ ومن الحكم المأثورة عن السلف وغيرهم ﴾

(ان) حب الخير فعل وان عجزت عنه المقدرة (ان) الصواب فى الاسد لا الاشد (ان) امرءً ليس بينه وبين آدم أب حى لمعرق فى الموت (ان) فى ذهاب الذاهبين لعبرة للقوم الغابرين (ان) للامور بغتات فكن منها على حذر (ان) ولاية المرء ثوبه فان قصر عنه عرى منه وان طال عليه عثر فيه (ان) من قضاء الحاجة تعجيل اليأس اذا اخطأك قضاؤها (ان) الطلب وان قل أعظم من الحاجة وان كثرت (ان) العدو الشديد الذى لا تقوى له لا ترد بأسه عنك بمثل الخضوع له (ان) قديم الحرمة وحديث التوبة يمحوان ما بينهما من الاساءة (ان) القدرة تصغر الامنية (ان) العلم عوض كل لذة ومغن عن كل شهوة (ان) من السياسة للراعى ان يجز غنمه جزا لا يذهب معه الصوف ولا تضيع له الغنم (ان) لك فى مالك شريكين الحدثان والوارث فان استطعت أن لا تكون اخس الشركاء حظا فافعل (ان) اضعف الرأى ما سنح فى البديهة (ان) أحق ما صبرت عليه ما لم تجد سبيلا الى دفعه (ان) المصيبة اذا نزلت انما هى واحدة فان جزع صاحبها كانت اثنتين (ان) من الدلالة على ان الانسان مصرف مغلوب ومدبر مربوب ان يتبلد رأيه فى بعض الخطوب ويعمى عليه الصواب المطلوب (ان) لكل قوم كابيا فلا تكن كابى أصحابك (ان) الله عز وجل وسع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء ويعلموا ان الدنيا لا ينال ما فيها بعقل ولا حيلة (ان) أشد الناس غما الذى نزل غيره فى المكان الذى هو أحق به منه (ان) لكل فضل زكاة وان زكاة المال الصدقة على الفقير المحتاج وان زكاة القوة المدافعة عن الضعيف المظلوم وان زكاة البلاغة القيام بحجة من قد عجز عن حجته وان زكاة الجاه ان يعاد به على من لا جاه له وان زكاة العلم التعليم لمن

قصر

قصر عمله (ان) أهل البيت اذا كثروا كان فيهم الغرر والعرر (ان) في صلاح مالك بقاء عزك ونقاء عرضك (ان) من علامة المؤمن قوة في دين وحزما في لين وايمانا في يقين وحكما في علم وكيسا في رفق وعطاء في حق وقصدا في غنى وغنى في فاقة واحسانا في قدرة وطاعة في نصيحة وتورعا في رغبة وتعففا في جهد وصبرا في شدة (ان) الرجل ليكون أمينا فاذا رأى الضياع خان (ان) الوعظ الذى لايمجه سمع ولا يعدله نفع ماسكت عنه لسان القول ونطق به لسان الفعل (ان) النفس لامارة بالسوء فاذا جاء العزم من الله كانت هى التى تدعوك الى الخير (ان) الآمال قطعت أعناق الرجال كالسراب غر من رآه وأخلف من رجاه (ان) الركون الى الدنيا مع ما يعاين من الموت جهل وان التقصير فى حسن الاعمال مع معرفة الثواب عليها عجز وان الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حمق (ان) بقاءك الى فناء ونفاذ من بقائك الذى لا يبقى لفنائك الذى لايفنى (ان) الفاسق اذا كان حسن الخلق عاش بخلقه وخف على الناس وأحبوه وان العابد اذا كان سيئ الخلق ثقل على الناس وملوه (ان) المرء لن ينال مايحب حتى يصبر على كثير مما يكره

ومن الشعر فى هذا الفصل قولهم

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتبسط بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

غيره

ان الشدائد قد تغشى الكريم لان
تبين فضل سجاياه وتوضحه
كمبرد القين اذ يعلو الحديد به * وليس مقصده الا ليصلحه

﴿غيره﴾

ان المروءة ما علا * ت الفى القناعة والخمول
تعدو وليس على يدي * لك يد تصول ولا تطول

﴿غيره﴾

ان للدهر صولة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الدهورا
قد ينام الفتى صحيحا فيردى * ولقد بات آمنا مسرورا

﴿غيره﴾

ان الاهلة للشهور خناجر * بشفارها تتقرض الاعمار
فبما يهني بعضنا بعضا بها * ومجيئها بذهابنا انذار

﴿غيره﴾

ان الحوايج ربما أزرى بها * عند الذى تقضى له تطويلها
فاذا ضمنت لصاحب لك حاجة * فاعلم بان تمامها تعجيلها

﴿غيره﴾

ان فى نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد عند السرف
كسراج دهنه قوت له * فاذ غرقته فيه طفى

﴿غيره﴾

ان المعلم والطبيب كلاهما * لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما

﴿غيره﴾

ان من عضت الكلاب عصاه * فى انتجاع الخيام والابواب
ثم أثرى فكيف يمنع شيأ * فاتقوا الله ياذوى الباب

﴿غيره﴾

ان

انفى صحبة الاخاء من النا * س وفى خلة الوفاء لقله
فالبس الناس ما استطعت على النقـ * ـص والالم تستقم لك خله

﴿ غيره ﴾

ان أخاك الصدق من لم يخدعك * وان رآك طالبا سعى معك
ومن يضر نفسه لينفعك * ومن اذا ريب الزمان صرعك
شتت شمل نفسه ليجمعك.

﴿ غيره ﴾

ان الهدية حلوة * كالسحر تجتلب القلوبا
تدنى البعيد من الهوى * حتى تصيره قريبا

﴿ غيره ﴾

ان مع اليوم فاعلمن غدا * فانظر بما ينقضى مجيء غده
ما ارتد طرف امرئ بلذته * الا وشيء يموت من جسده

﴿ غيره ﴾

ان المرايا لا تريـ * ـك خموش وجهك فى صداها
وكذاك نفسك لا تريـ * ـك عيوب نفسك فى هواها

﴿ غيره ﴾

ان الرشاد وان الغى فى قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان
لا تأمنن وان أصبحت فى حرم * ان المنايا بجنبى كل انسان

﴿ غيره ﴾

ان النساء كأشجار نبتن لنا * منها المرار وبعض المر مأكول
ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واجب لا بد مفعول

﴿ غيره ﴾

ان العدو وان ابدى مودته * اذا راى فيك يوما فرصة وثبا

﴿ غيره ﴾

ان المقدم فى حذق بصنعته * انى تقدم فيها فهو محروم

﴿ غيره ﴾

ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

﴿ غيره ﴾

ان الغصون اذا قوّمتها اعتدلت * ولن تلين اذا قوّمتها الخشب

﴿ غيره ﴾

ان المسرة للمساءة موعد * حقا ورهن للعشية او غد

﴿ غيره ﴾

ان الطبيب بطبه ودوائه * لا يستطيع دفاع محذر وراتى

﴿ غيره ﴾

ان الليالى لم تحسن الى احد * الا اساءت اليه بعد احسان

﴿ غيره ﴾

ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شئ من الزهر

﴿ غيره ﴾

ان التباعد لا يضر اذا تقاربت القلوب

﴿ غيره ﴾

ان الكريم ليخفى عنك عسرته * حتى تراه غنيا وهو مجهود

﴿ غيره ﴾

ان الكريم اذا نابته نائبة * الفيته وجميل الصبر فى قرن

﴿ غيره ﴾

ان

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

﴿ غيره ﴾

ان السعيد له من غيره عظة * وفى التجارب تحكيم ومعتبر

﴿ غيره ﴾

ان المقام على الهوان مذلة * والعجز آفة حيلة المحتال

﴿ غيره ﴾

ان من أضعف الضعاف لدى الا * ه قوى يستضعف الضعفاء

﴿ غيره ﴾

ان العبيد اذا أذللتهم صلحوا * على الهوان وان أكرمتهم فسدوا

﴿ غيره ﴾

ان المنيه والفراق لواحد * أوتوأمان تراضعا بلبان

﴿ فصل انما ﴾

فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم (انما) يعرف الفضل لاهل الفضل ذووا الفضل (انما) شفاء العى السؤال (انما) الاعمال بالنيات (انما) الاعمال بالخواتم (انما) بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (انما) اهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم (انما) جعل الامام ليأتم به فلا تختلفوا عليه (انما) أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الاهواء (انما) يرحم الله من عباده الرحماء (انما) يدرك الخير كله بالعقل ولا دين لمن لا عقل له

﴿ ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم ﴾

(انما) لك من مالك ما أمضيته فى حياتك (انما) هو درهمك وسيفك

فازرع بهذا من شكرك واحصد بهذا من كفرك (انما) تأكل ما تشتهى والذى لا تشتهيه يأكلك (انما) يرضى بالدون من رضى بالدنيا (انما) يعز الذهب فى معدنه (انما) الدنيا شرك فانظر اين تضع قدميك منها (انما) المرء لا يولد عالما وانما العلم بالتعلم (انما) الكيس الماهر من استسلم فى قبضة القاهر (انما) الجزع والاشفاق قبل وقوع الامر فاذا وقع بالرضى والتسليم (انما) تطلب الدنيا لتملك فاذا ملكت فلتوهب (انما) يختبر ود الرجل عند الحاجة (انما) أباد القرون انقطاع الحركات والسكون (انما) السلطان سوق فما نفق عنده حمل اليه (انما) الناس رجلان شامت بنكبة أو حاسد لنعمة (انما) الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليها ومطية تحسن وتقبح بممتطيها (انما) سمى الصديق صديقا لصدقه فيما يدعيه لك وانما سمى العدو عدوا لعدوه عليك اذا ظفر بك (انما) يستحق اسم الانسانية من حسن خلقه (انما) يحبك من لا يتملق لك ويثنى عليك من لا يسمعك (انما) يختبر ذو البأس عند اللقاء وانما يختبر ذو الامانة عند الاخذ والعطاء وانما يختبر الاهل عند الفاقة وانما يختبر الاخوان عند النوائب

﴿ومن الشعر فى هذا الفصل قولهم﴾

انما دنياك ساعه * فاجعل الساعة طاعه

واحذر التقصير فيها * واجتهد مقدار ساعه

واذا أحببت عزا * فالتمس عز القناعه

﴿آخر﴾

انما الدنيا هبات * وعوار مسترده

شدة

شدة بعد رخاء * ورخاء بعد شده

﴿آخر﴾

انما هذه الحياة متاع * فالظلوم الجهول من يصطفيها
مامضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى أنت فيها

﴿آخر﴾

انما نعمة دنيا متعة * وحياة المرء ثوب مستعار
وصروف الدهر فى اطباقه * خلقة فيها ارتفاع وانحدار
بينما الناس على عليائها * اذهووا فى هوة منها فغاروا

﴿آخر﴾

انما للناس منا * حسن خلق ومزاح
ولنا ما كان فينا * من فساد وصلاح

﴿آخر﴾

انما تعرف الصديق اذا ما * جئته من خلاف ما يشتهيه

﴿آخر﴾

انما الجود ان تجود على من * هو للجود منك والبذل أهل

﴿فصل ان﴾

﴿فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم﴾

(ان) أمر عليكم عبد حبشى مجزع فاسمعوا وأطيعوا ما قادكم بكتاب الله (ان) دعيتم الى كراع فاجيبوا (ان) يكن شئ مما تعالجون به شفاء ففى شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة من نار تصيب ألما (ان) أحببتم الله ورسوله فاصدقوا اذا حدثتم وأدوا الامانة اذا ائتمنتم وأحسنوا جوار نعم

الله ومن جاوركم

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم

(ان) عجزما لك عن المساكين أو دواؤك عن المريض أو حيلتك عن استخراج المسجون فلا تعجزنهم رحمتك وعيادتك (ان) قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر (ان) شئت ان تعلم كيف صاحبك لك فانظر كيف كان لغيرك (ان) سفه عليك فاحلم (ان) قارضت الناس قارضوك وان تركتهم لم يتركوك (ان) شوورت فانصح وان عدى عليك فاصفح (ان) أردت ان تصل الى ذروة المجد فعليك بحفظ العهد (ان) سكت الجاهل يكن عالما (ان) لم تمت لم تفت (ان) كان فى الكلام بلاغة فان فى الصمت عافية (ان) لم يساعدنا القضاء ساعدناه (ان) يكن الشغل محمدة فان الفراغ مفسدة (ان) لم تصلح على تقدير الله عز وجل لم تصلح على تقديرك لنفسك (ان) أحمدت ان تطاع فلا تحمل ما لا يستطاع (ان) شئت ان تكون غنيا وتعيش هنيا مرضيا فاقتن العلم

﴿ ومن الشعر فى هذا الفصل قولهم ﴾

ان شئت ان تفوز بمطلوب الكرام غدا * فاسلك من العمل المرضى منهاجا
واغلب هوى النفس لا يغررك خادعه * فكل شئ يحط النفس مهاجا

﴿ غيره ﴾

ان خانك الدهر فكن عائذا * بالبيد والظلماء والعيس
ولا تكن عبد المنى انه * رؤس أموال المفاليس

﴿ غيره ﴾

ان

ان يحسدونى فانى لا ألومهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى ومابهم * ومات أكثرنا غما بما يجد

﴿ غيره ﴾

ان تأدبت يابنى صغيرا * كنت يوما تعد فى الكبراء
واذا ما أضعت نفسك الفيـ * ت كبيرا فى زمرة الغوغاء
ليس عطف القضيب ان كان رطبا * واذا كان يابسا بسواء

﴿ غيره ﴾

ان كنت متخذا خليلا * فتنق وانتقد الخليلا
من لم يكن لك منصفا * فى الود فابغ به بديلا
وعليك نفسك فارعها * واكسب لها خلقا جميلا

﴿ غيره ﴾

ان كان مقصدك الكمال فلا تكن * أبدا بما تلتذه متهوما
وانصب لاحصاء العلوم ورعيها * تنل السعادة والمفاز الاعظما
فابوك آدم قبل آثر شهوة * فاذا بها قد جرعته العلقما

﴿ غيره ﴾

ان كان لا يغنيك ما يكفيكا * فكل ما فى الارض لا يغنيكا

﴿ غيره ﴾

ان شئت أن يسود ظنك كله * فأجله فى هذا السواد الاعظم

﴿ غيره ﴾

ان أردتم حوائجا من أناس * فتقفوا لها الوجوه الصباحا

﴿ غيره ﴾

ان تحلى الفتى بما ليس فيه * فضح الامتحان ما يدعيه

﴿فصل ما﴾

﴿فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم﴾

(ما) نزعت الرحمة الا من شقى (ما) رزق العبد رزقا أوسع عليه من الصبر (ما) نقص مال من صدقة (ما) عفا الرجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا (ما) هلك امرؤ عرف قدره (ما) نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن (ما) كان الرفق فى شئ قط الا زانه وما كان الخرق فى شئ قط الا شانه (ما) زان الله عبدا بزينة أفضل من عفاف فى دينه وفرجه (ما) عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت مؤنة الناس عليه (ما) من عبد الا وله صيت فى السماء فاذا كان صيته فى السماء حسنا وضع له فى الارض واذا كان صيته فى السماء سيئا وضع له فى الارض (ما) من عبد يسلك طريقا يلتمس به العلم الا سهل الله له طريقا الى الجنة (ما) من مسلم ينصر مسلما الا نصره الله وما من مسلم يخذل مسلما الا خذله الله (ما) من مسلم اطلع على عورة فسترها الا كان حقا على الله أن يدخله فى ستره (ما) من زينة تزين العباد بها أفضل من العقل (ما) وقى المرء به عرضه فهو صدقة (ما) أنكرتم من زمانكم فيما غيرتم من أعمالكم فان يك خيرا فآها آها وان يك شرا فواها واها (ما) أهدى المرء المسلم لأخيه المسلم هدية أفضل من حكمة يزيده بها هدى أو يرده بها عن ردى (ما) انتقصت جارحة انسان الا كانت زيادة فى عقله (ما) المبتلى وان اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء

﴿ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم﴾

(ما)

(ما) ودك من أهمل ودك ولا أحبك من أبغض حبك (ما) عصى الله كريم ولا آثر الدنيا على الآخرة حكيم (ما) ذب عن الأعراض كالصفح والاعراض (ما) يظهر الود المستقيم الا من القلب السليم (ما) الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة (ما) استنبط الصواب بمثل المشاورة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر (ما) يزيد من يزيد في أمره الا النقص يجده في نفسه (ما) أقرب النقمة من أهل البغي (ما) كنت كاتمه عدوك فلا تطلع عليه صديقك (ما) رأيت تبذيرا قط الا والى جنبه حق مضيع (ما) أنصفك من كلفك اجلاله ومنعك ماله (ما) أبين وجوه الخير والشر في مرآة العقل اذا لم يصدها الهوى (ما) الدخان على النار ولا العجاج على الريح بأدل من ظاهر الانسان على باطنه (ما) أطال عبد الامل الا أساء العمل (ما) أعطى رجل من الدنيا شيأ الا قيل له خذه ومثله من الحرص (ما) مات من أحيا علما ولا افتقر من ملك فهما (ما) عفا عن الذنب من يقرع به (ما) أكثر من يعرف الحق فلا يطيعه (ما) أكثر الدفاتر والعمل بها فاتر (ما) ظفر من ظفر به الاثم (ما) أحب أحد الرياسة الا حسد وبغى وطغى وتتبع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير (ما) أقبح التكبر عند الاستغناء وما أقبح الخضوع عند الحاجة (ما) من شيء الا وهو يحتاج الى فضوله يوما ما الا فضول الكلام (ما) لا ينبغي ان تفعله احذر أن يخطر ببالك (ما) تواضع في ولايته الا من كبر عنها ولا تكبر فيها الا من كبرت عنه (ما) فجر غيور قط (ما) بقي للشيخ من مناسك الحج الا الوداع (ما) أسهل الموت عمن أيقن بما بعده وأصعبه على من شك فيما بعده

﴿ ومن الشعر فى هذا الفصل قولهم ﴾

ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له * ولن ترى قانعا من عاش مفتقرا
والعرف من يأته يحمد عواقبه * ما ضاع عرف وان أوليته حجرا

﴿ آخر ﴾

ما كنت أوفى شبابى كنه عزته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
ما كان أقصر أيام الشباب وما * أبقى حلاوة ذكراه التى يدع
ما واجه الشيب من عين وان رمقت * الا لها نبوة عنه ومرتدع

﴿ آخر ﴾

ما هذه الدنيا لطالبها * الا بلاء وهو لا يدرى
ان أقبلت فسدت أمانته * أو أدبرت شغلته بالفكر

﴿ آخر ﴾

ما من رأى أدبا ولم يعمل به * ويكف عن بعض الهوى باديب
حتى يكون بما تعلم عاملا * من صالح فيموت غير معيب
ولقلما تغنى اصابة واعظ * وفعاله افعال غير مصيب

﴿ آخر ﴾

ما يلتقى العالم الا الذى * يخبره العالم فى الملتقى
ذاك الذى يفضح اسرارهم * فيظهر الفاجر والمتقى

﴿ آخر ﴾

ما أرسل الاقوام فى حاجة * أمضى ولا أنفع من درهم
يأتيك عفوا بالذى تشتهى * نعم رسول الرجل المسلم

﴿ آخر ﴾

ما

ماأحسن الدنيا واقبالها * اذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها * عرض للادبار اقبالها

(آخر)

ما الناس الامع الدنيا وصاحبها * وكيفما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

(آخر)

ماضاق بالمرء أمر واستعد له * عبادة الله الا جاءه الفرج
ولا أناخ بباب الله ذو ألم * الا تزحزح عنه الهم والحرج

(آخر)

ماأحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

(آخر)

ماأنعم العيش لو أن الفتى حجر * تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

(آخر)

ماأقتل الحرص فى الدنيا لصاحبه * وأسمج الكبر ممن صيغ من طين

(آخر)

مايحرز المرء من أطرافه طرفا * الا تخوفه النقصان من طرف

(آخر)

ما كدت أفحص عن أخى ثقة * الا ذممت عواقب الفحص

(آخر)

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى * الرياح بما لا تشتهى السفن

(آخر)

ما فى زمانك ما يعز وجوده * ان رمته الا صديق مخلص

﴿آخر﴾

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد

﴿آخر﴾

ما بين طرفة عين وانتباهتها * يقلب الامر من حال الى حال

﴿آخر﴾

ما الذل الا تحمل المنن * فكن عزيزا ان شئت أو فهن

﴿آخر﴾

ما استقامت قناة رأيي الا * بعد ان عوج المشيب قناتى

﴿آخر﴾

ما للطبيب يموت بالداء الذى * قد كان يشفى مثله فيما مضى

﴿آخر﴾

ما المرء الا كعير السوء يضربه * سوط الزمان فلا يجرى على السنن

﴿آخر﴾

ما عوض الصبر امرؤ الا رأى * ما فاته دون الذى قد عوضا

﴿فصل لا﴾

﴿من الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم﴾

(لا) يرد القضاء الا الدعاء (لا) يزيد فى العمر الا البر (لا) حليم الا ذو تجربة (لا) فقر أشد من الجهل ولا مال أعون من العقل ولا وحدة أوحش من العجب ولا مظاهرة أوثق من المشاورة (لا) عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ولا ورع كالكف ولا عبادة كالتفكر

ولا

ولا ايمان كالحياء والصبر (لا) ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له
لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار (لا) يغني حذر عن قدر (لا)
لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه (لا) تصلح الصنيعة الا عند ذي حسب أو دين
كما لا تصلح الرياضة الا في النجيب (لا) يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره
بوائقه (لا) يحل لمسلم أن يروع مسلما (لا) تحقرن من المعروف شيأ
(لا) تواعد أخاك معروفا فتخلفه (لا) خير في صحبة من لا يرى لك مثل
الذي ترى له (لا) أحد أحب اليه المدح من الله ومن أجل ذلك بعث
الرسل (لا) أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما
بطن (لا) يوسع في المجالس الا لذي علم ولذي سلطان (لا) جزاء للنعمة
مثل الشكر (لا) تنظروا الى من هو فوقكم وانظروا الى من دونكم فانه
أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم (لا) يقبل دعاء من قلب لاه أو غافل
(لا) يكثر همك فانه ما يقدر يكون وما ترزق يأتيك (لا) ينبغي للعاقل
ان يشغل نفسه بما ذهب عنه ولكن بحفظ ما بقي له (لا) ترج
السلامة لنفسك حتى يسلم الناس منك (لا) طاعة لمخلوق في معصية
الخالق (لا) يستقبل العبد يوما من عمره الا بفراق آخر من أجله (لا)
تبتذل عرضك فتشتم (لا) تظنوا بمؤمن سوأ (لا) تعصوا العاقل
فتندموا (لا) يجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن الا اعطاه الله
ما رجا وآمنه مما يخاف

﴿ ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم ﴾

(لا) يوجد العجول محمودا ولا الغضوب مسرورا ولا الحر حريصا ولا
الكريم حسودا ولا الشره غنيا ولا الملول ذا اخوان (لا) يفسدك

الظن عن صديق قد اصلحك اليقين له (لا) تحقرن شيأ من الخير وان
كان صغيرا فانك اذا رأيته سرك مكانه ولا تحقرن شيأ من الشر وان كان
صغيرا فانك اذا رأيته ساءك مكانه لا تجهدن فيما لا ادرك فيه تريح التعب
ولا تدخرن المال لمعل عرسك ولا تظهرن انكار ما لا عدة معك لدفعه
ولا تاهينك قدرة عن كيد وحيلة ولا تتهاون بالامر الصغير اذا كان يقبل
النمو ولا تلاح رجلا غضبانا فانك تعاقبه باللجاج ولا ترده الى الصواب
ولا تفرح بسقطة غيرك فانك لا تدرى ما يحدث الزمان بك (لا) تضيعن
حق أخيك ادلالا منك عليه فتبقى بلا أخ (لا) يغابن جهل غيرك بك
علمك بنفسك (لا) تطمع فى كل ما تسمع (لا) تطلب سرعة
العمل واطلب تجويده فان الناس لا يسألون فى كم فرغ منه وانما
يسألون عن جودة صنعته (لا) تطلبن الحاجة الى كذوب فانه يقربها
وان كانت بعيدة ويبعدها وان كانت قريبة ولا الى أحمق فانه يريد
نفعك فيضرك ولا الى من له الى صاحب الحاجة حاجة فانه يجعل حاجتك
وقاية لحاجته (لا) تمازحوا فيستخف بكم ولا تدخلوا الاسواق فتدق
اخلاقكم ولا تترجلوا فى العشا كرفيزريكم اكفاؤكم (لا) تستنصح
موتورا وان استنصحته ولا تبارز محرجا وان كنت أبعد منه ولا تشاور
معدما وان وثقت بجودته ولا تلابس ضنينا وان كنت ضده (لا) فائدة
أشرف من التوفيق ولا ميراث أنفع من الادب ولا شيمة أكرم من حسن
العبادة (لا) تعمل شيأ من الخير رياء ولا تتركه حياء (لا) تعد
الشحيح امينا فانه لا عفة مع الشح ولا تعد الكذاب حرا فانه لا مروءة مع
الكذب (لا) تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف منعه

ولا

ولا تعدبما لاتقدر على انجازه (لا) تبلمن العيوب ماستره علام الغيوب (لا) تبرم امرا حتى تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيأته (لا) تلومن من اساء بك الظن اذا جعلت نفسك هدفا للتهمه (لا) تشكع خاطب سرك (لا) تسرع الى أورع موضع فى المجلس فالموضع الذى ترفع اليه خير من الموضع الذى تحط عنه (لا) تذكر الميت بسوء فتكون الارض اكتم عليه منك (لا) حسرة أعظم من نعمة أسديت الى غير ذى حسب ولا مروءة (لا) تصطنع من خانه الاصل ولا تصحب من فاته العقل لان من لا أصل له يغش من حيث ينصح ومن لا عقل له يفسد من حيث يصلح (لا) تبت على غير وصية وان كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة فان الدهر خائن وكل ماهو كائن لا تترك الامر مقبلا وتطلبه مدبرا فان ذلك من ضعف العقل وقلة الرأى (لا) تمكن الناس من نفسك بطول المجالسة فان اجرأ الناس على السباع أكثرهم لها معاينة (لا) يمنعك من فعل الحسنة من يزدريها (لا) تنال الراحة الا بالتعب ولا تدرك الا بالنصب (لا) تؤخر عمل يومك لغدك (لا) يدرك الشباب بالخضاب ولا الغنى بالمنى ولا العلم بالادعاء (لا) تلومن أحدا على مايهوى فان لومك له أغراء (لا) يقوم عز الغضب بذل الاعتذار (لا) جود مع تبذير ولا بخل مع اقتصاد (لا) تخرج الغيبة الا من نفس معيبة (لا) تتكلف ما كفيت فتضيع ماوليت (لا) تعمل عملا لا ينفعك (لا) كنز انفع من العلم (لا) مال أربح من الحلم ولا كسب أزين من الادب ولا قرين اشين من البخل ولا عقل أحسن من التفكر ولا حسنة أعلا من الصبر ولا رده أليق من الرفق ولا رسول أعدل

من الحق ولا خليل أنصح من الصدق ولا غنى أشفى من الجوع ولا ذليل أذل من الفقر ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهادة خير من القنوع ولا حياة أطيب من الصحة ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت (لا) تشاتم رجلا ولا تردسائلا فان هو كريم تستدخلته أو لئيم تشتري عرضك منه (لا) تقطع أخاك على ارتياب ولا تهجره دون استعتاب (لا) يعد الغنم غنما اذا ساق غرما ولا الغرم غرما اذا ساق غنما (لا) تحقرن الرأى الجليل وان أتاك به الرجل الحقير فان اللؤلؤة الفائقة لا يستهان بها لهوان من أخرجها (لا) خير في لذة تعقب ندما (لا) يحملنك الخروج من أمر تخلصت منه على الدخول في أمر لعلك لا تخلص منه (لا) تكن ممن يلعن ابليس في العلانية ويطيعه في السر

(ومن الشعر في هذا الفصل قولهم)

(لا) ييأس المرء ان ينجيه الله * ناس اذا جاء بغتة عطبه
يسرك الشئ قد يسوء وكم * نوه يوما بخامل لقبه

(آخر)

(لا) تحقر المرء ان رأيت به * دمامة أورثاثة الحلل
فالنحل لاشك في ضؤلته * يشتار منه الفتي جنى العسل

(آخر)

(لا) تمدحن امرءً حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب
فرب خدن وان أبدى بشاشته * يضحى على خدنه أعدى من الذيب

(آخر)

(لا) تتبع النفس كل فائتة * في الله من كل فائت عوض
واعمل

واعمل لاخراك غير منخدع * فان دنياك هذه عرض
ان صح أمر من الامور بها * لابد أن يصيبه مرض

(آخر)

(لا) تكره المكروه عند حلوله * ان العواقب لم تزل متباينه
كم من يد لا يستقل بشكرها * لله فى طى المكاره كامنه

(آخر)

(لا) تذهبن فى الامور فرطا * لا تسألن ان سألت شططا
وكن من الناس جميعا وسطا

(آخر)

(لا) تحقرن امرأ ان كان ذا ضعة * كم من وضيع من الاقوام قد رأسا
فرب قوم حقرناهم فلم نرهم * أهلا لخدمتنا صاروا الناس رؤسا

(آخر)

(لا) بد للعسر من يسر يعقبه * فخاب سعى ضعيف ضاق مذهبه
هون عليك وكن للخير مرتقبا * فابعد الامران فكرت أقربه
ليس الحريص على رزق بطالبه * كمن تيقن ان الرزق يطلبه

(آخر)

(لا) تغبطن عامل السلطان فى * ولاية قد آذنت بحتفه
تراه يحكى دهره سفينة * فى البحر لا أمن لها من خوفه
ان أدخلت من مائه فى جوفها * ادخلها وماءها فى جوفه

(آخر)

(لا) شئ أسرع من مر الزمان فلا * يغررك منه بتأميل البقاء خدع

اذا نظرت انصرام الدهر مثل لى * ان السنين شهور والشهور جمع

﴿آخر﴾

(لا) يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

﴿آخر﴾

(لا) تعرفن أحدا افلست بواجده * ابدا أضر عليك ممن تعرف
اما نظيرك فهو حاسد نعمة * أودون ذلك فذو سؤال يلحف
أوفوق ذلك حال دون لقائه * بواب سوء واليفاع المشرف

﴿آخر﴾

(لا) تصحب الكسلان فى حاجاته * كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد الى الجليد سريعة * كالنار توضع فى الرماد فتخمد

﴿آخر﴾

(لا) تدخلنك ضجرة من سائل * فلخير دهرك ان ترى مسؤلا
لا تجبهن بالرد وجه مؤمل * فبقاء عزك ان ترى مأمولا
يلقى الكريم فيستدل ببشره * ويرى العبوس على اللئيم دليلا
واعلم بانك لا محالة صائر * خبرا فكن خبرا يروق جميلا

﴿آخر﴾

(لا) تلم المرء على فعله * وأنت منسوب الى مثله
من ذم شيأ وأتى مثله * فانما يزرى على عقله

﴿آخر﴾

(لا) تضرعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك فى الدين
واسترزق الله مما فى خزائنه * فانما الامر بين الكاف والنون

(انجو)

﴿آخر﴾

(لا) تعجبن لاحق * نال الغنى من غير كده
ولعل ما يستقل فكلهم يسعى بجده

﴿آخر﴾

(لا) تأمن الدهر الخؤن وخف بوادر آفته
فالموت سهم مرسل * والعمر قدر مسافته

﴿آخر﴾

(لا) ترسلن مقالة مشهورة * لا تستطيع اذا مضت ادراكها
لا تبدين نميمة انبئتها * وتحرزن من الذى أنبا كها

﴿آخر﴾

(لا) تجالسن بباب من * يأبى عليك دخول داره
وتقول حاجاتى اليه * يعوقها ان لم اداره
واتركه واقصد ربها * تقضى ورب الدار كاره

﴿آخر﴾

(لا) تمزحن فان مزحت فلا يكن * مزحا تضاف به الى سوء الادب
واحذر ممازحة تعود عداوة * ان المزاح على مقدمة الغضب

﴿آخر﴾

(لا) تغترب عن وطن * واذكر تصاريف الجوى
أما ترى الغصن اذا * مافارق الاصل ذوى

﴿آخر﴾

(لا) تشاور من ليس يصفيك ودا * انه غير سالك بك قصدا

واستشر في الامور كل لبيب * ليس يألوك في النصيحة جهدا

﴿آخر﴾

لاتخف بؤسا ولا حرجا * وانتظر من سيد فرجا
وادعه ثم ارج رحمته * لم يخف عبد دعا فرجا

﴿آخر﴾

لاتقنطن فان الله ذو كرم * وما عليك اذا تلقاه من بأس
الا اثنتين فلا تقربهما أبدا * الشرك بالله والاضرار بالناس

﴿آخر﴾

لاتيأسن وان تصعبت المنى * فالصعب قد يرتاض بعد نفار
قد تصغر الاشياء وهي كبيرة * وتهون وهي عظيمة المقدار

﴿آخر﴾

لاتحسب الناس سواء متى * قد اشتهوا فالناس أطوار
وانظر الى الاحجار في ضمنها * ماء وبعض ضمنه نسار

﴿آخر﴾

لاتغضبن على امرئ * أصبحت محتاجا اليه
واغضب على الطمع الذى * أرجاك تبغي ما لديه

﴿آخر﴾

لاتسأل المرء عن خلائقه * في وجهه شاهد من الخبر

﴿آخر﴾

لايبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

﴿آخر﴾

لا

لا تجد بالعطاء فى غير حق * ليس فى منع غير ذى الحق بخل

(آخر)

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالى

(آخر)

لا تعدن للزمان صديقا * وأعد الزمان للاصدقاء

(آخر)

لا ترج شيأ خالصا لك نفعه * فالغيث لا يخلو من العبث

(آخر)

لا يملأ الامر صدرى قبل موقعه * ولا يضيق به ذرعى اذا وقعا

(آخر)

لا أركب الامر تردينى عواقبه * ولا يعاب به عرضى ولا دينى

(آخر)

لا عذر للشجر الذى طابت له * اعراقه الا بطيب جناه

(آخر)

لا تطلبن معيشة بمذلة * فليأتينك رزقك المقدور

(آخر)

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(آخر)

لا يشبع النفس شئ حين تحرزه * ولا يزال لها فى غيره وطر

(آخر)

لا أسأل الناس عما فى ضمائرهم * ما فى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

﴿ آخر ﴾

لا تصحبن رفيقاً لست تأمنه * بئس الرفيق رفيق غير مأمون

﴿ آخر ﴾

لا تجزعن على ما فات مطلبه * فاست عمرك للماضي بمرتجع

﴿ آخر ﴾

لا تنطقن بما كرهت فربما * نطق اللسان بحادث فيكون

﴿ آخر ﴾

لا تترك الحزم في شيء تحاذره * فان سلمت فما في الحزم من باس

﴿ فصل اياك ﴾

﴿ فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

(اياك) وما يعتذر منه (اياك) ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا (اياك) ومشارة الناس فانها تظهر العرة وتدفن الغرة (اياك) واللجاجة فانها ندامة (اياك) والمجادلة فانها تحط الاعمال (اياك) والمعصية فانها من سخط الله (اياك) والمزاح فانه يذهب بهاء الوجه (اياك) والحرص فانه أخرج آدم من الجنة (اياك) والمراء فانه لا تعقل حكمته ولا تؤمن فتنته (اياك) ان تطيع آثما (اياك) ان تعق أباك (اياك) والكلام فيما لا يعنيك (اياك) والطمع فانه فقر (اياك) وكثرة الضحك فانه يميت القلب

﴿ ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم ﴾

(اياك) والدالة فانها تفسد الحرمة (اياك) وشرب الدواء ما احتملت الصحة (اياك) والجزع عند المصائب فانه مجلبة للهم وسوء ظن بالرب وشماتة

وشماتة العدو (اياك) والبخل فان البخيل خازن لاعدائه (اياك) والسلامة فى طلب الامور رفقة تذهب الرجال خلف أعقابها (اياك) والعجز فانه أوطى مركب (اياك) والشفيع المهين فانه أضعف وسيلة (اياك) والانفاق مع الاخفاق (اياك) ونسيان الحدثان مع أمان الزمان (اياك) واخلاف العدة مع اسعاف الجدة (اياك) وسوف مع الخوف (اياك) والاسترسال مع الاسفال (اياك) والطعام مع الطغام (اياك) والاغفال مع الاغفال (اياك) والسكنى مع ذوى الشحناء فخيرك فيهم يطوى وشرك يروى (اياك) والاخوان الخوان الطاغين عليك الضاحكين اليك الحافظى هفواتك أيام مصادقتك عدة لايام مفارقتك (اياك) والمسئلة فانها آخر كسب الرجل (اياك) والغضب فانه يضطرك الى سوء الاعتذار (اياك) ومخاصمة الاعوج المحجوج (اياك) ومعاداة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم (اياك) وخدمة من شبع من الرياسة ومل من السياسة فانه يرى كبير ما تصنعه فى حقه صغيرا وصغير ما يصنعه فى حقك كبيرا (اياك) والتسويف فانك بيومك ولست بغدك فان كان غد لك فكس فيه وان لم يكن لك لم تندم على ما فرطت فيه (اياك) والرأى الفطير (اياك) والمقام ببلد ليس فيه نهر جار ولا سوق جامعة ولا سلطان عادل (اياك) وعلم النجوم فانه يدعو الى الكهانة (اياك) والكبر وليكن مما تستعين به على تركه علمك بالذى كنت منه والذى تصير اليه (اياك) واخوان السوء فانهم يخونون من رافقهم ويحزنون من صادقهم (اياك) والعجلة فان العرب كانت تكنيها أم الندامة (اياك) ومفارقة الاعتدال

فان المسرف مقصر (اياك) والنمائم فانها تزرع الضغائن وتورث المحائن (اياك) ومشاورة شاب معجب برأيه أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه (اياك) وما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره (اياك) وكل جليس لا يفيدك علما ولا تصيب منه خيرا (اياك) ان تكون ممن يقول بالعقل و يعمل بالهوى (اياك) وصاحب السوء فانه يحسن منظره ويقبح مخبره

(ومن الشعر فى هذا الفصل قولهم)

(اياك) من زلل اللسان فانما * عقل الفتى فى لفظه المسموع
والمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

(آخر)

(اياك) والنخوة فى ملبس * والبس من الاثواب اسمالها
تواضع الانسان فى نفسه * أشرف للنفس واسمى لها

(آخر)

(اياك) ان تحقر الرجال فما * يدريك ماذا تكنه الصدف
نفس الكريم الجواد باقية * يوما وان كان مسه العجف
والحر حر وان ألم به الضر ففيه العفاف والانف

(آخر)

(اياك) والدنيا الدنية انها * دار متى سالمتها لم تسلم
وتجنب الظلم الذى هلكت به * أمم تودلو انها لم تظلم

(آخر)

(اياك) ان تعظ الرجال وقد * أصبحت محتاجا الى الوعظ

(فصل

﴿ فصل اذا ﴾

﴿ فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

(اذا) أتاكم كريم قوم فأكرموه (اذا) أحب أحدكم أخاه فليعلمه (اذا) تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتي كما ينتقي أحدكم الرطب من الطبق اذا أعطى الله أحدكم خيرا فليبدأ بنفسه وأهل بيته (اذا) أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ قضاؤه وقدره (اذا) أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة (اذا) اشتكى المؤمن أخلصه ذلك من الذنوب كما يخلص الكير الخبث من الحديد (اذا) أردت أمرا فتدبر عاقبته (اذا) خفت الله خوف الله منك كل شئ واذا لم تخف الله خوفك الله من كل شئ (اذا) أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين (اذا) أراد الله بعبد خيرا ألهمه رشده (اذا) أراد الله بعبد خيرا عسله وهو ان يذكر بذكر جميل (اذا) يسر أحدكم على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة (اذا) استنصحك أخوك فانصح له (اذا) شردك الهوى عن طاعة الله فاكرهه بذكر الموت (اذا) تمنى أحدكم فلينظر ما تمنى فانه لا يدري ما كتب له من أمنيته (اذا) جاءكم الزائر فأكرموه (اذا) أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه (اذا) تأنيت أصبت أو كدت تصيب واذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطئ (اذا) تضايقت المجالس فبين كل كريمين مجلس (اذا) أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الماء

﴿ ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم ﴾

(اذا) عثر عاثر فاحمد الله ان لا تكونه (اذا) أردت ان تفتضح فرمن

لايمتثل أمرك (اذا) لم تقدر ان تعض يد عدوك فقبلها (اذا) طلبت حاجة الى ذى سلطان فأجمل فى الطلب اليه (اذا) أحدث العدو صداقة لعلة ألجأته اليك فمع ذهاب العلة رجوع العداوة (اذا) كانت مغالبة الغدر مستحيلة فمن أعوان نفوذه الحيلة (اذا) هدأ غضبك فتكلم (اذا) أصابتك مصيبة فاعلم انه قد يكون أجل منها فلتهون عليك مصيبتك (اذا) كان الرأى عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه ضاعت الامور (اذا) تغافل أهل التفضل هلك أهل التحمل (اذا) عدم الانسان العقل والتوفيق لم يصلح له شئ من أمره (اذا) استدناك السلطان فلا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا يجربن عليك كذبا (اذا) أرسلت الهدية أتتك الحاجة مقضية (اذا) ظلمك أحد فارض بالله منصفا فانه أشد انتصارا للظالم منك (اذا) أحببت فلا تفرط واذا أبغضت فلا تشطط (اذا) أردت ان تعلم خطأ معلمك فجالس غيره (اذا) أردت ان تعلم قدر نعمة الله عليك فغمض عينيك (اذا) انقطع رجاؤك من صديقك فألحقه بعدوك (اذا) أقبلت الدنيا على الانسان أعطته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه (اذا) أردت أن يصلح لك يومك فافتحه بصدقة واختمه بمعارفة (اذا) أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبنك ذلك فان زوال الكرامة بزواله (اذا) استقمت فى جميع أمرك فلا تبال بمقال غيرك (اذا) أغب الزيارة الانسان أمن الملال من الاخوان (اذا) ارتجت المطالب فالصبر يفض غالقها ويرض خالقها ويراوض خالقها (اذا) عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها سريعا (اذا)

(اذا) احتاج اللئيم تخاضع واذا استغنى تجبر وتكبر (اذا) رمت اذاية غيرك فتصور اذايته لك (اذا) ظلمت من دونك فلا تأمن عقاب من فوقك (اذا) ألم الالم فالمعاجلة بالمعالجة (اذا) أتاك الخصم وقد فقئت عينه فلا تحكم له حتى يأتي خصمه فلعله قد فقئت عيناه جميعا (اذا) أردت أن تعلم ما للعبد عند ربه فانظر الى ما يتبعه من حسن الثناء (اذا) أراد الله أن يذل عبده جعل الدين قلادة في عنقه (اذا) اتخذ الوزير بغير الرأى الجزل ومال الى الهزل فقد تعرض للعزل (اذا) وليت سلطانا فابعد عنك الاشرار فان جميع عيوبهم منسوبة اليك (اذا) أكثرت العتاب كرت العذاب (اذا) التبست عليك المصادر ففوض الامر الى القادر (اذا) ازدحم الجواب عمى الصواب (اذا) أردت أن تعلم ما يغلب على الانسان من قوى الخير والشر فاستشره يدلك رأيه عليه أصح دلالة (اذا) احتجت الى المشاورة فشاور ذوى الحنكة والتجربة من ذوى طبقتك وصناعتك (اذا) أمكنت عدوك من أذنك فقد تعرضت للغرق في بحره (اذا) أسأت فاندم (اذا) أدبر الامر كان العطب في الحيلة (اذا) ابتلى المرء أتاه الشر يطلبه من كل ناحية (اذا) استطالت أيدى العمال يحيق الاختلال ببيوت المال والاموال (اذا) اضطررت الى الكذاب فلا تصدقه ولا تعلمه بانك تكذبه فينتقل عن وده ولا ينتقل عن طبعه (اذا) اجتمع للرئيس الجد والجد والجود فناهيك به (اذا) تحكم سلطان الهوى هدم أركان القوى (اذا) وافق هواك رشادك فقد أحرزت معادك (اذا) تغير السلطان تغير الزمان (اذا) تم العقل نقص الكلام (اذا) تزايد الانسان فضلا في نفسه

انتقم من عدوه (اذا) تواترت على المرء العلل ظهر فى جسمه الخلل (اذا) جاء النص بطل القياس (اذا) جهل عليك الاحمق فليس له صلاح الا الرفق والتلطف (اذا) حان القضاء ضاق الفضاء (اذا) رأيتم النعم مستقبلة فبادروها بالشكر قبل حلول الزوال (اذا) رأيت الشيب متزايدا فلتكن للآخرة متزودا (اذا) رأيت الشر يتركك فاتركه (اذا) فتحت بينك وبين أحد بابا من المعروف فاحذر أن تغلقه ولو بالكلمة الجميلة (اذا) رقت حال الانسان هان على الاخوان (اذا) رضى المرء بالميسور ضرب بينه وبين الانكاد بسور (اذا) رأيت من يحسدك وأردت أن تسلم من شره فعم عليه أمورك (اذا) أردت شرا بعدوك فاستعرض أخلاقه فانك لا تجدها بأسرها كاملة ولا بد من ان يلحقها النقص فادخل اليه من عورته فانه لا يفوتك (اذا) أنجز رجل ما وعد به من معروف فاحرز فضيلتى الجود والصدق (اذا) بلغ المرء فى الدنيا فوق مقداره تنكرت أخلاقه للناس (اذا) أبصرت العين الشهوة عمى القلب عن الاختيار (اذا) زادك السلطان اكراما فزده اعظاما (اذا) زللت فارجع (اذا) رأيت انسانا قد أخطأ فلا تعلمه فانه يتعلم منك ويغضب عليك (اذا) طلب رجلان أمرا ظفر به أعظمهما مروءة فان استويا فى المروءة فأكثرهما أعوانا فان استويا فى الاعوان فاسعدهما جدا (اذا) طال الامل فى الدنيا قصر العمل فى الآخرة (اذا) ظهر الحيف فى الامم فانتظر السيف من أمم (اذا) عدل السلطان فى رعيته بلغ فى مناوية أقصى أمنيته (اذا) غلبتك أمرأتك على الامر فجاهدها انها ساعدتك (اذا) فسد الزمان كسدت الفضائل

وضرت

وضربت ونفقت الرذائل ونفعت (اذا) فاتك العلم فالزم الصمت (اذا) قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للمقدرة عليه (اذا) قيض الله للرجل امرأة كثيرة الحياء جميلة المحيا مساعدة في جميع الاشياء معينة على أمور الدين والدنيا فقد استطاب المحيي (اذا) قبح السؤل حسن المنع (اذا) سألت فاسئل الله فانه أقرب من ناجيت وأكرم من راجيت (اذا) شاورت العاقل صار نصف عقله لك (اذا) هرب الزاهد من الناس فاطلبه واذا طلبهم فاهرب منه (اذا) وجدت ما فاتك لا تأسف على ما فاتك (اذا) وليت ولاية فليكن حظ أخيك منها الكامل الكافي ونصيبه من ثمرها الوافر الوافي (اذا) كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر واذا كان جائرا فله الوزر وعليك الصبر (اذا) كنت في غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل (اذا) كان في الصبي الحياء والرهبة طامع في رشده (اذا) كان الغدر في الناس طبعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق (اذا) كانت الحظوظ بالجدود فما الحرص واذا كانت الامور ليست بدائمة فما السرور واذا كانت الدنيا غرارة فما الطمأنينة (اذا) علمت فلا تذكر من دونك من الجهال واذكر من فوقك من العلماء (اذا) لم يستطع الرجل نيل عظيم الا باحتمال صغير كان حقيقا باحتماله (اذا) لم تربحك تجارة فاعدل عنها الى غيرها (اذا) لم يكن للانسان في نفسه خير لم يكن للناس فيه خير (اذا) مدحت شيأ فاختصر واذا ذممت فاقتصر (اذا) مسك الضر فالله يكفيك واذا شفك السقم فالله يشفيك (اذا) نزل البلاء فالدعاء يسد بابه ويكف غبابه ويقطع أسبابه (اذا) صلحت الساقية صلحت

مجاريها (اذا) صادف معروفك محله ينبغي لك أن تعد ذلك من نعم الله عليك (اذا) لم يكن لك ماتريد فأرد ما يكون (اذا) لم يكن جد ففيم الكد (اذا) زرت منزل أخيك فلم تأكل فيه ولم تشرب فانما زرت قبره (اذا) فضلت محاسن الرجل مساويه فذلك الكامل واذا استويتا فهو المتماسك واذا كانت المساوي أكثر فهو المتهتك (اذا) رأيت الرجل يحدثك بمساويء فيك فلا تأمن منه ان يذكر بمساويك (اذا) تشاكلت الاخلاق كثر الاتفاق (اذا) دخل أحدكم بيتا فليجلس حيث أجلسه أهله (اذا) قلت لصديقك قم فقال الى أين فليس بصديق (اذا) كان للمحسن من الجزاء مايقنعه وللمسيء من النكال مايقمعه بذل المحسن الواجب عليه رغبة وانقاد المسيء للحق رهبة (اذا) جلست في مجلس ولم تكن المحدث ولا المحدث فقم (اذا) أحسنت القول فأحسن الفعل ليجتمع معك مزية اللسان وثمرة الاحسان (اذا) أردتم أن تعلموا من أين أصاب الرجل المال فانظروا فيم ينفقه فان الخبيث ينفق في السرف

﴿ ومن الشعر في هذا الفصل قولهم ﴾

اذا ما كنت قد أوتيت مالا * من الدنيا سعيت لنيل حال
فأنت طوال دهرك في عناء * كثير السير في طلب المحال

﴿ آخر ﴾

اذا ما شئت ان تدعى حكيما * وتلحق بالرجال ذوي الكمال
فلا تغتر في الدنيا بشيء * ولا تخطر لك الدنيا ببال

﴿ آخر ﴾

اذا

اذا ما أخ تاه فى ثروة * وكان وصولا بإملاقه
أقام لنا لؤم أفعاله * شهيدا على لؤم أعراقه

(آخر)

اذا اعتذر المسئ اليك يوما * من التقصير عذر فتى مقر
فصنه عن عقابك واعف عنه * فان الصفح شيمة كل حر

(آخر)

اذا نالك الدهر بالحادثات * فكن رابط الجاش صعب الشكيمه
ولا تهن النفس عند الخطوب * اذا كان عندك للنفس قيمه
فوالله مالقى الشامتون * بأحسن من صبر نفس كريمه

(آخر)

اذا الحادثات بلغن المدى * وكادت تضيق بهن المهج
وحل البلاء وقل الوفاء * فعند التناهى يكون الفرج

(آخر)

اذا قل مال المرء قل صديقه * وضاق به عما يريد طريقه
وقصر طرف العين عنه كلالة * وأسرع فيما لا يحب شقيقه
وذم اليه خدنه طعم عوده * وقد كان يستحليه حين يذوقه

(آخر)

اذا كنت ذا مال ولم تك منفقا * فأنت اذا والمقترون سواء
على ان للاموال يوما تباعة * على أهلها والمقترون براء

(آخر)

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

فعش واحدا أوصل أخاك فانه * مقارف ذنب تارة ومجانبه

(آخر)

اذا تخلفت عن صديق * ولم يعاتبك فى التخلف
فلا تعد بعدها اليه * فانما وده تكلف

(آخر)

اذا حيوان كان طعمة ضده * توقاه كالفار الذى يتقى الهرا
ولا شك ان المرء طعمة دهره * فما باله يا ويحه يأمن الدهرا

(آخر)

اذا ما كنت متخذا رسولا * فلا ترسل سوى حر نبيل
فان النجح فى الحاجات يأتى * لطالبها على قدر الرسول

(آخر)

اذا كان دونى من بليت بجهله * أبيت لنفسى ان أقابل بالجهل
وان كنت أدنى منه فى الحلم والحجا * عرفت له حق التقدم والفضل
وان كان مثلى فى محل من الحجا * أردت لنفسى ان أجل عن المثل

(آخر)

اذا ما الدهر جر على أناس * كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

(آخر)

اذا خدمت الملوك فالبس * من التوقى أشد ملبس
وادخل اذا ما دخلت أعمى * واخرج اذا ما خرجت أخرس

(آخر)

اذا

اذا كنت فى حاجة مرسلا * رسولا وأنت بها كاف مغرم
فارسل حكيما ولا توصه * وذاك الحكيم هو الدرهم

﴿آخر﴾

اذا أذن الله فى حاجة أتاك * النجاح بها يركض
فان منع الله من كونها * فلابد من عارض يعرض

﴿آخر﴾

اذا ماشئت أن تحيي سعيدا * وتلقى الله بالعمل الكريم
فلا تصحب سوى الاخيار واقطع * زمانك فى مدارسة العلوم

﴿آخر﴾

اذا ما اصطفيت امرأ فليكن * شريف النجار زكى الحسب
فنذل الرجال كنذل النبا * ت لا للثمار ولا للحطب

﴿آخر﴾

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فلكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها * فما تدرى السكون متى يكون

﴿آخر﴾

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن يترددا
ولا تمهل الاعداء يوما بقدرة * وبادرهم أن يملكوا مثله غدا

﴿آخر﴾

اذا كنت جماعا للمال ممسكا * فأنت عليه خازن وأمين
تؤديه مذموما الى غير حامد * فيأكله عفوا وأنت دفين

﴿آخر﴾

اذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت * ولم ينهها تاقت الى كل باطل
وساقت اليه الاثم والعار بالذى * دعته اليه من حلاوة عاجل

﴿آخر﴾

اذا اجتمع الاسلام والقوت للفتى * وأضحى صحيحا جسمه وهو فى أمن
فقد ملك الدنيا جميعا وحازها * وحق عليه الشكر لله ذى المن

﴿آخر﴾

اذا استوحشت من رجل * فكن منه على وجل
ولا يغررك ظاهره * فباطنه على دخل
فقد تلقى حمام الموت * بين السم والعسل

﴿آخر﴾

اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

﴿آخر﴾

اذا أظمأتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا
أبيا لنائل ذى ثروة * تراه بما فى يديه أبيا
فان اراقة ماء الحياة * دون اراقة ماء المحيا

﴿آخر﴾

اذا لم يكن للمرء شيخ يوسه * ولا هو ذو علم بآفات نفسه
فذاك غبى حائر فى طريقه * يروح ويغدو فى عمايات لبسه

﴿آخر﴾

اذا

اذا ماعدوك يوماسما * الى حالة لم تطق نقضها
فقبل ولا تأنفن كفه * اذا أنت لم تستطع عضها

(آخر)

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل

(آخر)

اذا لزم الناس البيوت وجدتهم * عماة عن الاخبار خرق المكاسب

(آخر)

اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

(آخر)

اذا وترت امرأ فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

(آخر)

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

(آخر)

اذا مامات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(آخر)

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

(آخر)

اذا ما أهان امرؤ نفسه * فلا أكرم الله من أكرمه

(آخر)

اذا محاسنى اللاتى أدل بها * كانت ذنوبى فقل لى كيف اعتذر

(آخر)

اذا شجر المودة لم تجده * فغيث البر امرع في الجفاف

﴿ آخر ﴾

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

﴿ آخر ﴾

اذا العب الثقيل توزعته * أكف القوم خف على الرقاب

﴿ آخر ﴾

اذا مر بي يوم ولم اتخذ يدا * ولم استفد علما فاهو من عمري

﴿ آخر ﴾

اذا كنت تبغي شيمة غير شيمة * جبلت عليها لم تطعك الضرائب

﴿ آخر ﴾

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فطلبها كهلا عليه شديد

﴿ آخر ﴾

اذا أنت لم تزرع والغيث حاصدا * ندمت على التفريط في زمن البذر

﴿ آخر ﴾

اذا ابرم المولى بخدمة عبده * تجنى له ذنبا وان لم يكن ذنب

﴿ آخر ﴾

اذا أنت حلت الخؤن أمانة * فانك قد أسندتها شر مسند

﴿ آخر ﴾

اذا ما العيش عاد اليك ذلا * فان العز في الموت المريح

﴿ آخر ﴾

اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا * اليك ولم تغفر له فلك الذنب

﴿ آخر ﴾

(آخر)

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تقلب عريانا وان كان كاسيا

(آخر)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقال

(آخر)

اذا ما بدت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

(آخر)

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

(آخر)

اذا أنت جاريت السفيه كما جرى * فانت سفيه مثله غير ذى حلم

(آخر)

اذا ما أجبت الناس فى كل دعوة * دعتك الى الامر القبيح المحرم

(آخر)

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

(آخر)

اذا استغنيت عن شئ فدعه * وخذ ما أنت محتاج اليه

(آخر)

اذا لم يأتك المعروف طوعا * فدعه فالتنزه عنه مال

(آخر)

اذا أنت لم تنفع بودك أهله * ولم تنك بالبوسى عدوك فابعد

(آخر)

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

﴿آخر﴾

اذا كان غير الله للمرء عدة * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

﴿آخر﴾

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

﴿آخر﴾

اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

﴿آخر﴾

اذا المرء لم يحببك الا تكرها * بدا لك من أخلاقه ما يغالبه

﴿آخر﴾

اذا اشتد عسر فارج يسرا فانه * قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

﴿فصل من﴾

﴿فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم﴾

(من) تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (من) يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين (من) يرد الله به خيرا يجعل خلقه حسنا (من) يغفر يغفر الله له ومن يعف يعف الله عنه (من) تأنى أصاب أو كاد ومن عجل أخطأ أو كاد (من) يزرع خيرا يحصد رغبة ومن يزرع شرا يحصد ندامة (من) أيقن بالخلف جاد بالعطية (من) أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله (من) أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يديه (من) سره أن يسلم فليلزم الصمت (من) رزق من شئ فليلزمه (من) لم يشكر القليل لم

يشكر

يشكر الكثير (من) دعا على من ظلمه فقد انتصر (من) تشبه بقوم فهو منهم (من) طلب العلم تكفل الله برزقه (من) لم ينفعه علمه ضره جهله (من) استطاع منكم ان تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل (من) فتح باب خير فلينتهزه فانه لا يدري متى يغلق عليه (من) كف لسانه عن أعراض الناس أقاله الله تعالى عثرته يوم القيامة (من) يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة (من) كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (من) نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة (من) فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة (من) ستر على أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة (من) انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب (من) كان وصلة لأخيه المسلم الى ذي سلطان في منهج بر أو تيسير عسير اعانه الله على اجازة الصراط يوم تدحض فيه الاقدام (من) أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه انما حيزت له الدنيا بحذافيرها (من) أصبح ولم ينو لاحد سوأ غفر له (من) أكثر من الاستغفار رزقه الله من حيث لا يحتسب (من) كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر خطاؤه (من) كثر همه سقم بدنه (من) كثر ضحكه استخف بحقه (من) حفظ ما بين لحييه وبين رجليه دخل الجنة (من) ترك معصية مخافة الله أرضاه الله يوم القيامة (من) أمسك بركاب أخيه لا يرجوه ولا يخافه غفر الله له (من) تنصل اليه فلم يقبل لم يرد على الحوض (من) قل علمه قل ورعه (من) قل ماله ساء خلقه (من) أكرم أخاه المؤمن فانما يكرم الله عز وجل

(من) كف غضبه كف الله عنه عذابه (من) أعان مسلما كان الله فى عونه (من) قنع بما رزقه الله دخل الجنة (من) شفع شفاعة حسنة آجره الله (من) لم تكن له واحدة من ثلاث فلا يحتسب بشىء من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله وحلم يكفه عن السفه وحكمة يعيش بها فى الناس (من) أخذه الله بمعصيته فى الدنيا فالله أكرم من أن يعفو عن عبده فى الدنيا ثم يأخذه فى الآخرة (من) اعتذر اليه أخوه المسلم فليقبل منه ما لم يعلم كذبه

﴿ ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم ﴾

(من) عرف قدره علا أمره (من) استحى من الناس ولم يستحى من نفسه فلا قدر لها عنده (من) حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر فى العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن خاف أمن ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم (من) جالس عدوه حفظ عليه عيوبه (من) أخطأه سهم المنية قيده الهرم (من) سره بنوه ساءته نفسه (من) استغضب فلم يغضب فانما هو حمار ومن استرضى فلم يرض فانما هو شيطان (من) كثر ضحكه سقطت مهابته ومن لاحى الرجال سقطت كرامته (من) طلب ما قبل السلطان والنساء بالمغالطة لم يزدد منهما الا بعدا (من) خدم السلطان بلا علم واستقلال وتجربة وكمال كان بمنزلة راكب فيل صعب أو سائر فى بحر قد خب (من) طلب الى لئيم حاجة كان كمن طلب صيد السمك فى المفاوز (من) استوضع التاجر من رأس ماله فقد استكمل حقه (من) اتقى الحساب تورع فى الاكتساب (من) بلغ الستين فقد قطع منه الوتين (من) عامل

عامل السلطان بالمكر كافأه بالغدر (من) حرمك خيره وحملك مؤنته فلا ترغب فى مودته (من) أبدى الى الناس فقره فليس له عندهم قدر (من) استغنى عن الناس وقروه وعظموه (من) غضب على من يقدر على ضره طال همه وحزنه (من) أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا (من) قل عقله كثر هزله (من) أصلح سريرته أصلح ولابد علانيته ومن أصلح ما بينه و بين الله أصلح الله ما بينه و بين الناس (من) عمل للآخرة كفاه الله الدنيا (من) استغنى بالله افتقر اليه الناس (من) خان مان ومن مان خان وتبرأ من الاحسان (من) كتم سره جهل عدوه أمره (من) نقض عهده ومنع رفده وأظهر حقده فلا خير عنده (من) فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من نفسه (من) أباه وعيب نفسه زكاها (من) طاعت له نفسه طاع له غيره (من) أنفق عمره فى جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم (من) أحب الحياة لنفسه أماتها (من) كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا فى عينه (من) سكر من خمرة الدنيا هلك فى خمار الهوى (من) قبل فم اللذة عضته أسنان الندامة (من) عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار (من) تجرع اللوائم فى موافقة الحق رد الله تلك اللوائم حمدا ومن آثر المحامد فى موافقة الحق رد الله تلك المحامد ذما (من) أعجب بنفسه فضحها (من) وصل رحمه وصل له الله ورحمه ومن أجار جاره أعانه الله وأجاره (من) بسطه الادلال قبضه الاذلال (من) تناسى مساوى الاخوان دام له ودهم (من) بذل ماله أدرك آماله (من) عظمت مرافقه أعظمه مرافقه (من) قل حياؤه قل أحباؤه

(من) لم يشكر النعمة استحق قطع النعمة (من) أنكر الصنيعة استوجب القطيعة (من) قل توقيه كثرت مساويه (من) استغنى بالله اكتفى (من) انقطع لغير الله تعرى (من) كان بقليل الدنيا لا يقنع لم يغنه منها ما يجمع (من) لم يتناه طلبه دام تعبه (من) أمات شهوته أحيا مروءته (من) صاحب العلماء وقر ومن جالس السفهاء حقر (من) ساس نفسه ساد جنسه (من) رضى عن نفسه سخط عليه الناس (من) استغنى برأيه ضل ومن اكتفى بعقله زل (من) أفشى سره المصون كثر عليه المتآمرون (من) كثر مزاحه زالت هيبته ومن كثر خلافه طابت غيبته (من) دام كسله خاب أمله (من) أوغرت صدره استدعيت شره (من) أمل امرأ هابه (من) فعل ما شاء صبر على ما لا يشاء (من) داوم الرقاد عدم المراد (من) عرف معابه فلا يلم من أعابه (من) لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ (من) عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه (من) نجا برأسه فقد ربح (من) استرعى الذئب ظلم (من) أدب ولده صغيرا سر به كبيرا (من) أدب ولده أرغم حاسده (من) عبس لك وجهه فلا تطلبن فضله (من) كانت ولايته فوق قدره تكبر ومن كانت ولايته دون قدره تواضع (من) استعذب المدح استحق القدح ومن ترك الكبر استوجب الشكر (من) ذهب ماله هان على أهله (من) سأل صاحبه فوق طاقته فقد استوجب الحرمان (من) صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة (من) لم يضن بالحق على أهله فهو الجواد (من) لم يصبر على كلمة سمع كلمات (من) أراد العز والسلامة فليلزم ثلاثا ألا يسأل أحدا حاجة

حاجة ولا شي أولا يأكل طعام أحد ولا يذكر أحدا بسوء (من) امتطى
دواب الامل أوردته موارد التلف (من) ركب العجلة لم يأمن الكبوة
(من) لم يواس الاخوان فى دولته خذلوه فى عزلته (من) لم يتعظ بالناس
اتعظ به الناس (من) أخطأ واعتقد انه على صواب فقد أخطأ مرتين
(من) قل لبه اشتد عجبه (من) عرف حق أخيه دام له اخاؤه (من)
تكبر على الناس ورجا أن يكون له صديق فقد غر نفسه (من) لم يكن
عونا على نفسه مع خصمه لم يكن عنده شئ من عقدة الرأى (من) أقدم
على هوى وهو يعلم ما فيه من سوء المغبة تسلط على نفسه لسان العذل
وضيع الحزم (من) لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الانس
أثمرت موداته ندما (من) كساه الحياء ثوبه ستر عن الناس عيبه (من)
أصلح ماله فقد صان الأكرمين الدين والعرض (من) كرمت عليه
نفسه لم يهنها ومن نازع بها جاهلا لم يصنها (من) لم يرض من الدنيا
بالقليل وقع منها فى غم طويل (من) كثر ملقه لم يعرف بشره (من)
أنس بالله استوحش من الناس (من) رجى الفرج لديه كثرت
غاشيته (من) غضب من غير شئ فسيرضى من غير شئ (من) لم يمنع
نفسه من الشهوات تسرعت اليه الهلكات (من) لم ينتفع بظنه لم
ينتفع بيقينه (من) زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم (من) ساء
خلقه كثر همه ومن كذب ذهب جمال وجهه (من) غض بصره
عن عيوب الناس غضوا أبصارهم عنه (من) نهض الى المعالى
ظفر بالمكان العالى (من) لم يسمح نفسا عن الحظ الجسيم للعيب
الصغير لم يعد شفيقا على نفسه ولا صائنا لعرضه (من) قصر على شئ

عابه (من) ضربا قبال الدهر ذل بادباره (من) لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب (من) ضاق صدره اتسع لسانه (من) قارب الناس فى عقولهم أمن من غوائلهم (من) تكلف مالا يعنيه فاته ما يعنيه (من) عرف تقلب الزمان لم يركن اليه (من) أحب المحمد أحسن السيرة ومن أبغضه أساءها (من) أحرز العفاف لم يعدم الكفاف (من) كان همه بطنه كان قدره ما يحويه (من) سلك الجدد أمن من العثار (من) استغنى كرم على أهله (من) لم يدار المشط ينتف لحيته (من) ترك القهقهة أكرمه الله بالهيبة ومن ترك المزاح أكرمه الله بسيما الصالحين ومن ترك الفضول أكرمه الله بالخشوع ومن ترك التخليط أكرمه الله بالوقار ومن ترك التجسس أكرمه الله بالسنة ومن ترك الكيفية فى الرب برأه الله من الشرك والنفاق ومن بحث عن عورات المسلمين فضحه الله فى بيته (من) غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس التزهد اجتنى العز ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المداراة اجتنى السلامة ومن غرس الكبر اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الخزى ومن غرس الحسد اجتنى الكمد (من) رضى من صلة الاخوان بلاشئ فليواخ أهل القبور (من) لاولد له فلاذكر له ومن لا اخوان له فلا أهل له ومن لاعقل له فلا دنيا له ولا آخرة (من) خوّفك لتأمن خير ممن أمنك لتخاف ومن سقاك مر التبر أخير لك ممن سقاك حلو التسقم (من) لاحى الناس وماراهم قلت كرامته (من) أكثر من شئ عرف

به

به (من) صحب السلطان صبر على قسوته كصبر الغواص على ملوحة بحره (من) حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فعاجز الرأى (من) أبطره الغنى أذله الفقر (من) أوتى نعمة فهو عبدها حتى يعتقه شكرها ومن عرفها فقد شكرها ومن شكرها فقد استوجب مزيدا (من) لم يملك غضبه لم ينل أربه (من) لم يغض لحاجته لم يبلغ حاجته (من) لم تحسن خلائقه لم تؤمن بوائقه (من) حسن خلقه أنهج لى الخيرات طرقه وأدرك فى المكرمات من سبقه (من) شح على سره فقد أعان على بره (من) نظر فى أحواله وحزم فى أفعاله وأقسط فى أحكامه واقتصر فى وفوره واعدامه أعطى الخير بتمامه (من) يسر للتوبة لم يمنع المغفرة ومن وفق للدعاء لم يحرم الاجابة (من) حكم فعدل وصبر واحتمل وأعطى وبذل فقد احتبى بثوب الفضل واشتمل (من) لم يقبل مشورة الصديق ونصيحة الشفيق استوبل عاقبته واستوخم مغبته وعاين سوء ماقدمت يداه وذاق مرارة مماجناه (من) لم يأس على مافاته أراح قلبه ومن قنع بما هو فيه قرت عينه ومن عتب على الدهر طالت معتبته ومن رضى بالقسم طابت معيشته ومن ضعف عقله غلبته شهوته ومن أطاع هواه أعطى عدوه مناه (من) عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن (من) أنزل نفسه منزلتها أمن عليها سوء الدوائر (من) تقهر نفسه جسده فاغسل جسده قهر لنفسه (من) قال تعلقه بالدنيا فاتت حسرته عند فراقها (من) طاوع طرفه تابع حتفه (من) استقبل الامور أبصر ومن استدبرها تحير (من) لم يعرف الموارد كان بالمصادر أجهل (من) أحبك نهاك ومن أبغضك

أضرالك (من) اقتصد فى الغنى والفقر فقد استعد لنائبة الدهر

(ومن الشعر فى هذا الفصل قولهم)

من يسئل الناس يحرموه * وسائل الله لا يخيب
وكل ذى غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب

(آخر)

من آنسته البلاد لم يرم * منها ومن أوحشته لم يقم
ومن يبت والهموم قادحة * فى صدره بالزناد لم يقم

(آخر)

من قال لا فى حاجة * مطلوبة فما ظلم
وانما الظالم من * يقول لا بعد نعم

(آخر)

من لم يكن كاملا فى العقل والادب * وقد قرا سالف الاشعار والكتب
فلا يرو من سلطانا ولا ملكا * فانه مشرف منه على العطب

(آخر)

من شاب قدمات وهو حى * يمشى على الارض مشى هالك
لو كان عمر الفتى حسابا * كان له شيبه فذلك

(آخر)

من كان يبغى الذل فى دهره * فليطلع الناس على سره
ما للفتى ان خانه دهره * معوّل الا على صبره

(آخر)

من عاش عيشا جيدا يستفيد به * فى دينه ثم فى دنياه اقبالا

فلينظرن

فلينظرن الى من فوقه أدبا * وليتظرن الى مادونه مالا

﴿آخر﴾

من يسئل الله فلا ينبغي * ان يسئل الله سوى العافية
فهي اذا ماحصلت لامرئ * غنية من غيرها كافية

﴿آخر﴾

من لم يكن ذا خليل * يفضي اليه بسره
و يستريح لديه * في خير أمر وشره
فليس يعرف طعما * لحلو شئ ومره

﴿آخر﴾

من لم يكن أكثره عقله * أهلكه أكثر ما فيه

﴿آخر﴾

من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازة

﴿آخر﴾

من يفعل الخير لم يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

﴿آخر﴾

من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الاماني لم يزل مهزولا

﴿آخر﴾

من يدع الحلم أغضبه لتعرفه * لا يعرف الحلم الا ساءة الغضب

﴿آخر﴾

من آثر البخل عن وفر وعن جدة * فقد لعمري أضحى وهو مغبون

﴿آخر﴾

من يكشف الناس لا يجد أحدا * تصح له منه سرائر

﴿آخر﴾

من لم يؤدبه والداه * أدبه الليل والنهار

﴿آخر﴾

من يزرع الخير يحصد ما يسربه * وزارع الشر منكوس على الرأس

﴿آخر﴾

من لم يكن حسب له من نفسه * فهو الوضيع وان غدا ابن فلان

﴿آخر﴾

من يحمد الناس يحمدوه * والناس من عابهم معيب

(فصل ليس)

﴿فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم﴾

(ليس) الخبر كالمعاينة (ليس) فى فاسق غيبة (ليس) بعد الموت مستعتب (ليس) منا من لم يوقر الكبير و يرحم الصغير و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر (ليس) يوم الا وهو ينادى ابن آدم انا خلق جديد وانا فيما تعمل فيه عليك شهيد فاعمل فى خيرا أشهد لك به فانى لو قد مضيت لم ترنى (ليس) بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أونما خيرا (ليس) الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس (ليس) شئ خيرا من ألف مثله الا المؤمن (ليس) لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أولبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت (ليس) من العقل الثقة بالظن (ليس) الاعمى من عمى بصره انما الاعمى من عميت بصيرته (ليس) بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه (ليس) من خلق المؤمن

الملق (ليس) من خلق المؤمن الحسد (ليس) منا من لم يوقر
(ليس) منا من غش مسلما أو ضره

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(ليس) اللئيم مثل الهوان (ليس) يعد حكيما من لم يكن لنفسه
خصيما (ليس) من العدل سرعة العذل (ليس) بخالص ولا لبيب
من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله تعالى له
مخرجا (ليس) الى السلامة من الناس سبيل فعليك بما ينفعك فالزمه
(ليس) العاقل الذى اذا وقع فى الامر احتال له لكن العاقل الذى
يحتال للامر ولا يقع فيه (ليس) للعوج تدبير ولا لسيئ الخلق عيش ولا
لمتكبر صديق (ليس) حسن الجوار كف الاذى ولكنه الصبر على
الاذى (ليس) من أحدوان ساعدته المقادير بمستخلص غضارة عيش
الامن خلال مكروه (ليس) للامور بصاحب من لم ينظر فى العواقب
(ليس) من العدل القضاء بالظن على الثقة (ليس) بيسير تقويم
العسير (ليس) الحكيم بكثرة العلم انما الحكيم فى الانتفاع به فى العمل
(ليس) من شرط الحليم أن لا يضجر لكن أن يضجر بوزن (ليس)
لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها بغيرها (ليس) الانسان الصورة انما
الانسان العقل (ليس) من توكل المرء اضاعة الحزم (ليس) للجائر
جار (ليس) من عادة الكرام سرعة الانتقام (ليس) العاقل الذى
يعرف الخير والشر انما العاقل الذى يعرف أقل الشرين (ليس)
الناس بشئ من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم (ليس) بعاقل ولا لبيب
من لم يصف ما به الى الطبيب (ليس) الاسير من أوثقه عداه انما الاسير من

أوثقه هواه قسرا وأرهقه خسرا

(ومن الشعر في هذا الفصل قولهم)

ليس بالمغبون عقلا * مشترى عز بمال
انما يدخر الما * ل لحاجات الرجال
فاشترا العز بما شئـ * ـت فما العز بغال
فالفتى من جعل الامـ * ـوال أثمان المعالى

(آخر)

ليس الكريم بمن يدنس عرضه * ويرى مروءته تكون بمن مضى
حتى يشيد بناءهم ببنائه * ويزين صالح ما أتوه بما أتى

(آخر)

ليس في كل ساعة وأوان * تتأتى صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان
أحزم الناس من اذا أحسن الدهـ * ـر تلقى الاحسان بالاحسان

(آخر)

ليس الاديب أخا الرواية * للنوادر والغريب
ولشعر شيخ المحدثين * أبي نواس أو حبيب
بل ذو التفضل والمروءة * والعفاف هو الاديب

(آخر)

ليس للحاجات الا من * له وجه وقاح
ولسان وبيان * وغدو ورواح

(آخر)

ليس

ليس العدو بشر * من الصديق الحسود
فعم أمرك عنه * وداره من بعيد

(آخر)

ليس الكريم الذى ان زل صاحبه * بث الذى كان من أسراره علما
بل الكريم الذى تبقى مودته * ويحفظ السر ان صافى وان صرما

(آخر)

ليس الغبي بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابي

(آخر)

ليس الذى تكرمه لغيره * مثل الذى تكرمه لنفسه

(آخر)

ليس لرب البيت فى بيته * عيش اذا ما فسد الاهل

(آخر)

ليس لمن ليست له حيلة * موجودة خير من الصبر

(آخر)

ليس من الظرف والتأدب أن * يسمع منك الصديق ما كرها

(آخر)

ليس الظريف بكامل فى ظرفه * حتى يكون من الحرام عفيفا

(آخر)

ليس النعيم ولا الشقاء بدائم * لابد للاقبال من ادبار

(آخر)

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفرا * بل المقام على خسف هو السفر

(آخر)

ليس ملك الذى يموت بملك * انما الملك ملك من لايموت

(فصل رب)

(فن الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم)

(رب) حامل حكمة الى من هو أوعى منه (رب) حامل فقه ليس بفقيه (رب) طاعم شاكر أعظم أجرا من صائم صابر (رب) مبلغ أوعى من سامع (رب) ملوم لا ذنب له (رب) دميم الوجه حسنه عند الحاجة ورب حسن الوجه دميمه عند طلب الحاجة (رب) مكرم لنفسه وهو لها مهين ورب مهين لنفسه وهو لها مكرم (رب) أمن سببه الخوف (رب) طرف أنم من لسان (رب) صلف أدى الى تلف (رب) حيلة أهلكت المحتال (رب) صديق يؤتى من جهله لا من نيته

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(رب) قول أشد من صول (رب) أخ لك لم تلده أمك (رب) عجلة تهب ريثا (رب) مغبوط بنعمة هى داؤه ومرحوم من سقم هو شفاؤه (رب) ضيق أفضل من سعة (رب) عناء خير من دعه (رب) مملول لا يستطاع فراقه (رب) طبع صالح أفسده مصاحبة الاشرار والسفلة (رب) حسن المنظر قبيح المخبر (رب) مزاح فى غوره جد (رب) مواصلة أدت الى تثقيل وتخفيف أدى الى قطيعة (رب) صلابة غرست من لحظة ورب حرب شبت من لفظة (رب) كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة (رب) وحشة أنفع من أنس (رب) وحدة أمتع من جليس

(رب)

(رب) منع الذ من عطاء (رب) شوك أمهد من وطاء (رب) جهل وقى به علم وسفه حمى به حلم (رب) صديق أود من شقيق (رب) عاجل لذة قد أعقبت طول حسرة (رب) مستسلم سلم ومتحرز ندم (رب) ساع لقاعد آكل غير حامد

(ومن الشعر فى هذا الفصل قولهم)

رب من أنضجت غيظا صدره * قد تمنى لى موتا لم يطع
ويحيينى اذا لاقيته * واذا يخلو له لحمى رتع

(آخر)

رب غريب ناصح الجنب * وابن أب متهم الغيب
ورب عياب له منظر * مشتمل الثوب على العيب

(آخر)

رب مغروس يعاش به * عدمته كف مغترسه
وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

(آخر)

رب حلم أضاعه عدم الما * ل وجهل غطى عليه النعيم

(آخر)

رب مهزول سمين حسبه * وسمين الجسم مهزول الحسب

(آخر)

رب مكروه مخوف * فيه لله لطائف

(آخر)

رب عير يرعى ويعلف فى الخصب * وليث يجوع فى الصحراء

(فصول الاعداد المذكورة قبل)
(فى الاحاديث والحكم والشعر)
(فصل واحد)

(فن الحديث الوارد فى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم)

(طلب) الدين أحد العمرين (الزوجة) الصالحة أحد الكاسبين (قلة) العيال أحد اليسارين (المال) أحد الضجيعين

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(افشاء السر) أحد المفسرين (اعلان) التوبيخ أحد الضربين (ادمان) النظر أحد الفسقين (المطل) أحد المنعين (العرى) أحد الكفنين (المشفق) أحد الوالدين (العين) احدى الرسولين (العشق) احد الرقين (الفرار) احد الحمامين (المكيدة) احدى الحسامين (الفكرة) احدى الهاديين (اللسان) أقطع السيفين (الدهر) أحد المؤدبين (الشيب) أحد الميتتين (حسن الثناء) أحد البقاءين (ذهاب العدة) أحد الهلاكين (التدبير) أحد الثروتين (الزوجة) الصالحة أحد الكاسبين (المشورة) أحد الدليلين (الميزان) أحد الصادقين (القلم) أحد اللسانين (سوء الرأى) أحد المحاربين (سامع الغيبة) أحد المغتابين (البيان) أنفذ السهمين (الثروة) احدى الامارتين (الناصر) أحد الساعدين (الطيف) أحد الزيارتين (السلو) أحد العتيقين (الصبر) أحد المفيدين (التثبت) أحد الناصحين (التوفيق) أحد الخليلين (الزمانة) أحد الاسرين (التجارة) أحدى الجابيين (الثقة بالله) أحد الامانين (الرد الجميل) أحد الجودين (التودد) للناس أحد الحسنيين (الالفة) احدى العمارتين

العمارتين (الاحسان) أحد القيدين (الرحلة بالادب) أحد الزادين (الدار) أحد النسبتين (العمر) أحد الغربتين (اليسار) أحد الوطنين (العدة) أحد العطائين (السلامة) أحد الغنيمتين (المبلغ) أحد الشامتين

(ومن الشعر فى هذا الفصل)

تأمل صورة العدد * فمن ينظر اليه هدى
كما الاعداد راجعة * وان كثرت الى الاحد
كذاك الخلق مرجعهم * لرب واحد صمد

(فصل اثنين)

(فمن الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم)

(ثنتان) لا ترد ان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضه بعضا (خلقان) يحبهما الله ورسوله الحلم والاناءة وخلقان يبغضهما الله ورسوله البخل وسوء الخلق (قطرتان) من أفضل الاشياء قطرة دم فى سبيل الله وقطرة دمع من خشية الله (خصلتان) ليس فوقهما من الخير شئ الايمان بالله والنفع لعباد الله (غنيمتان) غبنهما كثير من الناس الصحة والفراغ (اثنان) ليس فى الدنيا أقل منهما ولا يزدادان الا قلة درهم حلال وأخ فى الله يسكن اليه (خصلتان) لا ثمن لهما العلم والعمل الصالح (منهومان) لا يشبعان منهوم فى العلم ومنهوم فى المال شيئان لا يجتمعان الايمان والحسد (شيئان) لا يفترقان الحرص والتعب (صنفان) من الناس اذا صلحا صلح الناس واذا فسدا فسد الناس العلماء والامراء (ذنبان) لا يغفران البغى وقطيعة الرحم (ركعتان)

في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(اثنان) يقطعان الظهر عالم فاسق يصد الناس عن علمه بفسقه وجاهل ناسك يدعو الناس الى جهله بنسكه (اثنان) معذبان في الدنيا رجل أعطى الدنيا فهو بها مشغول متعب ورجل فقير زويت عنه الدنيا فهو يطلبها ونفسه تتقطع عليها حسرات (شيئان) ان أحرزتهما لم تبال ما ضيعت بعدهما درهم لمعاشك ودين لمعادك (موطنان) لا يعتذر من العي فيهما اذا خاطبت جاهلا أو طلبت حاجة (شيئان) لا يعرفان الا بعد ذهابهما الصحة والثبات (اثنان) ظالمان يأخذان غير حقهما رجل وسع له في مجلس ضيق فتربع وانتفخ ورجل هديت له نصيحة فجعلها ذنبا (خصلتان) فيهما خير الدنيا والآخرة الغنى والتقى وخصلتان فيهما شر الدنيا والآخرة الفقر والفجور (خصلتان) من الكرم انصاف الناس من نفسك ومواساة الاخوان (شيئان) الجهل فيهما محمودة اطعام الضيف اذا حل وقضاء الدين (اثنان) لا يجتمعان أبدا في بشر الكذب والمروءة (اثنان) يهون عليهما كل شيء الحكيم الزاهد والجاهل الذي لا يدرى ما هو فيه (خصلتان) لا تجتمعان في منافق الفقه في الدين وحسن السمت (خصلتان) يحبهما العاقل ويكرههما الجاهل الصبر عند النوائب والعفو عند المقدرة (اثنان) أعيت الحيلة فيهما اقبال الامر اذا أدبر وادباره اذا أقبل (أمران) يستصلح بهما المرء دنياه أدب يقوم نفسه واجتهاد يحسن به عيشه وأمران يستصلح بهما أخراه عقل يعرف به خطأه من صوابه ورشده

ورشده من غيه ونزاهة يقهر بها هواه ويصرف بها شهوته

(ومن الشعر)

اثنان لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

(فصل ثلاثة)

(فمن الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم)

(ثلاثة) من الموبقات فاحذروهن الحرص والحسد والكبر (ثلاثة) لا ترد دعوتهم الامام المقسط والصائم حتى يفطر والمظلوم (ثلاثة) لا يضر معها شئ الدعاء عند الكرب والاستغفار عند الذنب والشكر عند النعمة (ثلاثة) لا يسئل أحد عنها يوم القيامة ما أنفق فى مرضه وفى افطاره وما أنفق فى قرى ضيفه (ثلاثة) من نعيم الدنيا وان كان لا نعيم لها مركب وطئ والمراة الصالحة والمنزل الواسع (ثلاثة) يبغضهم الله البخيل المنان والشيخ الزانى والفقير المختال (ثلاثة) مرحومون عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وصاحب دين رجع عن دينه (ثلاثة) معانون الممالك حتى يضم أهله والغازى حتى يقضى غزوه والحاج حتى يقضى حجه (لا كذب) فى احدى ثلاث الاصلاح بين الناس والحرب فانها خدعة والزوجات فيما يبتغاه الزوج (ثلاثة) لا ينتصفون من ثلاثة بر من فاجر وشريف من دنئ وحليم من سفيه (ثلاثة) لا يعرفون الا فى ثلاثة مواطن الحلم عند الغضب والشجاع فى الحرب والاخ عند الحاجة (ثلاثة) لا يلامون على سوء الخلق المريض والصائم والمسافر (ثلاثة) يطلبون المرء وان فر منهم الموت والرزق والمصيبة

(ثلاثة) من كن فيه ستر الله كنفه وأدخله جنته رفق بالضعيف وشفقة على الوالدين والاحسان الى المملوك (ثلاثة) من لم يكن فيه واحدة منهن لم يجد طعم الايمان حلم يرده عن جهل الجاهل وورع يحجزه عن محارم الله وخلق يدارى به الناس (ثلاثة) من أخلاق الايمان من اذا غضب لم يدخله غضبه فى باطل واذا رضى لم يخرجه رضاه من حق واذا سئل لم يعط ماليس له (ثلاثة) من هذه الامة على منابر يوم القيامة من در وياقوت التاجر الصدوق فى تجارته والسلطان العادل فى حكومته والبار بوالديه (ثلاث) للمرء المسلم من دعوته أما خير يعجل له فى دنياه واما خير يؤخر له الى آخرته واما يستجاب له (ثلاث) علامات للكسلان يتوانى حتى يفرط ويفرط حتى يضيع ويضيع حتى يأثم (ثلاث) منجيات وثلاث مهلكات فاما المنجيات فخشية الله فى السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضى والاقتصاد عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه (ثلاث) ساعات من كان له الى الله حاجة فليطلبها فيهن عند زوال الشمس يوم الجمعة تفتح هنالك أبواب السماء وتنزل الرحمة وتصوت الطير وتنفث الريح وساعة تغيب الشمس فان الاعمال ترفع الى الله تعالى فى ذلك الوقت وساعة ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس (ثلاث) ساعات للمؤمن ساعة يناجى فيها ربه وساعة يروم فيها معاشه وساعة يخلى بين نفسه ولذتها فيما يحل ويجمل (ثلاث) من كن فيه فهو منافق من اذا وعد أخلف واذا حدث كذب واذا اؤتمن خان وثلاث من كن فيه فهو مؤمن اذا قال صدق واذا وعد وفى واذا اؤتمن لم يخن (ثلاث) من رزقهن فقد

جمع

جمع له خير الدنيا والآخرة الرضى بالقضاء والصبر عند البلاء والدعاء فى الرخاء (ثلاث) يصفين لك ود أخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه (ثلاث) من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة الكفاف والقنوع والورع (ثلاث) لن ينفع المرء بعد وفاته الا هن صدقة تجرى من بعده وسنة يعمل بها من بعده وولد يدعو له (ثلاث) تتبع الميت الى قبره فيرجع عنه اثنان وتتبعه واحدة أهله وماله وعمله فاما أهله وماله فيرجعان ويتبعه عمله (ثلاث) نهى الله عز وجل عنهن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال (ثلاث) لا يهلك مؤمن معهن شهادة أن لا اله الا الله وشفاعتى ورحمة الله التى وسعت كل شئ

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(ثلاثة) أشياء لا ينبغى للعاقل تركها علم يحث على عمل نافع فى المعاد وطب يكف به عن البدن الاسقام وصناعة يستعين بها على المعاش (ثلاثة) لا يتهمون الخبر عن سقمه والمقر على نفسه والذى يدعو الناس الى الاخذ بما يعمل به (العيش فى ثلاث) سعة المال وكثرة الخدم وموافقة الاهل (ليس) لثلاث حيلة فقر يخالطه كسل وخصومة يداخلها حسد ومرض يمازجه هرم (ثلاثة) لا يستخف بهم عاقل السلطان والعالم والصديق لان من استخف بالسلطان أفسد دنياه ومن استخف بالعالم أفسد دينه ومن استخف بالصديق أفسد مروءته (ثلاثة) لا يأنف الكريم من القيام عليهم أبوه وضيفه ودابته (للسفر) ثلاث عقبات الاولى العزم والثانية العدة والثالثة الرحيل وأشدهن العزم (ثلاثة) مهرة قرض فار وابن مريض وكف بيت (ثلاثة)

لا راحة لها الا بالمفارقة ألسن المتأكلة المتحركة والعبد الفاسد على مولاه والمرأة الناشزة على زوجها (ثلاث) خصال اذا كن فى الرجل فلا تشكن فى صلاحه اذا حمده جاره ورفيقه وقرابته (كدر) العيش فى ثلاث الجار السوء والولد العاق والمرأة السيئة الخلق (ثلاثة) الاقدام عليها غرر شرب السم للتجربة وركوب البحر للغنى وافشاء السر الى النساء (ثلاثة) من عازهم عادت عزته ذلا السلطان والوالد والغريم (ثلاثة) تزيد فى المودة الزيارة فى الرحال والمحادثة على الموائد ومعرفة الرجل حشم أخيه وخدمه (ثلاثة) تنفع فى الدنيا مع ثوابها فى الآخرة الحج ينفى الفقر والصدقة ترد البلاء والبر يزيد فى العمر (مطالع) العلوم ثلاثة قلب مفكر ولسان معبر وبيان مصور (ثلاث) من كن فيه فقد أصاب البر سخاء النفس والصبر على الاذى وطيب الكلام (يستدل) على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا بما قد نال وحسن الصبر على ما قد فات (ثلاث) خلال من برئ منهن نال ثلاثة من برئ من الشره نال العز ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال الكرامة (ثلاث) من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر (الملوك) تحتمل كل شئ الا ثلاثة القدح فى الملك وافشاء السر والتعرض للحرم (ثلاثة) تدل على عقول أصحابها الرسول والكتاب والهدية (ثلاث) من خير خصال النساء وهن من شر خصال الرجال الزهو والجبن والبخل (العيش) فى ثلاث اقبال الزمان وعز السلطان وكثرة الاخوان (ثلاث) من لم يرغب فيهن بلى بست من لم يرغب فى الاخوان بلى بالعداوة والامتحان ومن لم يرغب فى السلامة بلى بالشدائد والامتهان

والامتهان ومن لم يرغب فى المعروف بلى بالندامة والخسران (رؤس) النعم ثلاثة فأولها نعمة الاسلام التى لا تتم النعم الا بها والثانية نعمة العافية التى لا تطيب الحياة الا بها والثالثة نعمة الغنى التى لا يتم العيش الا بها (أولى) الناس بالرحمة ثلاثة البر يكون فى تدبير الفاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع والعاقل يكون فى تدبير الجاهل فهو الدهر متعب مغموم والكريم يحتاج الى اللئيم فهو خاضع ذليل (أسباب) الفتن ثلاثة عين ناظرة وصورة ناضرة وشهوة قادرة (ثلاثة) ان لم تظلمهم ظلموك عبدك وولدك وزوجتك (الكمال) فى ثلاثة الفقه فى الدين وبر الوالدين وحسن تدبير المعيشة (ثلاثة) لا يندم فيما سلف اليهم الله عز وجل فيما عمل له والمولى المشكور فيما أسدى اليه والارض الكريمة فيما بذر فيها (ثلاثة) لا تكون الا فى ثلاثة الغنى فى النفس والشرف فى التواضع والكرم فى التقوى (عليكم) بثلاثة جالسوا الكبراء وخالطوا الحكماء وسائلوا العلماء (ثلاثة) لا يصلح فسادهن شئ من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاكة فى العقول (ثلاثة) لا يفسد صلاحهن بنوع من المكر العبادة فى العلماء والقنوع فى المستبصرين والسخاء فى ذوى الاخطار (ثلاثة) لا يشبع منهن الحياة والعافية والمال (ثلاثة) أشياء تفسد العقل طول النظر فى المرآة والاستغراق فى الضحك ودوام النظر فى البحر (ثلاثة) تبطل مع ثلاث الشدة مع الحيلة والعجلة مع التأنى والاسراف مع القصد (ثلاثة) من الافعال من علامات الاحمق كثرة الالتفات من غير مناد ولا متكلم وسرعة الجواب والسؤل غيره والضحك فى غير وقته (ثلاثة) من

حقيقة الايمان الاقتصاد في الانفاق والابتداء بالسلام والانصاف في الامور (ثلاث) نواطق وان كن خرسا كسوف البال دليل على رقة الحال وحسن البشر دليل على سلامة الصدر والهمة الدنية دليل على الغريزة الردية (الرجال) ثلاثة عاقل وفاجر وأحمق فاما العاقل فالكرم شريعته والحكم طبيعته وحسن الرأى سجيته وان كلم أجاب وان نطق أصاب وان سمع العلم وعاه وان اطمأن اليه مطمئن رعاه والفاجر ان ائتمنته خانك وان حادثته شانك وان علم العلم لم يتعلم وان ذكر بالله لم يتذكر وان وثقت به لم يرع الك ولئن استكتمته لم يكتم والاحمق ان تكلم عجل وان حدث لوهم وان استنزل عن رأيه نزل وان حمل على قبيح ركبه وان حدث لم يفقه وان حدث لم يتنبه (النساء) ثلاث فهينة لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها وأخرى وعاء للولد وأخرى غل قمل يضعه الله في عنق من يشاء ويفكه عمن يشاء (ثلاثة) لاغربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى (ثلاثة) أشياء موكل بها ثلاثة أشياء الحرمان على المقدم في صنعته وتحامل الايام على ذوى الادوات الكاملة ومعاداة العامة لاهل المعرفة (ثلاثة) أشياء من أخذها من الديك تم بها أدبه سخاؤه وشجاعته وغيرته (ثلاثة) أشياء من أخذها من الغراب تم بها مروءته بكوره في طلب الرزق وشدة حذره وستره سفاده (الناس) ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات طبقة من خاصة الاحرار تسوسهم بالعطف واللين والاحسان وطبقة من خاصة الاشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تحرجهم الشدة ولئلا يبطرهم اللين (الرجال)

ثلاثة

ثلاثة فهن ضعيف مسلم يصدر الامور مصادرها ويوردها مواردها
وآخر ينتهى الى رأى ذى اللب والمقدرة فيأخذ بقوله و ينتهى الى أمره
وآخر حائر بائر لا يأتمر الرشد ولا يطيع المرشد (ثلاثة) متقاربة السفر
والسقم والقتال فالسفر سفينة الاذى والسقم حريق الجسد والقتال منبت
المنايا (الاخوان) ثلاثة أخ يخالطك وده و يبالغ فى مهمك جهده وأخ
ذو نية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته وأخ يجاملك بلسانه
و يتشاغل عنك بشانه و يوسعك من كذبه وأيمانه (الرقاب) ثلاثة
رقبة تملك بالمن ورقبة تملك بالصفح ورقبة لا ينفع فيها الا السيف (ثلاثة)
ما اجتمعت فى حر مباهتة الرجال والغيبة للناس والملل لاهل المودة
(ثلاثة) ليس لهم رأى صاحب الخف الضيق وصاحب المرأة السوء وحابس
البول (ثلاثة) تسمن ولا تؤكل دخول الحمام وعرف البخور ولبس
الكتان الناعم (ثلاثة) تؤكل ولا تسمن الطلع والجمار والكمأة (الانس)
فى ثلاثة صديق تأمن منه فى صداقتك ما يرتصدك به عدوك وامرأة
تسرك ان دخلت عليها وتحفظك اذا غبت ومملوك يأتى كل ما فى نفسك
حتى كأنه يطلع على غيبك (ثلاث) تعقب المدلوة المباهتة والمفاخرة
والممازحة (ثلاث) تزرى بالمرء الحسد والنميمة والطيش (الخير)
كله فى ثلاثة فى السكوت والكلام والنظر فكل سكوت لا يكون فكرة
فهو سهو وكل كلام لا يكون حكمة فهو لغو وكل نظر لا يكون عبرة
فهو لهو (ثلاث) تدل على ضعف العقل سرعة الجواب وطول التمنى
والاغراق فى الضحك (ثلاث) تفسد المروءة الشح والحرص والغضب
(الرجال) ثلاثة رجل بنفسه ورجل بلسانه ورجل بماله (ثلاثة) يصبرون

أجن المجانين وان كانوا أعقل العقلاء الغضبان والغيران والسكران (الايادى) ثلاث بيضاء وخضراء وسوداء فاليد البيضاء الابتداء بالمعروف واليد الخضراء المكافأة على المعروف واليد السوداء المن بالمعروف (تمام) المعروف ثلاثة تعجيله وتصغيره وستره (احذر ثلاثا) الكبر والغضب والطمع (أرج) ثلاثا عفو الله عن ذنوبك ومحاسن عملك وشفاعة نبيك صلى الله عليه وسلم (استحى) ثلاثا مطالعة الله تعالى وأنت مقيم على ما يكره ومن الحفظة الكرام الكاتبين ومن صالحى المؤمنين (خذ) من الدنيا ثلاثا من الكنوز العلم ومن الزاد التقوى ومن الاعمال العبادة (تلق) النعمة من الله بثلاث كثرة الشكر ولزوم الطاعة واجتناب المعصية (افزع) الى ثلاث الى الله فى مهمات أمورك والى التوبة من مساوى عملك والى أهل العلم والادب (اهرب) من ثلاث من الكذاب ومن الظالم وان كان والدك أو ولدك ومن مواطن الامتحان التى تحتاج فيها الى صبرك (من) عرف بثلاث استوجب ثلاثا من عرف بالبخل استوجب الذم ومن عرف بالكذب استوجب المقت ومن عرف بالغيبة استوجب الخزى (علامة) فضل المرء فى ثلاث الفصاحة والسماحة والرياش وعلامة همته فى ثلاث اذ رأيته يمشى راكبا وسمعته يعرب فى كلامه وشممت عليه رائحة طيبة (ثلاث) هن فى ذهاب العقل أسرع من النار فى يابس العرفج اهمال الفكرة وطول التمنى والاستغراق فى الضحك

(ومن الشعر)

ثلاث بها نلت المعالى والغنى * وأصبحت معتز الجناب ولا لموت

طويت على قصد المروة باطنى * وفى ظاهرى أبديت فيه التجملا
وأغضيت عما فى يد الخلق ناظرى * وأبصرت ما الله عندى أفضلا

(فصل أربعة)

❊فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم❊

(أربع) من سنن المرسلين الختان والسواك والتعطر والنكاح (أربع) يذهبن ضياعا الأكل مع الشبع والسراج فى القمر والزرع فى السبخة والصنيعة الى غير أهلها (أربع) خصال من سعادة المرء ان تكون زوجته صالحة وولده ابرارا وخلطاؤه صالحين ومعيشته فى بلاده (أربع) لو شددتم المطايا كان قليلا لا يرجو عبد الا ربه ولا يخاف الا ذنبه ولا يستحى الجاهل أن يتعلم ولا يستحى العالم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا أعلم (أربع) من كن فيه وجبت له الجنة من ملك نفسه حين يرغب وحين يرهب وحين يغضب وحين يشتهى (أربع) خصال لن تعدموهن اذا مس أحدكم ضر فليحدث اخوانه فاما مواساة أو معونة بجاه أو مشورة مباركة أو دعاء مستجاب (أربع) لن يجد الرجل طعم الايمان حتى يؤمن بهن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله بعثنى بالحق وانه ميت ثم مبعوث بعد الموت ويؤمن بالقدر كله (أربع) من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة منهن كانت له خلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد أخلف واذا خاصم فجر (الاذلاء) أربعة النمام والكذاب والمديان والفقير (من) اجتنب أربعة دخل الجنة الدماء والاموال والفروج والاشربة (أحب) الكلام الى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله

والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (أربع) مواطن يستجاب فيها الدعاء وتفتح أبواب السماء عند التقاء الصفين فى سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة وعند رؤية الكعبة

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(أربعة) يسود بها المرء الادب والعلم والعفة والامانة (أربعة) ينبغى للعاقل أن يمنع نفسه منها العجلة واللجاجة والعجب والتوانى (أربع) لا بقاء لها مودة الاشرار والبيت الذى ليس فيه تقدير والمال الحرام والكسب الذى ليس معه تدبير (أربع) لا يستطاع اشباعهن النار من الحطب والبحر من الماء والموت من الارواح والشره من المال (أربع) اذا كن فى الرجل أهلكته محبة النساء والقمار والصيد والخمر (أحب) الاشياء الى الله أربعة القصد عند الجدة والعفو عند القدرة والحلم عند الغضب والرفق بعباد الله فى كل حال (الناس) أربع طبقات بين امارة وتجارة وزراعة وصناعة فمن لم يكن منهم كان كلا عليهم (أربع) فى العلم كلها أولها أن تعرف ربك والثانى ان تعرف ما صنع بك والثالث أن تعرف ما أراد منك والرابع أن تعرف ما يخرجك من ذنبك (أربعة) أعداء للمؤمن شيطان يضله وكافر يقاتله ومنافق يفتنه ومؤمن يحسده (أربع) كلمات اجتمعت العرب والعجم عليها الاتحملن على قلبك مالا يطيق ولا تعملن عملا ليس لك فيه منفعة ولا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر (أربع) يهزمن العمر دخول الحمام على البطنة والمجامعة على الامتلاء وأكل القديد الجاف وشرب الماء البارد على الريق (أربعة) تذهب ماء الوجه الكذب والوقاحة والتكبر والنظر

الى

الى المقتول (أربعة) تزيد ماء الوجه الوفاء بالعهد والكرم والكلام الطيب وطاعة الله سبحانه وتعالى (أربع) تدل على حمق الرجل طول لحيته وشناعة كنيته وافراط شهوته ونقش خاتمه (أربعة) لا تدرك بأربع الشباب بالخضاب والغنى بالمنى والبقاء بالدواء والصحة بالحمية (أربع) من كنوز البر كتمان الفاقة وكتمان المصيبة وكتمان الوجع (لا ينبغي) للعاقل أن يخلى نفسه من أربع عدة لمعاد واصلاح لمعاش وفكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده ولذة في غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث (أربع) ترفع الرجل الى أعالى الدرجات وان قل علمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق (أربعة) أشياء لا تطلبها في آخر الزمان فانك لا تجدها لا تطلب عالما يعمل بعلمه فتبقى جاهلا ولا تطلب طعاما بغير شبهة فتبقى جائعا ولا تطلب صديقا بغير عيب فتبقى وحيدا ولا تطلب عملا بغير رياء فتبقى بلا عمل (أربعة) لا يزول معها ملك حفظ الدين واستكفاء الامين وتقديم الحزم وامضاء العزم وأربعة لا تثبت معها ملك غش الوزير وسوء التدبير وخبث النية وظلم الرعية (أربعة) تؤكد المحبة حسن البشر وبذل البر وقصد الوفاق وترك الشقاق (أربعة) من علامات الكرم بذل الندى وكف الاذى وتعجيل المثوبة وتأخير العقوبة وأربعة من علامات اللؤم افشاء السر واعتقاد الغدر وغيبة الاخوان واساءة الجوار (أربعة) من علامات الايمان حسن العفاف والرضى بالكفاف وحفظ اللسان واعتقاد الاحسان (أربعة) تتولد من أربعة الشر من الممازحة والبغض من المكادحة والوحشة من الخلاف والنبوة من الاستخفاف (أربعة)

لا تنتصف من أربعة الشريف من الدنيء والرشيد من الغوي والبر من الفاجر والمنصف من الجائر (أربعة) تؤدي الى أربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود الى السيادة والشكر الى الزيادة (أربعة) تعرف بأربعة الكاتب بكتابته والعالم بجوابه والحكيم بأفعاله والحليم باحتماله (أربعة) لا تستغني عن أربعة الرعية عن السياسة والجيش عن القادة والرأي عن الاستشارة والعزم عن الاستخارة (أربعة) تقوي البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان (أربعة) تمرض الجسم الكلام الكثير والنوم الكثير والاكل الكثير والجماع الكثير (أربعة) تقوي البصر الجلوس مستقبل القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجالس (أربعة) توهن البصر النظر الى العدو والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والجلوس مستدبر القبلة (أربعة) تزيد في العقل ترك فضول الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء (أربعة) يفرح بها القلب النظر الى الخضرة والنبات والى زرقة السماء الصاحية والى المحبوب والقعود على طرف ماء جار (أربع) يفنين العمر وان لم يفن قلة ذات اليد وفساد الولد وسوء الخلق وفقد الاخوان (أربع) خصال تلزم قلب من كانت الدنيا همه فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضي مداه وشغل لا تنفد أولاه وأمل لا يبلغ منتهاه (من) أعطى أربعا لم يحرم أربعا من أعطى الشكر لم يحرم المزيد ومن أعطى التوبة لم يحرم القبول ومن أعطى الاستخارة لم يحرم الخيرة ومن أعطى المشورة لم يحرم الصواب (أربعة) لا يقدر على مكافأتهم رجل بات وحاجته تغلغل في

مفاتيح

صدره حتى أصبح فقصدك بها ورجل افشى اليك سره فوضعك مكان قلبه ورجل ابتدأك بالسلام ورجل دعوته فاجابك (أربعة) اذا أفسدهم البطر لاتزيدهم التكرمة الافسادا الزوجة والولد والخادم والرعية (أربعة) ترتفع الرحمة عنهم اذا نزل بهم المكروه من كذب طبيبه فيما يصف له من دائه ومن تعاطى مالا يستقل باعبائه ومن بذل ماله فى لذاته ومن أقدم على ما حذر من آفاته (السعادة) أربع سلامة الخلقة وجودة العقل وتأتى المطلوبات والمحبة فى الناس (الجماع) أربعة فالاول شهوة والثانى لذة والثالث شفاء والرابع داء (الرجال) أربعة رجل يدرى و يدرى انه يدرى فذلك عالم فسلوه ورجل يدرى ولا يدرى انه يدرى فذلك غافل فنبهوه ورجل لا يدرى و يدرى انه لا يدرى فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدرى ولا يدرى انه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه (الناس) فى الخير أربعة منهم من يفعله ابتداء وهو الكريم ومنهم من يفعله اقتداء وهو الحكيم ومنهم من يتركه استحماما وهو الردى ومنهم من يتركه حرمانا وهو الشقى (أركان) الدين والدنيا أربعة الصبر والصدق والحلم والوفاء (أربعة) لا يدرى قدرها الا أربعة لا يعرف قدر الحياة الا الموتى ولا قدر الصحة الا المرضى ولا قدر العافية الا أهل البلاء ولا يعرف قدر الغنى الا الفقراء (اربعة) لا يطاقون عبد ملك ونذل شبع وأمة ورثت وقبيحة تزوجت

(ومن الشعر)

بأربعة أرجو نجاتى وانها * لأكرم مذخور لدى وأعظم
شهادة اخلاصى وحبى محمدا * وحسن ظنونى ثم انى مسلم

(فصل خمسة)

(فن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(خمس) لا يجتمعن الا في مؤمن حقا النور في القلب والفقه في الاسلام والورع في الدين والمودة في الناس وحسن السمت في الوجه (خمس) يفطرن الصائم وينقضن الوضوء الغيبة والنميمة والكذب والنظرة بالشهوة واليمين الغموس (خمس) دعوات لا ترد دعوة الغازي حتى يرجع ودعوة المريض حتى يبرأ ودعوة المظلوم ودعوة الصائم حتى يفطر ودعوة الرجل لاخيه بظاهر الغيب (خمس) لا يتعداهن كل عبد عمله وأجله وأثره ورزقه ومضجعه (خمس) من الايمان من لم يكن فيه شيء منهن فلا ايمان له التسليم لامر الله والرضى بقضاء الله والتفويض الى الله والتوكل على الله والصبر عند الصدمة الاولى (خمس) يقبحن في خمسة من الناس الفتوة في الشيخ والحرص في القراء وقلة الحياء في ذي الحسب والبخل في الاغنياء والحدة في ذوي القدرة (خمس) خصال من السعادة اليقين في القلب والورع في الدين والزهد في الدنيا والحياء والعقل وخمس خصال من الشقاء القسوة في القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة في الدنيا وطول الامل (خمس) تجب للمسلم على أخيه رد السلام وتشميت العاطس واجابة الداعي وعيادة المريض واتباع الجنائز

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(خمسة) تقبح بخمسة ضيق الذرع بذي المال وسرعة الغضب بالعلماء والبذاء بالنساء والمرض بالاطباء والكذب بالقضاة (لا تتم) مروءة الرجل الا بخمس أن يكون عالما عاقلا صادقا ذا بيان مستغنيا عن الناس

مفاتيح

مفاتيح الارزاق خمس حسن الخلق وحسن الجوار وكف الاذى وصدق الحديث وأداء الامانة (خمسة) من الاطعمة لوازم الوليمة والعقيقة والعذيرة والعتيرة والنقيعة فالوليمة طعام الاعراس والاملاك والعقيقة طعام أسبوع المولود والعذيرة طعام الختان والعتيرة الطعام الذى يبعث الى أهل الميت والنقيعة ان تكون بين القوم عداوة فيصطلح بينهم فيجتمعون على طعام انتهى والنقيعة أيضا طعام القادم من السفر (قال على رضى الله عنه) خمس خذوها عنى الالا يرجون أحد الا ربه ولا يخافون الا ذنبه ولا يستنكف أن يتعلم ماليس عنده واذا سئل عما لا يعلم فليقل لا أعلم والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد (خمسة) محرومون عزيز ذل وغنى قل وحبيب مل وفصيح كل وفقيه ضل

(ومن الشعر)

أقبل على صلواتك الخمس * كم مصبح وعساه لا يمسى

واستقبل اليوم الجديد بتوبة * تمحو ذنوب صحيفة الامس

(فصل ستة)

(فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم)

(ست) خصال من لقى الله تعالى ولم يفعل بهن دخل الجنة لم يشرك بالله شيئا ولم يسرق ولم يزن ولم يرم محصنة ولم يعص ذا أمر ويقول الحق أو يصمت (ست) ليال اجهدوا فيهن أنفسكم أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة عرفة وأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء (ست) خصال فى الزنا ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فاما اللواتى فى الدنيا يذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفناء وأما

اللواتى فى الآخرة فغضب الله تعالى وسوء الحساب والدخول فى النار (ست) خصال أكفلوهن لى أكفل لكم الجنة الصلاة والزكاة والصيام والبطن واللسان والفرج (ست) من المروءة ثلاثة منها فى الحضر تلاوة القرآن واتخاذ الاخوان وعمارة المساجد وثلاثة منها فى السفر بذل الزاد وحسن الخلق والمزاح فى غير معاصى الله

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(ست) خصال من كن فيه فهو انسان كامل الالفة والحياء والادب والانفة والشكر والرجاء (ستة) لا بقاء لها ظل الغمام وخلة الاشرار وعشق النساء والمال الكثير والسلطان الجائر والثناء الكاذب (ستة) من علامات الجاهل الثقة بكل انسان وأن لا يميز عدوه من صديقه وأن يفشى سره الى كل أحد من الناس وكثرة الكلام فيما لا يعنيه والغضب من غير شئ ووضع الشئ فى غير محله (فروع) الشر ستة حب الدنيا وحب الرياسة وحب الثناء وحب الشبع وحب النوم وحب الراحة (ستة) لا تفارقهم الكآبة حديث عهد بغنى ومكثر يخاف على ماله وطالب مرتبة فوق قدره والحسود والحقود وخليط أهل الادب وهو غير أديب (من) جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا من عرف ربه فأطاعه وعرف شيطانه فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها

(ومن الشعر)

ست بليت بها والمستعاذ به * من شرها من اليه الخلق يبتهل
نفسى وابليس والدنيا التى فتنت * من قبلنا والهوى والحرص والامل

ان

ان لم تكن منك يا مولاى واقية * من شرها فقد اعيت عبدك الحيل

(فصل سبعة)

(فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(سبعة) يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يرجع اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه (سبعة) لعنهم الله الزائد فى كتاب الله والمكذب بقدر الله والمستحل بحرم الله والمستحل من عترتى ما حرم الله والمتعدى بالجبروت ايذل ما أعز الله والمؤذى لاهل بيتى والتارك لسنتى

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(سبع) خصال من كانت فيه لم يعدم سبعا من كان جوادا لم يعدم الشرف ومن كان ذا وفاء لم يعدم المنة ومن كان صدوقا لم يعدم القبول ومن كان شكورا لم يعدم الزيادة ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السودد ومن كان منصفا لم يعدم العافية ومن كان متواضعا لم يعدم الكرامة (اللذات) اللاتى لا يملان سبع خبز البر ولحم الضأن والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطى والنظر الى الحسن من كل شئ (سبع) خصال لا توجد معهن غربة حسن الادب واجتناب الريب وكف الاذى وسعة الخلق واحتمال الصبر وجميل العشرة وصحبة الناس على أخلاقهم

(ومن الشعر)

جاء الصيام ومن صاداته بيدى * سبع فقد أكسبتني بالقبول ثقه
صوفيتي وصفائي في صلاحيتي * والصبر والصون ثم الصدق والصدقه

(فصل ثمانية)

(قال المؤلف) لم أجد في هذا الفصل حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم (قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) لابنه الحسن رضي الله عنه (يا بني) احفظ عني هذه الثمانية خصال لا يضرك ما عملت بهن شئ أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الحسب حسن الخلق واياك ومصاحبة الاحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك واياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب لك البعيد ويبعد عنك القريب واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك أحوج ما تكون اليه واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه اليسير

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(ثمانية) ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الآتي الى صنيع لم يدع اليه والمتأمر على رب البيت في بيته والداخل بين اثنين في حديث لم يدخلاه فيه والمستخف بالسلطان والجالس مجلسا ليس له بأهل والمقبل بحديث على من لا يسمعه وطالب الخير من أعدائه وطالب الفضل من اللئام (ثمانية) من أضيع الاشياء عالم بين جهال فلا يسئل عن علمه وعلم عند من لا يعمل به ورأى صواب عند من لا يقبل منه وآلة جهاد عند جبان ومسجد عند قوم لا يصلون فيه ومصحف عند من لا يقرأ فيه وطول عمر عند من لا يتزود فيه للمعاد ومال عند من لا ينفق منه في الحقوق والمواساة

جمع مفاة

(مفاتيح) الرزق فى ثمان فى حسن الخلق وحسن الجوار ولين الجانب وكف الاذى وصدق الحديث وأداء الامانة وحسن المعونة وقبول المعذرة

(ومن الشعر)

ثمانية قام الوجود بها فهل * ترى من محيص للورى عن ثمانيه
سرور وحزن واجتماع وفرقة * وعسر ويسر ثم سقم وعافيه
بهن انقضت أعمار أولاد آدم * فهل من رأى أحوالهم متساويه

(فصل تسعة)

(فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(امرنى ربى بتسع) خصال الاخلاص فى السر والعلن والعدل فى الرضى والغضب والقصد فى الغنى والفقر وان أعفو عن ظلمنى وأصل من قطعنى وأعطى من حرمنى وان يكون نطقى ذكرا وصمتى فكرا ونظرى عبرة

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(تسعة) أشياء تحتاج الى تسعة لا تصلح الا بها ولا تحسن الا معها العقل محتاج الى التجارب والنجدة محتاجة الى الجد والحسب محتاج الى الادب والسرور محتاج الى الامن والقرابة محتاجة الى الصداقة والشرف محتاج الى التواضع والعمر محتاج الى الصحة والمال محتاج الى الكفاية والاجتهاد محتاج الى التوفيق (شروط) العلم تسعة العقل والفطنة والذكاء والشهوة والكفاف من العيش والفراغ وعدم المانع وطول العمر ومعلم عارف سمح

(ومن الشعر)

بتسع ينال العلم قوت وصحة * وحرص وفهم ثاقب فى التعلم

ودرس وحفظ العلوم وهمة * وشرخ شباب واجتهاد معلم

(فصل عشرة)

(فمن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

سهام الاسلام عشرة خاب من لا سهم له فيها أولها شهادة أن لا اله الا الله وهى الملة والصلاة وهى الفطرة والزكاة وهى الطهر والصيام وهو الجنة والحج وهو الشريعة والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والطاعة وهى العصمة والجماعة وهى الالفة والغسل من الجنابة وهى السريرة

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

(عشرة) من أخلاق العاقل الحلم والعلم والرشد والعفاف والتعاون والحياء والرزانة والمداومة على الخير وكراهية الشر وطاعة الناصح (مكارم) الاخلاق عشرة العقل والدين والعلم والحلم والصبر والصدق والشكر والجود والرفق واللين

﴿ومن الشعر﴾

ان المكارم أخلاق مطهرة * فالعقل أولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها * والصبر خامسها والصدق سادسها

والشكر سابعها والجود ثامنها * والرفق تاسعها واللين عاشرها

والنفس تعلم من عيني محدثها ان * كان من حزبها أو من أعاديها

ولست محريٰ فى حال أصدقها * ولا أرى الرشد الاحين أعصيها

(وقد) ضرب بعض الحكماء مثل الحكمة والحكيم الذى يلقيها الى القلوب فقال ان الباذر خرج يبذر الطيب ليبذره فنثره فوقع بعضه فى أرض محجرة بل فى جنبات الطريق فلم يلبث ان اختطفه الطير فذهب به

ووقع

ووقع بعضه فى أرض محجرة الاأن عليها ندى وطينا فرسخ البذر فى ذلك الندى والطين ونبت شيأ حتى اذا وصلت عروقه الى الحجر لم يجد مساغا ينفذ فيه فتلف وفسد و يبس ووقع بعضه فى أرض رخوة الاأن فيها شوكا نابتا فنبت حتى اذا كان عند الاثمار خنقه الشوك فلم يأت بثمره ووقع بعضه فى أرض طيبة نقية ليست على ظهر طريق ولا على حجر ولا فيها شوك فنما وطاب وزكا ونبت وأثمر بجاءت الحبة باضعاف مضاعفة ثم فسره فقال فالباذر هو الحكيم الزارع الحكمة فى القلوب و بذره الطيب هو حكمته وموعظته الحسنة التى يلقيها الى القلوب والقلوب فى تلقى ذلك منقسمة الى الاقسام الاربعة المذكورة فمنها القاسى الذى اذا سمع الحكمة لم يعقد عليها لقساوته فلم تثبت فيه ومنها قلب ظاهره رقة و باطنه قساوة فهو فى أول سماع الحكمة يرق لها و يلذ بسماعها و يحن الى ذلك بتلك الرقة الظاهرة على قلبه ولا يعقد عليها بعزم لقساوته ومنها قلب يسمع الحكمة و يحبها و يحب العمل بها الاانه قلب قد امتحن باصوق الشهوات به حتى صارت له طباعا فاذا عزم على العمل بما سمع اعترضت له تلك الشهوات فمنعته من اقامة وظائفها وأفسدت عليه ما سمع فاختلط عليه أمره ولم يتم له مراده ومنها القلب النقى الصافى العالم بفضل الحكمة المؤثر لها الذى لاهمة له فى غيرها ولا شغل له الا بها ولم تعلق به شهوة تناقضها ولا داء يقطع عنها فهذا القلب الذى تنمى فيه الحكمة ايمانا وفهما وحفظا وعلما وقولا وعملا وتبلغ به الى أفضل العواقب وأعلى المراتب

(القسم الثانى فى السودد والمروءة)

(ومكارم الاخلاق ومداراة الناس)
(والتأدب معهم فى حالى الغنى والاملاق)

(اعلم) انه يجب على الانسان ان يتخلق بالاخلاق الموجبة للسيادة ويعتنى فى طلب المكارم والمجادة وأن لا يتشاغل عنها بسواها ولا يصرف همته الى ما عداها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) من أسرع به عمله لم يبطئ به حسبه ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه (قال) حكيم لحكيم ما السودد فقال اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة قال فما الشرف فقال كف الاذى وبذل الندى قال فما السناء فقال استعمال الادب ورعاية الحسب قال فما المجد فقال احتمال المغارم وابتناء المكارم قال فما المروءة فقال عرفان الحق وتعاهد الصنيعة قال فما السماحة فقال حب السائل وبذل النائل قال فما الكرم فقال صدق الاخاء فى الشدة والرخاء (قال بعض العلماء) الكرم هو اسم واقع على كل نوع من أنواع الفضل ولفظ جامع لمعانى السماحة والبذل فكل خصلة من خصال الخير وخلة من خلال البر وشيمة تعزى الى مكارم الاخلاق وسجية تضاف الى محاسن الطبائع والاعراق فهى واقعة على اسم الكرم فالكرم أبدا واقع على كل فعل من الافعال المرضية لازم لكل حال من الاحوال الجليلة السنية (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مكارم الاخلاق عشرة تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه وتكون فى الابن ولا تكون فى أبيه وقد تكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة وهى صدق الحديث وصدق البأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع

وحفظ

وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للصاحب وقرى الضيف وأسهن الحياء (ومن المنقول) فى تأليفنا كمال البغية والنيل فى باب حفظ السودد الواجب على ذى النسب الشريف والمجد الرفيع ان لا يجعل ذلك سلما الى التراخى عن الاعمال الموافقة لنسبه والاتكال على آبائه فان أشرف الانساب يحض على أفضل الاعمال والشريف بهذا أولى اذ كان الشرف يدعوا الى الشرف كما ان الحسن يدعو الى الحسن وأكثر الممدوحين انما مدحوا باعمالهم دون أنسابهم (وقد قال الشاعر) فى هاشم بن عبد مناف وهو امام ذوى الانساب

عمرو الذى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

فمدحه بفعله وان كان شفيعا رفيعا (واعلم) ان الناس أشد تحفظا على السيد الشريف فى قومه وأكثر اجتلاء لافعاله وتصفحا لاخلاقه وتنقيرا عن خصاله منهم عن خامل لا يعبأ به وساقط لا يكترث اليه فيسير عيب الرجل الجليل يقدح فيه وصغير الذنب يكبره (قال بعضهم) وشرف الوالد جزء من ميراثه منتقل الى ولده كانتقال ماله فان رعى وحرس ثبت وازداد وان أهمل وضيع هلك وباد وكذلك شرف الولد يعم القبيلة وللوالد منه الحظ الاكبر والقسم الاوفر (قال أبو على) حسن ابن رشيق والذى يقع عليه الاختيار عندهم قول المتوكل الليثى

انا وان أحسابنا كرمت * لسنا على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

(وقول عامر بن الطفيل)

وانى وان كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور فى كل موكب

فما سودتني عامر عن وراثة * أبى الله ان أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي * أذاها وارمي من رماها بمقنب

(وأنشد) أبو حيان للمنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر المعافري

واني لمقتاد الجيوش الى الوغى * اسودا تلاقيها اسود حواذر
لسدت بنفسي أهل كل سيادة * وفاخرت حتى لم أجد من أفاخر
وماشدت بنيانا ولكن زيادة * على مابني عبد المليك وعامر
رفعنا المعالي بالعوالي حديثة * وأورثناها في القديم معافر

(ومن بديع) الافتخار بالسودد وحفظه قول السموأل بن عاديا

صفونا فلم نكدر واخلص سرنا * اناثا أطابت حملنا وفحول
علونا الى خير الظهور وحطنا * لوقت الى خير البطون نزول
اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤل لما قال الكرام فعول

(قال أبو على حسن بن رشيق) وقد أنكر قدامة ان يمدح الانسان بآبائه دون أن يكون ممدوحا بنفسه (قال) والذى ذهب اليه حسن وأنكر الجرجاني على أبي الطيب المتنبي قوله

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي فخرت لا بجدودي

(قال) وهذا معنى سوء يقصر بالممدوح ويغض من نسبه ويحقر من شأن سلفه وانما طريقة المدح ان يجعل الممدوح يشرف بآبائه والآباء تزداد شرفا به فيجعل لكل منهم في الفخر حظا وفي المدح نصيبا (قلت) واذا كان هذا لا يجمل ولا يحسن في الشعر ويعد نقصا في معناه وهو من قبيل المجازات والتخيلات فكيف يجمل بالعاقل أن يرتضي ذلك حقيقة في ذاته ويهمل تأديب نفسه ويدع اكتساب المحامد واقتناء المكارم اتكالا على

حسب

حسب آبائه واعتمادا على كرم أسلافه ولو لم يسع آباؤه فى طلب المجد وكانوا كسالى عن ذلك لم يكن له بهم فخر ولا سمعالهم ذكر (قال)

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * ففى صالح الاخلاق نفسك فاجعل

(وقال بعضهم)

تزين الفتى أخلاقه وتشينه * وتذكر أفعال الفتى حيث لا يدرى

فالافعال المحمودة والاخلاق الجميلة توجب السودد والرياسة والافعال المذمومة والاخلاق الدنية تمنع من ذلك (وقد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب معالى الاخلاق ويكره سفسافها (قال الامام) أبو بكر الطرطوشى واعلم ان زهر الفضائل وحسن المناقب وبهاء المحاسن وما ضاد ذلك من قبح المثالب وفحش الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما أوتيته من علو المنزلة وشرف الحظوة فيكون حسنك أحسن ما يكون قبحك أقبح (قلت) فيجب على المرء أن يجهد نفسه فى الاقتداء بصالح سلفه ويرغب فى الاعمال اللائقة بمجده وشرفه وينافس فى المعالى ويسارع الى المكارم ليحفظ مزية آبائه الرفيعة لا ان يجعل تلك المزية للتقصير ذريعة (قال أبو الطيب)

ولم أر فى عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام

(وقال ابن المعلى لابنه) تشبه بأهل الفضل تكن منهم وتصنع للشرف تدركه واعلم ان كل امرئ حيث يضع نفسه وحسبك الحديث الوارد من تشبه بقوم فهو منهم (قال بعضهم) اعلموا ان مجدكم الذى بناه آباؤكم متى لم تعمروه بأفعالكم خرب وذهب (قال الشاعر)

المجد ان خان التليد طريفه * للمدعى فخرابه خوان

حسب الفتى عار ابه الابرى * الابذكر قديمه يزدان
وكفاه نبلا ان يكون لذاته * ان شال وزن قديمه رجحان
واتم ذلك مفخرا ما طابقت * فى طيهن أرومها الاغصان

(قال الامام أبو بكر بن أبى جمرة) وما أجدر بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد اذا الشرف والمجد لا يكونان الا بالآباء يقال رجل شريف ورجل ماجد اذا كان له آباء متقدمون فى الشرف وأما الحسب والكرم فيكونان فى الرجل وان لم يكن له آباء كرام لهم شرف يقال رجل حسيب ورجل كريم بنفسه فينبغى للرجل أن يطلب خلال آبائه المحمودة ويتبعها ويتعلمها ويعلمها والاصل فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارموا يا بنى اسمعيل فان أباكم كان راميا (و) اذا كان هذا فى الرمى فما ظنك بغيره (قال الله تعالى) حاكيا عن الكريم ابن الكريم واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب (وعلى) الجملة ففى معارج الخلف على مدارج السلف فخر الشرف وذلك معتبر فى النسب عند العجم والعرب (وفى الخبر) المرفوع من نعمة الله على الرجل أن يشبه والده (ذكر أبو عثمان الجاحظ) فى كتاب البيان والتبيين ان عمرو بن سعيد دخل على معاوية بعد موت أبيه وعمرو يومئذ غلام فقال له معاوية الى من أوصى بك أبوك يا عمرو وقال ان أبى أوصى الى ولم يوص بى قال وبأى شئ أوصاك قال أوصانى أن لا يفقد اخوانه منه الا شخصه فقال معاوية لاصحابه ان ابن سعيد هذا الأشرف (قال الشاعر)

ان القديم اذا ما ضاع آخره * كساعد فله الايام مجذوم

(وقال مسلم بن الوليد)

واذا

لأشدق

واذا جهلت من امرئ اعراقه * وقديمه فانظر الى ما يصنع

(وقال ابن الرومي)

اذا شئت تعرف أصل الفتى * أجل لحظ طرفك في منظره

فان لم يبن لك فانظر الى * أفاعله فهي من جوهره

وان غاب عنك هذا وذا * فلا تطلبن سوى مخضره

فان المحاضر سبر الرجال * بها يعرف النذل من مخبره

بلوت الرجال وأخبارهم * فكل يعود الى عنصره

(وقال أبو الفتح كشاجم)

واذا افتخرت بأعظم مقبورة * فالناس بين مكذب ومصدق

فأقم بنفسك لانتسابك شاهدا * بحديث مجد للقديم محقق

(قال بعض الحكماء) من جمع الى شرف أصله شرف نفسه فقد استدعى الفضل بالحجة ومن أغفل نفسه واعتمد على شرف آبائه فقد عقهم واستحق أن لا يقدم بهم على غيرهم (و) الافتخار نوعان فخر الانسان بنفسه وفخره بسلفه (و) الكمال في الجمع بين الامرين (قال الشاعر)

ما السودد المكسوب الادون ما * يومي اليه السودد المولود

فاذا هما اجتمعا تكسرت القنا * ان غوليا وتضعضع الجلمود

(أما) فخر الانسان بنفسه فهو الذي تسميه العرب الخارجي يريدون انه خرج من أولية كانت له (قال كثير في الخارجي)

أبا مروان لست بخارجي * وليس قديم مجدك بانتحال

وكل من كان لخارجية ليس له قديم قيل له عصامي وكذلك من يفخر بالآباء وليس بشريف في نفسه يقال له عظامي ولذلك قالوا كن عصاميا لا عظاميا

اى افتخر بنفسك لا بآبائك الذين ماتوا وبقيت عظامهم (قلت) وهذا ترغيب فى الافعال المحمودة والاخلاق الجميلة (و) هو الذى أراد أبو الطيب (بقوله)

ولست بقانع من كل فضل * بان أعزى الى جد همام
وآنف من أخى لأبى وأمى * اذا لم أجده من الكرام

وعصام المذكور هو عصام بن شهبر حاجب النعمان الذى يقول فيه النابغة الذبيانى

فانى لا ألام على دخول * ولكن ما وراءك يا عصام

(وفيه قيل)

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما
وجعلته ملكا هماما

أى انه انما شرف بهمته وقدره لا لقديم كان له (قال المأمون) لرجل عنده يفخر بنسبه أنت عظامى لا عصامى أراد المأمون قول الشاعر

نفس عصام سودت عصاما

(وقول الآخر)

اذا ما الحى عاش بعظم ميت * فذاك العظم حى وهو ميت

(ومن وصية الرشيد للمأمون) المذكور لا تتكل على أن تقول كان أبى الرشيد واعمل على ما يتكل عليه من يقول كان أبى المأمون (وذكر أبو عثمان الجاحظ) ان زياد بن ظبيان التميمى قال لابنه عبيد الله بن زياد وزياد يومئذ يجود بنفسه وعبيد الله غلام يا بنى الا أوصى بك الامير قال لا قال ولم قال اذا لم يكن للحى الا وصية الميت فالحى هو الميت (قال أبو

أبو العباس المبرد في كتاب الكامل) قال الكلبي قال لي خالد بن عبد الله
القشيري ما تعدون السودد فقلت أما في الجاهلية فالرياسة وأما في
الاسلام فالولاية وخير من ذا وذاك التقوى فقال لي صدقت كان أبي
يقول لم يدرك الاول الشرف الا بالفعل ولا يدركه الآخر الا بما أدركه به
الاول (وانتسب) رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ
عشرة آباء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسب الا بالتواضع ولا
نسب الا بالتقوى ولا عمل الا بالنية ولا عبادة الا باليقين (قال الشاعر)

لعمرك ما الانسان الا بدينه * فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس * وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

(وقال الراعي)

لم أجد عروة الخلائق الا الـ * ـدين لما اختبرت والحسبا

(وقال منصور الفقيه).

اذا جمع الفتى حسبا ودينا * فلا تعدل به أبدا قرينا

(قال أبو عمرو بن العلاء) كان أهل الجاهلية لا يسودون الا من كانت فيه
ست خصال وتمامها في الاسلام سابعة السخاء والنجدة والصبر والحلم
والبيان والحسب وفي الاسلام زيادة العفاف (وقيل لقيس بن عاصم)
بم سودك قومك قال بكف الاذى وبذل الندى ونصرة المولى (قال)
وجيه الدين أبو المطاع بن حمدان

وما يدعى باسم السيادة سيد * اذا لم تكن فيه خلائق أربع
يحن الى العلياء ويغضي على القذى * ويسخو بما تحوي يداه ويشجع

(وقال الاشعث بن قيس) يوما لقومه انما أنا رجل منكم ليس لي فضل

القسري

عليكم لكنى ابسط لكم وجهى وأبذل لكم مالى وأقضى حقوقكم وأحوط حريمكم فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ومن زاد على فهو خير منى ومن زدت عليه فانا خير منه قيل له يا أبا محمد ما يدعوك الى هذا الكلام قال حضهم على مكارم الاخلاق (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (ولما) أتى صلى الله عليه وسلم بسبايا طيئ كانت فى السبايا جارية جميلة فصيحة فقالت يا رسول الله بل يا محمد هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت ان تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فانى بنت سيد قومى كان أبى يفك العانى ويحمى الذمار ويقرى الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ولم يرد سائلا قط أنا بنت حاتم طيئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك مسلما لترحمت عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق (ولما) توفى عبد الله بن طاهر صلى عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه وأعتق عنده كل زاوية من زوايا قبره رقبة من غلمانه وفعل ذلك اخوته ودفع كل رجل منهم الى كل غلام خمسمائة درهم وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولدا ذكرا فقال أبو العميثل الاعرابى الشاعر لمصعب بن عبد الله وكان يختص بطاهر وينادمه ألا أدلك على شئ تفعله فتتقدم به سائر اخوتك عند الامير طاهر قال بلى فأنشده هذه الابيات وقال اكتب بها الى الامير

يا من يحاول ان تكون خلاله * كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلأصدقنك بالنصيحة والذى * حج الحجيج اليه فاقبل أودع
ان كنت تطمع أن تحل محله * فى المجد والشرف الاشم الارفع

فاصدق

فاصدق وعف وبر وانصر واحتمل * واحلم ودار وكاف واصبر واخشع
والطف ولن وتأن وارفق واتئد * واحزم وجد وحام واحمل وادفع
هذا الطريق الى المكارم مهيعا * فابصر فقد أسلكت قصد المهيع

فاستحسن طاهر الابيات وقال والله لقد أفدتني عجائب به شكوك على فقلاده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين وأكسبه ألف ألف درهم (وقد) جمعت هذه الابيات خلال المكارم وموجبات السودد وتفاريق المروءة (وكان) سلم بن نوفل سيد كنانة فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما فأتى به اليه فقال له من أمنك من انتقامي قال ماسودناك الا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الزلة وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه قال صدقت وخلى سبيله (وفي) سلم هذا يقول الشاعر

نسود أقواما وليسوا بسادة * بل السيد المعلوم سلم بن نوفل

(قيل لعرابة الاوسي) بم سودك قومك قال بأربع خلال انخدع لهم في مالي وأذل لهم في عرضي ولا أحقر صغيرهم ولا أحسد كبيرهم (وفي) عرابة الاوسي يقول الشاعر

رأيت عرابة الاوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا مارابة رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(وقال بعضهم)

ان السيادة فاعلمن مؤنة * لولا صعوبتها لساد الرذل
ماكل من طلب السيادة نالها * مانالها الا الجواد المفضل
يمسي ويصبح بالهموم موكلا * وأخو المكارم بالهموم موكل
وتراه من طلب العلا سالي الحلا * وكذاك من طلب المعالي يفعل

(وقال أبو الطيب)

اذا لم يكن للمرء فضل ولم يكن * يدافع عن اخوانه لم يسود
وكيف يسود الناس من كان دهره * بلا منة منه عليهم ولا يد

(وكان) أسماء بن خارجة الفزاري سيد أهل الكوفة فقال له يوما عبد الملك ابن مروان ما أشياء تبلغني عنك يا أسماء فقال حدثك غيري عني يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك وعلى ذلك فأحب أن أسمعها منك يا أسماء فقال نعم يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط مخافة أن يرى أني تكبرت عليه ولا سألني رجل قط حاجة فكان أكبر همي من الدنيا الا قضاء حاجته ولا أكل رجل عندي قط أكلة الا كان له الفضل على أيام حياتي ولا ظلمني رجل قط بظلامة الا رأيت عقوبتها العفو عنه فقال عبد الملك حسبك بهذا شرفا يا أسماء ثم أنشد عبد الملك يقول

اذا ما مات خارجة بن حصن * فلا مطرت على الارض السماء
ولا رجع الوفود بغنم عيش * ولا حملت على الطهر النساء
ليوم منك خير من أناس * كثير حولهم نعم وشاء
فبورك في بنيك وفي بنيهم * اذا ذكروا ونحن لك الفداء

وهذه الابيات لعبد الله بن الزبير الاسدي في مدح أسماء بن خارجة المذكور ولها حكاية تتعلق بها ليس هذا الباب موضع ذكرها (قال الشاعر)

والابن ينشا على ما كان والده * ان العروق عليها ينبت الشجر

(قال جميل بن معمر)

أرى كل عود نابتا في أرومة * أبى منبت العيدان أن يتغيرا

بنوا

بنوا الصالحين الصالحون ومن يكن * لآباء صدق يلقهم حيث صيرا

(وقال زهير بن أبي سلمى) في قصيدته التي مدح بها قوم سنان بن حارثة المرى

لا رتحلن بالفجر ثم لادابن * الى الليل الا أن يعرجني طفل

الى معشر لا يورث اللؤم جدهم * أصاغرهم بل كل مجد له نجل

فما يك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطي الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

(وهذا) البيت من أشرد مثل قيل في شبه البنين بالآباء ان مجدا فمجدوان لؤما فلؤم (وقال بشر بن هذيل) الفزاري وهو أحد قومنا

ولا تنظري ما يعجب العين وانظري * الى عنصر الاحساب أين يؤل

فكم قد رأينا من فروع طويلة * تموت اذا لم يحيهن أصول

ومن محض النصيحة بمقتضى مضمون هذا الباب قول ابن دريد

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

(وكان أبو عمرو بن العلاء) يتمثل بقول الشاعر في معناه

وسيبقى الحديث بعدك فانظر * خير أحدوثة تكون فكنها

(قال أزدشير) الايام صحائف آجالكم فخلدوا فيها أحسن أعمالكم

(وقد) قال المفسرون في قول الله عز وجل عن خليله ابراهيم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي ثناء حسنا انتهى المنقول من تأليفنا المذكور (ومن المنقول) من غيره في هذا الفصل قيل لعدى بن حاتم ما السودد فقال يكون السودد في الرجل الاخرق في ماله الذليل في عرضه المطرح لحقده (وقالوا) يسود

المرء بأربعة أشياء بالعقل والادب والعلم والمال (قال عبيد بن الابرص)

اذا أنت لم تعمل برأى ولم تطع * أولى الرأى أو تسكن الى أمر مرشد

ولم تجتنب ذم العشيرة كلها * وتدفع عنهم باللسان وباليد

وتحلم عن جهالها وتحوطها * وتقمع عنها نخوة المتهدد

فلست وان عللت نفسك بالمنى * بذى سودد باد ولا قرب سودد

(قال قس بن ساعدة) من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه

(قال الشاعر)

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتنى الا بأعمدة * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فان تجمع أوتاد وأعمدة * يوما فقد بلغوا الامر الذى كادوا

تهدى الامور بأهل الخير ما صلحت * فان تولت فبالاشرار تنقاد

(وقيل لبعض الحكماء) متى يبلغ الرجل درجة الكمال قال اذا اتقى من خلقه وجاد بما رزقه فذلك الذى أنهج الى الكمال طرقه (قال ابن سلام)

اذا كنت صبارا لدفع الشدائد * وسطوة جبار وجفوة صاحب

ودنت بمنع النفس عن شهواتها * ونيل هواها خوف سوء العواقب

فقد حزت أشتات المكارم كلها * وأحرزت سبق الفضل من كل جانب

(قال على بن أبى طالب رضى الله عنه) ان الله تعالى جعل مكارم الاخلاق ومحاسنها وصلا بينكم وبينه بحسب الرجل أن يتصل اليه بخلق منها (وقال بعضهم) اذا رغبت فى المكارم فاجتنب المحارم قال بعض الحكماء من أخذ نفسه بمكارم الاخلاق جرى من الفضل فى ميدان السباق

فاستوجب

فاستوجب حسن الثناء بالاستحقاق (وقالوا) بكثرة الصمت تكون الهيبة و بعدل المنطق تكون الجلالة و باحتمال السودد يجب السودد وبحلمك عن السفيه يكثرانصارك عليه و بنفي العجب عنك تأمن الحاسدين و بترك مالا يعنيك يتم الفضل فيجب على المرء أن يأخذ نفسه مااستطاع بمتابعة أهل الفضل والاقتدا بأهل العقل والنبل واجتناب مقاصد أهل النقص والجهل فيتحلى بحسن الشمائل و يسبق فى مضمار الفواضل (قال عمرو بن العاص) فى كل شئ سرف الا فى ابتناء مكرمة واصطناع معروف قال الشاعر

ولم أرأمثال الرجال تفاوتوا * الى المجد حتى عد ألف بواحد

(وقال الشاعر)

اذا أعجبتك خصال امرئ * فكنه تكن مثل مايعجبك
فليس على المجد والمكرمات * اذا جئتها حاجب يحجبك

(الفصل الاول فى الادب)

(قالت الحكماء) الادب أحد المنصفين (وقالوا) نعم العون لمن لاعون له الادب (وقال الاحنف) الادب نور العقل كما ان النار فى الظلمة نور البصر (واعلم) ان الادب كما قيل أربعة أدب لسان وأدب جنان وأدب زمان وأدب ايمان فادب اللسان الفصاحة والبلاغة وذكر ماصدر عن أربابها وأدب الجنان الانقياد والسهولة والتزين بهما وأدب الزمان سيرة كبراء أهله فى مخاطباتهم وتصرفاتهم وحفظ أخبارهم وأدب الايمان ماجاء به الشرع من المحاسن المكملة فى الاخلاق والاقوال والافعال (وقال بعض العلماء) الادب على ثلاثة أقسام كسبى وطبيعى وصوفى

(أما) الادب الطبيعي فهو ما يفطر عليه الانسان من الاخلاق الحسنة السنية والاتصاف بالصفات المرضية مثل الحلم والكرم وحسن الخلق والحياء والتواضع والصدق وترك الحسد الى غير ذلك من الصفات المحمودة التي يطول هنا استقصاؤها ولا يمكن استيفاؤها وكلها انعم من الله سبحانه على عباده لاشتمالها على المكارم والمآثر واحتوائها على المحاسن والمفاخر (وأما) الادب الكسبي فهو ما يكتسبه الانسان بالدرس والقراءة والحفظ والنظر وهو عبارة عن ستة أشياء الكتاب والسنة والنحو واللغة والشعر وايام الناس (واما) الادب الصوفي فهو ضبط الحواس ومراعاة الانفاس (وقيل) الادب ادبان ادب شريعة يؤدى به الفرض وادب سياسة تعمر به الارض فأدب السياسة كما قال ابن القرية للحجاج وقد سأله ما الادب هو تجرع الغصة حتى تمكن الفرصة وادب الشريعة كما قال اعرابي في مجلس معتمر بن سليمان ادب الدين هو داعية الى التوفيق وسبب الى السعادة و زاد من التقوى وهو ان تعلم شرائع الاسلام وأداء الفرائض وان تأخذ لنفسك بحظها من النافلة وتؤيد ذلك بصحة النية واخلاص اليقين وحب الخير شافيا به مبغضا للشر نازعا عنه ويكون طالبك للخير رغبة في ثوابه ومجانبتك للشر رهبة من عقابه فتفوز بالثواب وتسلم من العقاب ذلك اذا اعتزلت الذنوب الموبقات وآثرت الحسنات المنجيات (وقيل) التأدب نوعان ما يلزم الانسان في تأديب ولده أو فيمن يلزمه تأديبه وهو ان يأخذه بمبادى الادب ليأنس بها حتى تصير له كالطبع وما يلزم الانسان في تأديب نفسه (فاما) ما يلزم الانسان في تأديب نفسه فقسمان

أدب مواضعة واصطلاح وأدب رياضة واصطلاح (فالاول) ما اصطلح عليه العقلاء واستحسنه الادباء والثاني ماهو محمول على حال لا يجوز في العقل أن يكون على خلافها (قال المفضل) رأس الادب معرفة الرجل نفسه (وقال بعضهم) رأس الادب المنطق ولا خير في قول الا بفعل ولا في مال الا بجود ولا في صدق الا بوفاء ولا في فقه الا بورع ولا في صدقة الا بنية (لما دخل) ضمرة بن ضمرة على المنذر بن ماء السماء وهو اذ ذاك ملك الحيرة واليمامة وكان ضمرة ذا عقل وعلم وحلم وحكمة وشجاعة الا انه كان دميم الخلقة قصير القامة وكان ذكره قد شاع في الآفاق لما فيه من الخصال المحمودة فلما رآه المنذر احتقره لدمامة خلقته وقصر قامته فقال سماعك بالمعيدي خير من ان تراه فقال له ضمرة أيها الملك ليس المرء بحسنه وجماله وبهائه وكماله وهيئته وثيابه لا والله حتى يشرفه أصغراه لسانه وقلبه ويعلو به أكبراه همته ولبه وقد قال الشاعر

وما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور

(وقال آخر)

رأيت العز في أدب وعلم * وفي الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم بفخر * اذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيبا ان تراه * له وجه وليس له لسان

(وفي هذا المعنى قول بعضهم)

وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته ونقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

(ودخل) المختار بن أبي عبيد على معاوية وكانت عليه عباءة رثة فاستحقره فقال له المختار يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك ولكن يكلمك من فيها (وأنشد)

أما وان كان أثوابي ملفقة * ليست بخز ولا من نسج كتان
فان في المجد همات وفي لغتي * فصاحة ولساني غير لحان

وقولهم فلان لا أصل له ولا فصل الاصل الحسب والفصل اللسان (قالت الحكماء) جاهك بالمال انما يصحبك ما صحبك المال وجاهك بالادب غير زائل

(قال علي بن الجهم)

لو قيل لي تملك الدنيا بأجمعها * ولا تكون اديبا تحسن الادبا
لقلت لا ابتغي هذا بذاك ولا * ارى الى غيره مستدعيا اربا
مجالسة مع اديب في مذاكرة * أنفي به الهم أو استجلب الطربا
أشهى الي من الدنيا وزخرفها * وملئها فضة أو ملئها ذهبا

(وقال بزرجمهر) ما ورث الآباء الابناء خيرا من الادب لان بالادب يكسبون المال وبالجهل يتلفونه (قال الشاعر)

يطيب العيش ان تلقى أديبا * غذاه العلم والرأى المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل * وفضل العلم يعرفه الاديب

وقالت الحكماء الادب أفضل من الحسب لان الرجل ينطق به فيعرف قبل حسبه ومن فقد نسبه نهض به أدبه (فالادب) أكرم الجواهر وانفسها فانه يرفع الخسيس ويفيد الرغائب ويعز بغير عشيرة ويكثر الانصار بغير روية فالبسوه حلة تزينوه حلية يؤنسكم في الوحشة ويجمع لكم

لكم القلوب المختلفة ويكسبكم خير العاجلة والآجلة (قال) شعيب بن شيبة اطلبوا الادب فانه عون على المروءة وزيادة فى العقل وصاحب فى الغربة وصلة فى المجالس (وقد) جمع الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جملة من الادب فى قوله سبحانه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وامر بذلك عباده فيجب على الانسان ان يؤدب نفسه قبل ان يأدب لسانه وان يهذب أخلاقه قبل ان يهذب ألفاظه (قال) أبو بكر بن شيبة قيل للعباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو أكبر منى وانا اسن منه (وقال بعضهم) الاديب من اعتصم بعز الادب من ذلة الجهل ولم يتورط فى هفوة وكان ادبه زلفة له فى دنياه واخراه (وقال عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز) قال لى رجاء بن حيوة ما رأيت رجلا أكمل أدبا ولا أجل عشرة من أبيك وذلك انى سهرت معه ليلة فبينما نحن نتحدث اذ غشى المصباح وقد نام الغلام فقلت له يا أمير المؤمنين قد غشى المصباح افنوقظ الغلام ليصلح المصباح فقال لا تفعل فقلت أفتأذن لى ان اصلحه فقال لا لانه ليس من المروءة ان يستخدم الانسان ضيفه ثم قام هو بنفسه وحط رداءه عن منكبيه واتى الى المصباح فأصلحه وجعل فيه الزيت واشخص الفتيل ثم رجع واخذ رداءه وجلس ثم قال قمت وانا عمر بن عبد العزيز وجلست وانا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه (ووصف) الشعبى ادب عبد الملك بن مروان فقال والله ما اعرفه قط الا آخذا بثلاث تاركا الثلاث آخذا بحسن الحديث اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر المؤنة اذا خولف تاركا للمعاورة مع اللئيم ومماراة السفيه ومنازعة اللجوج (قال)

بعض الحكماء من لزم الادب أمن من العطب (وقال بزرجمهر) أفضل منازل الشرف لاهل العلم والادب (وقال) عبد الملك بن مروان لبنيه يا بني لو عدا كم ما أنتم فيه ما كنتم تعولون عليه فقال الوليد أما أنا ففارس حرب وقال سليمان أما أنا فكاتب سلطان وقال ليزيد فأنت فقال يا امير المؤمنين ما ترك غاية لمختار فقال عبد الملك فأين أنتم عن التجارة التي هي أصلكم ونسبكم قالوا تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة ولا ينجو صاحبها من الدخول في جملة الدهماء والرعية قال فعليكم اذن بطلب الادب فان كنتم ملوكا سدتم وان كنتم وسطا رأستم وان أعوزتكم المعيشة عشتم (ومن) المنقول في تأليفنا كمال البغية والنيل الادب أدبان أدب الغريزة وهو الاصل وأدب التعلم وهو الفرع ولا يتفرع شيء الا عن أصله ولا ينمى الاصل الا باتصال المادة (قال الشاعر)

ولم أر فرعا طاب الا باصله * ولم أر بدا العلم الا تعلما

(وقال آخر)

من خانه نسب فليطلب الادبا * ففيه منبهة ان حل أو ذهبا

فاطلب لنفسك آدابا تعزبها * حتى تسود بها من يملك الذهبا

ان الاديب ليحيي ذكر والده * كالغيث يحيي نداه حيثما انسكبا

(قال ابن أبي دؤاد) الادب المترادف خير من النسب المتلاحف (وكان) يقال لا زينة أحسن من زينة الادب ولا حسب لمن لا أدب له ولا أدب لمن لا مروءة له ومن كان من أهل الادب ممن لا حسب له فقد يبلغ به أدبه مراتب ذوي الاحساب (قال الشاعر)

كن ابن من شئت واكتسب * أدبا يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

(وتكلم) عند عبد الملك بن مروان رجل وذهب كل مذهب فأعجب عبد الملك فقال ابن من أنت فقال ابن نفسي التى توسلت بها اليك
(قال الشاعر فى معناه)

أنا ابن نفسي وهمتي حسبي * ما أنا مولى ولا أنا عربى
ان انتمى منتم الى أحد * فاننى منتم الى أدبى

(قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه) من قعد به أدبه لم يرفعه حسبه
(وقال الشاعر)

خير ما ورث الرجال بنيهم * أدب صالح وحسن ثناء
ذاك خير من الدنانير والاو * راق فى يوم شدة ورخاء
تلك تفنى والدين والادب الصا * لح لا يفنيان حتى اللقاء

(قال) محمد بن الحنفية أفضل ما ورث الآباء الابناء الادب النافع والثناء الحسن والاخوان الصالحون (وكان) يقال فى الجاهلية الجهلاء شخص بغير أدب كجسم بلا روح وكلفظ بغير معنى (وقيل) لارسطاطاليس ما أحسن الحيوان قال الانسان المزين بالادب وقال بعض العرب ان لكل شئ ذؤابة وذؤابة الشرف العقل والادب وان لكل شئ عروة وعروة العز الادب (قال الشاعر)

ما وهب الله لامرئ هبة * أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان عدما * ففقده للحياة أليق به

(وقال الزهرى)

لم يركب العزم من لم يركب الادبا

(وقال أكثم بن صيفى) أفسد كل حسب من ليس له أدب (قال شهاب الدين القرافى) ومن نفاسة الادب وكثرة جدواه ان قليله خير من كثير العمل ولذلك هلك ابليس لعنه الله وضاع أكثر عمله بقلة أدبه نسأل الله السلامة فى الدنيا والآخرة (وقالوا) حسب الرجل مروءته وحسن فعله فاذا كان الرجل طاهر الاثواب كثير الاداب صلح بصلاحه وتأدب بأدبه جميع أهله (قال الشاعر)

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعديهم داء الفساد اذا فسد

يعظم فى الدنيا لفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت فى الاهل والولد

انتهى المنقول من تأليفنا المذكور (ومن) المنقول فى تأليفنا المذكور مقالات الادباء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجات اليه وان كان مقترا ومن لم تكن استفادة الادب أحب اليه من الاهل والمال لم ينجب (دخل) أعرابى على أبى جعفر المنصور فتكلم فأحسن فأعجبه كلامه فقال له المنصور سل حاجتك فقال يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويزيد فى سلطانك قال المنصور لابد فى كل وقت يمكننى أن آمر لك بما تحب فقال والله يا أمير المؤمنين ما استقصر عمرك ولا أخاف بخلك ولا أغتنم مالك وان سؤالك لزين وان عطاءك لشرف فأطال الله للامة بقاءك وأحسن عنها جزاءك فأمر المنصور بشوفه جوهرا وكتبه فى العطاء (ودخل) رجل يوما على الاسكندر رث الهيئة فتكلم فأحسن وسئل فأصاب الجواب فقال له الاسكندر لو اعطيت جسمك حقه من الزينة كما

أعطيت

أعطيت نفسك حقها من العلم والمعرفة لا شبه بعضك بعضا فقال له أيها الملك أما الكلام فأقدر عليه فانى مالكه وأما الزينة فلا اقدر عليها لانى لا املكها فعلم انه يحتاج فخلع عليه واحسن اليه وقربه (ودخل) بعض العلماء على الرشيد وكان دميم الصورة قصير القامة فاستحقره الرشيد فقال ما اقبح هذا الوجه فقال العالم يا امير المؤمنين ان حسن الوجه ليس مما يتوسل به الى الملوك هذا يوسف عليه السلام احسن الناس وجها قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم ولم يقل انى حسن الوجه جميل قال صدقت ارتفع فرفع قدره وقرب مجلسه (ومن) الواجب على من عرى من الادب وتخلى عن المعرفة والفهم ولم يتحل بالعلم ان يلزم الصمت ويأخذ نفسه به فان ذلك حظ كبير من الادب ونصيب وافر من التوفيق لانه يأمن من الغلط ويعتصم من دواعى السقط فالادب راس كل حكمة والصمت جماع الحكم (قال الشاعر)

وفى الصمت ستر للعيى وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلما

(قال ابن عائشة) كان شاب حسن الوجه يجالس الاحنف ويطيل الصمت فأعجب به الاحنف فخلت الحلقة يوما فقال له تكلم يا ابن اخى فقال يا عم لو ان رجلا سقط من شرافة هذا المسجد أكان يضره شئ فقال الاحنف ليتنا تركناك مستورا (قيل) لابزرجمهر أى الاشياء خير للمرء قال عقل يعيش به قيل فان لم يكن قال فاخوان يسترون عليه قيل فان لم يكونوا قال فمال يتحبب به الى الناس قيل فان لم يكن مال قال فادب يتحلى به قيل فان لم يكن قال فصمت يسلم به قيل فان لم يكن قال فموت يريح منه العباد والبلاد (قال يحيى بن خالد) ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى

يتكلم فان كان فصيحا عظم شأنه فى صدرى وان كان مقصرا سقط من عينى (قال الشاعر)

لسان المرء ينبئ عن حجاه * وعى المرء يستره السكوت

(و) كان يقال الجمال فى اللسان والمرء مخبوء تحت لسانه (واعلم) ان على الجوارح أدبا فالبصر ينظر به لاخوانه نظر المودة والسمع أن يسمع منهم مشتهيه لحديثهم واللسان يكلمهم بما يحبون بمقدار فهمهم وعلمهم واليدان تكونان مبسوطتين لهم بالبر والمعذرة والرجلان على حد التبع ولا يتقدمهم ولا يقعد الا بقعودهم الى غير ذلك من الادب والآداب مع اختلافها بتنقل الاحوال وتغير العادات لا يقدر على حصرها وانما يعرف الانسان ما بلغه وسمعه من آداب أهل زمانه (قال ابن مسعود) ان كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه وان أدب الله هو القرآن ولولا ما قد جبلت عليه النفوس من ارتياحها الى أنواع مختلف وارتياحها بل واستروحها الى فنون تستطرف لكان كتاب الله كافيا وذكر غيره مستحسنا

(الفصل الثانى فى المروءة)

(اعلم) ان المروءة دالة على كرم الاعراق باعثة على مكارم الاخلاق (و) هى مراعاة الاحوال التى يكون الانسان على أفضلها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته (وقال) عليه السلام لا دين الا بمروءة (وقال) عليه السلام المروءة فى الاسلام استحياء المرء من الله أولا ثم من نفسه آخرا (قال ابن سلام) حد المروءة رعى مساعى البر ورفع دواعى الضر والطهارة من

جميع

جميع الادناس والتخلص من عوارض الالتباس حتى لا يتعلق بحاملها لوم ولا يلحق به ذم ومامن شئ يحمل على صلاح الدين والدنيا و يبعث على شرف الممات والمحيا الا وهو داخل تحت المروءة (قيل) لبعض الحكماء ما المروءة قال طهارة البدن والفعل الحسن (وقال بعضهم) من سلك المروءة سبيلا أصاب الى كل خير دليلا (وسئل بعضهم) أى الخلال أجمع للخير وأبعد من الشر وأحمد للعقبى فقال الجنوح الى التقوى والتحيز الى فئة المروءة (وقال بعض العلماء) اتق مصارع الدنيا بالتمسك بحبل المروءة واتق مصارع الاخرى بالتعلق بحبل التقوى تفز بخير الدارين وتحل أرفع المنزلتين (وقال بعضهم) اذا طاب رجلان أمرا ظفر به أعظمهم مروءة (قال الشاعر)

كمال المروءة صدق الحديث * وستر القبيح عن الشامتينا

(قيل) للاحنف بن قيس ما المروءة قال صدق اللسان ومواساة الاخوان (وعن ابن عباس رضى الله عنه) قال رفع رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى جرم اقترفه فاراد معاقبته فاخبر ان له مروءة فقال استوهبوه من صاحبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن عقوبة ذى المروءة مالم تبلغ حدا واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه وأسباب المروءة انما هى مرتبطة بشرف النفس وعلو الهمة اذا اجتمعا ولم يتفرقا (قال بعض الحكماء) المروءة سجية جبلت عليها النفوس الزكية وشيم طبعت عليها الهمم العلية وضعفت عنها الطباع الدنية فلم تطق حمل أشرافها السنية (وقال) غيره لا يدرك المروءة الا من حوى خصالها وجمع خلالها (و) فى ذلك يقول الشاعر

ان المروءة ليس يدركها امرؤ * ورث المكارم عن أب فاضاعها
أمرته نفس بالدناءة والخنا * ونهته عن سبل العلى فاطاعها
فاذا اصاب من المكارم خلة * يبنى الكريم بها المكارم باعها

(قال ابن عائشة القرشى) لولا ان المروءة صعب محلها لما ترك اللئام للكرام منها بيتة ليلة (و) للمروءة وجوه وآداب لا يحصرها عدد ولا حساب وقلما اجتمعت شروطها قط فى انسان ولا اكتملت وجوهها فى بشر فان كان ففى الانبياء صلوات الله عليهم دون سائرهم (و) أما الناس فيها فعلى مراتب بقدر ما أحرز كل واحد منهم من خصالها واحتوى عليه من خلالها (قال بعض الحكماء) لا تفارق الصبر فتعظم عليك البلوى ولا المروءة فتشمت بك الاعداء قال الشاعر

من فارق الصبر والمروءة * أمكن من نفسه عدوه

(قيل) لعبد الملك بن مروان كان مصعب بن الزبير يشرب الطلا قال لو علم مصعب ان الماء يفسد مروءته ما شربه قال الشاعر

أعف عن الامر القبيح تكرما * وان لم أكن حبرا ولا متخشعا
وأمنع نفسى ما تلذ وتشتهى * اذا أنا يوما خفت عيبا ومقرعا
ولو خلت ان الماء يوما يشيننى * لمت ولم أجرع من الماء مجرعا

(قيل) لسفيان بن عيينة قد استنبطت من القرآن كل شئ فأين المروءة فيه فقال فى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ففيه المروءة وحسن الآداب ومكارم الاخلاق فجمع فى قوله خذ العفو صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين ودخل فى قوله وأمر بالعرف صلة الارحام وتقوى الله فى الحلال والحرم

والحرام وغض الابصار والاستعداد لدار القرار ودخل فى قوله وأعرض عن الجاهلين الحض على التخلق بالحلم والاعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة والاغبياء وغير ذلك من الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة (وقال الله) عز وجل حكاية عن قوم قارون وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض وفيها من المروءة وحقيقتها (وقال بهرام بن بهرام) المروءة اسم جامع للمحاسن كلها (وقال) أنوشروان المروءة أن لا تعمل عملا فى السر تستحى منه فى العلانية (وكان) يحيى بن خالد يقول المروءة سعة المنزل وكثرة الخدم ووطاءة الفرش وطيب الرائحة والاحسان الى الحاشية والافضال على الاخوان (وكان) الحسن بن سهل يقول المروءة والشرف فى البشر ولا يصلح للصدر الا واسع الصدر (وكان) الفضل الباهى يقول المروءة الجمع بين الدين والدنيا والتوقى من سخط الخالق وذم المخلوقين (وكان) عبد الله بن أحمد بن يوسف يقول المروءة الكبرى اطعام الطعام ومجالسة الكرام (وقال المهلب) المروءة عشرة اجزاء تسعة منها فى المائدة وجزء منها فى سائر الاشياء (وقال) يحيى اذا أردت ان تنظر مروءة المرء فانظر الى مائدته فان كانت حسنة فاحكم له بالشرف وان رأيت تقصيرا فما وراءها خير (وقال أبو منصور الثعالبى) لا مروءة لمن لا يجتمع الاخوان على خوانه ولا تقع الاجفان على جفانه (وقال) بعضهم المروءة ادامة الاهداء وترك الاستهداء (قال) أبو منصور الهداية عمارة المروءة وهى سنة الرسول ورسم الملوك واستمالة القلوب

ومفاتيح المودة واللطف الاكبر والبر الاعظم (وكان) يقال ما أرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلت السخائم ولا دفعت المغارم ولا توقى المحذور ولا استعمل المهجور بمثل الهدية قال الشاعر

هدايا الناس بعضهم لبعض * تولد فى قلوبهم الوصالا
وتزرع فى الضمير هوى وودا * وتكسوهم اذا حضروا جمالا

والطيب لسان المروءة (قال) محمد بن عبد الله العتبى فى الطيب أربع خصال سنة ومروءة ولذة وقوة (قال المبرد فى كتاب الكامل) ثلاثة تحكم لهم بالشرف والمروءة قبل أن تعرفهم رجل شممت منه طيبا ورجل تربيته فى بلاد العجم وهو يعرب فى كلامه ورجل راكب فرسا جوادا (قال بعضهم)

ومن المروءة للفتى * ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخرة

ودار الرجل عشه وفيها عيشه وهى مقر نفسه ومأوى أهله ومحرز ماله وموضع أنسه ومجمع مروءته (قال أبو الحسن القزوينى) من المروءة أن يقعد الرجل فى باب داره وينظر فى دفتر (قالوا) واذا اجتمع فى الدار الحمام والقصر والبستان وخزانة الكتب فقد اجتمع فيها المروءة (قال) بعض السلف المروءة اصلاح المال وحسن التدبير وتعاهد الصنيعة والافضال على الاخوان (وقال) أبو منصور المروءة ان تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا (قال) مسلمة بن عبد الملك ما أعان على مروءة المرء كالمرأة الصالحة قال الشاعر

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * مدبرة ضاعت مروءة داره

(وقال)

(وقال بعض الحكماء) المروة أن لا تبخل ولا تسب ولا تسن (وسئل) مسعر بن كدام عن المروءة فقال التفقه فى الدين ولزوم المسجد الى أن تطلع الشمس (وسئل) عبد الله الفارسى عنها فقال هى التألف والتظرف والتنظف وترك التكلف (وأنشد أبو بكر الاسماعيلى)

واذا جلست وكان مثلك قائما * فمن المروءة أن تقوم وان أبى
واذا اتكأت وكان مثلك جالسا * فمن المروءة أن تزيل المتكا
واذا ركبت وكان مثلك ماشيا * فمن المروءة ان مشيت كماشى

(قال الامام أبو الحسن الماوردى) الفرق بين العقل والمروءة ان العقل يأمر بالانفع والمروءة تأمر بالاجمل ولا ينقاد للمروءة الا من سهلت عليه المشاق رغبة فى الحمد ولذلك سيد القوم أشقاهم (قال أبو الطيب)

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

(وقال أيضا)

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

والداعى الى استسهال المشاق علو الهمة وشرف النفس فعلو الهمة يبعث على التقدم وبشرف النفس يكون قبول التأديب والتهذيب وبه تعرف النفس قدرها وشروط المروءة وحقوقها الا تكاد تحصى لانتشارها وخفاء أكثرها ولكن الاظهر منها ينحصر فى قسمين شروط مروءة المرء فى نفسه وهى العفة والنزاهة والصيانة وشروط مروءة المرء فى غيره وهى المعاونة والمياسرة والافضال

(العفة)

وهى اماعن المحارم واما عن المآثم (فالعفة) عن المحارم ضبط

الفرج وكف اللسان (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) من وقى شر ذبذبه ولقلقه وقبقبه فقد وقى والذبذب الفرج واللقلق اللسان والقبقب البطن (وقال) عليه السلام أحب العفاف الى الله عفاف البطن والفرج (والعفة) عن المآثم كالكف عن الظلم والخيانة والمكر ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله والباعث على الظلم الجرأة والقسوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح ولم ينو ظلم أحد غفر له ما اجترم (وقال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه) اتق دعوة المظلوم فانه يسأل حقه وان الله لا يمنع ذا حق حقه والخيانة مما تعجل عقوبتها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وقال خالد الربعي قرأت في بعض الكتب ان مما تعجل عقوبته الامانة تخان والاحسان يكفر والرحم تقطع والبغي على الناس

(النزاهة)

وهي اما عن المسامع الدنية أو عن مواقف الريبة (وكان) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم أعوذ بك من طمع يهدي الى طبع (وفي المعنى قال الشاعر)

لا تضرعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك في الدين

واسترزق الله مما في خزائنه * فانما هو بين الكاف والنون

والباعث على الطمع الشره وقلة الانفة فلا يقنع بما أوتي ولا يستنكف مما منع وحسم الطمع باليأس والقناعة ومواقف الريبة التردد بين منزلتي حمد وذم والوقوف بين حالتي سلامة وسقم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) دع ما يريبك الى ما لا يريبك والمانع مما يريب الحياء والحذر

والحذر وقد تنتفي الريبة بحسن الثقة وترتفع التهمة بطول الخبرة والصلاح (كما حكى) ان بعض الحواريين رأى عيسى عليه السلام وقد خرج من منزل ذات فجور فقال يا روح الله ماتصنع هنا قال الطبيب انما يداوى المرضى (ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم) مع زوجته صفية ذات ليلة على باب مسجده يحادثها وكان معتكفا فمر بهما رجلان من الانصار فأسرعا فقال لهما على رسلكما انها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله أيخفى عليك شك يا رسول الله فقال مه ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى لحمه ودمه فخشيت أن يقذف فى قلوبكما سوأ (وقال صلى الله عليه وسلم اذا لم يشن المرء الا بعاجل فقد سعد قال أبو بكر الصولى

حسنت ظنى بأهل دهرى * فحسن ظنى بهم دهانى

لا آمن الناس بعد هذا * ما الخوف الا من الامان

(الصيانة)

وهى اما بالاقتصاد أو بالاستغناء عن الناس (أما) الاقتصاد فلان المحتاج مهتضم ولكن لابد مما يسد الخلة وشروطه ثلاثة أحدها أخذه من حله الثانى عدم ابتذال العرض فيه لان العرض لا يبتذل فى كسبه الثالث حسن التدبير لان سوء التدبير فساد (وقيل) الكمال فى ثلاث الفقه فى الدين والصبر على النوائب وحسن التدبير فى المعيشة وما فضل من الكفاية مجلبة للشغب والتعب (وأما) الاستغناء عن الناس فلان تحمل منن الناس ذل والاسترسال فى الاستعانة بهم تثقيل عليهم (قال بعضهم) من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذل لك عزته وأنشد ثعلب

من عف خف على الصديق لقاؤه * وأخو الحوائج وجهه مبذول
وأخوك من وفرت ما فى كيسه * فاذا استعنت به فأنت ثقيل

ومن دعاه الى الاستعانة اضطرار ألم أو حادث هجم فلا لوم على مضطر (وقد) اقترض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قضى فأحسن وقال من أعياه رزق الله حلالا فليستدن على الله ورسوله (قال البحترى)

ان لا يكن مال ففضل عطية * يبلغ بها باغى الرضى بعض الرضى
أولا تكن هبة فقرض يسرت * أسبابه وكواهب من أقرضا

وتذكر شر وطمروءة المرء فى غيره

(المعاونة)

تكون بالجاه والمال والبدن (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله فأحب خلق الله اليه أحسنهم صنيعا لعياله (وقال) عليه السلام من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحمل تلك المؤنة عرض للزوال تلك النعمة وعلى المعاون التلقى بالبشر ومجانبة الامتنان وترك التعرض للتقريع بما كان (قال الشاعر)

ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل * اذا ما الشئ ولى فادبرا

(قال) عليه السلام أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم قال عدى بن زيد

كفى زاجر المرء أيام دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى

(وقال عليه السلام) خير من الخير معطيه وشر من الشر فاعله والمعاونة واجبة للاهل والاخوان والجيران وتبرع لغيرهم

(المياسرة)

وهى

وهى العفو عن الهفوات والمسامحة فى الحقوق والواجبات فاما العفو عن الهفوات فشيمة أهل الفضل وعنوان ذوى العقل وقد قيل لاصديق لمن أراد صديقا لاعيب فيه وقيل لانوشروان هل من أحد لاعيب فيه قال من لاموت له (قال أبو العتاهية)

وشر الاخلاء من لم يزل * يعاتب طورا وطورا يذم
يريك النصيحة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم

والهفوات صغائر وكبائر فالصغائر مغفورة لتعذر الاحتراس منها والكبائر منها ما يقع سهوا وهو هدر ومنها ما يقع عمدا فان كان مجازاة فاللائمة على البادى (قال بعض الحكماء) من نالته اساءتك همته مساءتك وان كان لكف عدو فالشر لا يطفأ الا بالشر وان كان اطفاؤه بالخير أولى (قال جعفر بن محمد) كفاك من الله نصرا أن ترى عدوك يعصى الله (وقال البحترى)

فأقسم لا أجزيك بالشر مثله * كفى بالذى جازيتنى لك جازيا

وان كان لكف لئيم كان التغافل أولى وقيل شرف الكريم تغافله عن اللئيم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) الناس كشجرة ذات جنى ويوشك أن يعودوا كشجرة ذات شوك ان ناقدتهم ناقدوك وان هربت عنهم طلبوك وان تركتهم لم يتركوك قيل يارسول الله وكيف المخرج قال أقرضهم من عرضك ليوم فاقتك (وقال) شر ما فى الكريم أن يمنعك خيره وخير ما فى اللئيم أن يكف عنك شره (قال ابن بقيلة)

والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

وان كان تنكرا من صديق عوجل بالاغضاء (وقال) دواء المودة

كثرة التعاهد

(قال كشاجم)

أقل ذا الود عثرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمه
ولا تسرع بعتبك اليه * فقد يهفو ونيته سليمه

ومن الناس من يرى متاركة من تنكر كالعضو يقطع اذ فسد لان رغبتك فيمن يزهد فيك ذل و زهدك فيمن يرغب فيك صغر همة (قيل للمهلب) ابن أبي صفرة ما تقول في العفو والعقوبة قال هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بأيهما اشئت ومن حقوق الصفح الكشف عن سبب الهفوة وهو اما مال أو زلل فالمال مودة صاحبه ظل غمام وحلم منام فيترك الملل فسيل ويرجع والزلل ينبغي أن يؤول كما فعل خالد بن صفوان وقد مر به صديقان عرج أحدهما وطواه الآخر فقيل له في ذلك فقال عرج الواحد لفضيلته وطوانا الآخر لثقته فان لم يقبل الزلل تأويلا ووقع عليه ندم فالندم توبة ولا ذنب لتائب ولا يكلف التائب عذرا (وقال) عليه السلام اياكم والمعاذر فانها مفاجر (وقال علي رضى الله عنه) كفى بما يعتذر منه تهمة ومن عجل العذر قبل توبته قبل عذره فالعذر توبة

(قال الشاعر)

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا
واحلم عن الناس اذ ما كنت مقتدرا * فالسيد الحر من يعفو اذا قدرا

وتارك التوبة والاعتذار ان كف عن الاساءة فالكف احدى التوبتين والاقلاع أحد العذرين وان استمر على اساءته فان أمكن استصلاحه استصلح

استصلح والا فآخر الداء الكي ومن سل سيف البغي أغمد في رأسه (وأما) المسامحة في الحقوق الواجبات فلان الاستقصاء منفر وذلك لمقت الطباع لمن شاحها وحب من سامحها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أجملوا في طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له منها (وقال) عليه السلام ألا أدلكم على شئ يحبه الله ورسوله قالوا بلى يا رسول الله قال التغابن في الضعيف واشترى عمرو بن عبيد ازارا للحسن البصري وكان بستة دراهم ونصف فأعطى التاجر سبعة دراهم فقال التاجر انما ثمنه ستة ونصف قال هو لرجل لا يقاسم أخاه درهما والمسامحة في الاموال اسقاط وتخفيف وانظار وفي كلها احسن الثناء وجزيل الاجر (قال محمود)

المرء بعد الموت أحدوثة * يفنى وتبقى منه آثاره

فأحسن الحالات حال امرئ * تطيب بعد الموت أخباره

(الافضال)

وهو اصطناع واستكفاف (فاما) الاصطناع فهو ما أعطاه المرء جودا لشكور أو تألف به نبوة نفور ومن قلت صنائعه في الشاكرين وأعرض عن تألف النافرين بقي محقورا وفردا مهجورا (قال عمر ابن عبد العزيز) رضي الله عنه ما طاوعني الناس على شئ أردته من من الحق حتى بسطت لهم طرفا من الدنيا

(قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي)

يبقى الثناء وتذهب الاموال * ولكل دهر دولة ورجال

ما نال محمدة الرجال وشكرهم * الا الجواد بماله المفضال

لا ترض من رجل حلاوة قوله * حتى يصدق ما يقول فعال

(قال الاحنف) ما ادخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الاحساب (وأما) الاستكفاف فبكل ما كف به لسان حاسد واستدفع ضرر معاند (وقال عليه السلام) ما وقى المرء به عرضه فهو صدقة (وامتدح) الزهرى رجل فأعطاه قميصه فقيل له تعطى فى مثل هذا فقال ان من ابتغاء الخير تقاء الشر وشرط عطاء الاستكفاف اخفاؤه حتى لا يطمع فى مثله السفهاء وان يظهر المعطى لما يعطيه وجها يقرن الاعطاء به وليغتنم المرء غناه وليأخذ من دنياه لاخراه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك

(الفصل الثالث فى المال)

(اعلم) انه قد يحتاج الزيادة فى المال أهل التكرم والافضال فالمال على المروءة من أكبر العون وللحسب والجد من أعظم الصون وهو يستر العوار وعدمه يطفىء الانوار (قال بعض العرب) المروءة طعام مأكول ونائل مبذول وبشر مقبول وكلام معسول (وقال) أحيحة بن الجلاح

رزقت لماولم أرزق مروءته * وما المروءة الا كثرة المال
اذا أردت مساماة تقاعدنى * عما ينوه باسمى رقة الحال

قيل لا مروءة لمقل قال بعض الحكماء شر الزمان اذا كانت السماحة عند من لا مال له وكان المال عند من لا سماحة له (وفى ذلك) يقول الشاعر

اذا كان من يعطى فقيرا وذو الغنى * بخيلا فمن ذا يستعان على الدهر

(قال)

(قال بعضهم) المال والمروءة رضيعا لبان وشريكا عنان وغزيا حصان وفرسا رهان (رفع) الى المنصور كثرة نفقات محمد بن سليمان والى البصرة فوقع أعظم الناس مروءة أكثرهم مؤنة قال بعضهم لا مروءة الا بالمال والفعال (و) قال عبد الله بن جعفر بن على بن أبي طالب

أرى نفسي تشوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالي
فلا نفسي تطاوعني ببخل * ومالى ليس يبلغه فعالي
فلا والله ما أحببت مالاً * لشئ قط الا للنوال
أفيد ويستفيد الناس مني * وما يبقى يصير الى الزوال

(قال بعض الحكماء) الجدة على المروءة منجدة (قال الشاعر)

فلو مدسروي بمال كثير * لجدت ولم ترني باخلا
فان المروءة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

(وقال ابن نباتة)

مثل تخلعت على الزمان رداءه * عوز الدراهم آفة الاجواد

(وقال غيره)

احتل لنفسك أيها المحتال * فمن المروءة أن يرى لك مال
انى رأيت الموسرين أعزة * والمعسرين عليهم الاذلال

فمال الرجل موئله وعمدته وعدته وجماله ومروءته (وعن) هشام ابن عروة عن أبيه ان سعد بن عبادة رضي الله عنه كان يدعو اللهم هب لى حمدا وهب لى مجدا لا مجد الا بفعال ولا فعال الا بمال اللهم لا يصلحنى القليل ولا أصلح عليه (وكان رضي الله عنه) اذا انصرف من صلاة

يقول اللهم ارزقني مالا أستعين به على فعالي فانه لا أصلح الفعال الا بالمال (احتجم) داود الطائي فأعطى الحجام دينارا فقيل له هذا اسراف فقال لا عبادة لمن لا مروءة له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) نعم العون على تقوى الله عز وجل هذا المال (وقال عليه السلام) نعم صاحب المسلم هذا المال لمن يأخذه بحقه ويجعله في سبيل الله تعالى (وقال عليه السلام) لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها (قال ابن سلام) ومن الحق الواجب على من ساعدته دنياه وأقبلت عليه وحشدت مسراتها اليه أن يتلقى ذلك بشكر الخالق ويقابله بحمد المحسن فيتمثل في عباده جميل صنعه اليه وينشر فيهم جزيل انعامه عليه فيحسن العشرة ويحمل الصحبة ويقيل العثرة ويجبر الكسير ويمنح الفقير ويعين الضعيف وينصف الضعيف ويأخذ بالعفو ويعرض عن السهو الى ما يشبه ذلك ويتعلق به من أفعال البر التي تحسن ذكراه وتحصن عقباه وكما يلزمه أيضا ويتعين عليه اذا أعرضت الدنيا عنه مواهبها منه أن يتلقى صنيعها بالصبر الجميل والشكر الجزيل والرضى بالمقسوم والتسليم للمحتوم لما له في ذلك من الاجر المذخور والثواب الموفور فما زال الدين مصلحا لفساد الدنيا مهونا على المؤمن فيها جميع الاشياء وهو المنفرد باصلاح الآخرة المؤدي الى خيراتها الوافرة فما للعاقل عذر في التخلف عما يجمع له صلاح الدارين ويفوز منه بعلو المنزلتين (وقد قال بعض الحكماء) خير الدارين التقى والغنى وشر الدارين الفقر والعجز فأجمل في الطلب فان يعدوك ما قدر لك (وكان) يقال الشكر

زينة

زينة الغنى والعفاف زينة الفقر (قال الشبلى) الغنى أفضل من الفقر لان الغنى من صفات الله تعالى والفقر من صفات المخلوقين وصفة الحق التى تجب له أفضل من صفات الخلق التى لا تجوز على الله تعالى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) الحسب المال وبه تبلغ الآمال (ويقال فى المثل) رب شرف عالى الذرى ألحقه عدم الثراء بالثرى (قال الشاعر)

يغدو الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها

حتى الكلاب اذا رأت ذا ملبس * هشت اليه وبصبصت أذنابها

واذا رأت يوما فقيرا خاطرا * هرت عليه وكشرت أنيابها

(وقال الآخر)

المال يرفع ما لا يرفع الحسب * والود يعطف ما لا يعطف النسب

والحلم آفته الجهل المضر به * والعقل آفته الاعجاب والغضب

(ويروى) ان لقمان الحكيم قال لابنه يا بنى استعن بالكسب الحلال على الفقر فانه ما افتقر أحد الا أصابته ثلاث خلال رقة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به (قال قيس بن عاصم) لبنيه يا بنى عليكم باصطناع المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم (قال الشاعر)

أرى الغنىّ الناس يسعون حوله * وان قال قولا تابعوه وصدقوا

فذلك دأب الناس ما دام ذا غنى * فان زال عنه المال يوما تفرقوا

(وقال آخر)

احرص على الدرهم والعين * تنج من العيلة والدين

فانما العين بانسانها * وانما الانسان بالعين

(قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه) حسب الرجل ماله وكرمه دينه ومروءته خلقه (وقال) حكيم لابنه أطلب المال فانه عز فى قلبك وذل فى قلب غيرك (قال ابن عباس رضى الله عنه) الدنيا العافية والشباب الصحة والمروءة الصبر والكرم التقوى والحسب المال (وقالت الحكماء) يجمع المال ليصان به العرض وتحيي به المروءة وتوصل به الرحم (قال الثورى) المال صلاح المؤمن فى هذا الزمان (وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه) يا حبذا المال أصون به عرضى وأتقرب به الى ربى (وقال معاوية) ان الشرف والسودد لينتقلان مع الغنى كما ينتقل الظل (قال بعضهم) الغنى حسب من لا حسب له (وقال ارسطاطاليس المال دلة البقاء للنفس الحيوانية فهو جزء منها ولا بقاء للنفس بفساد ذلك الجزء (قال الشاعر)

يسود هذا المال غير مسود * ويحرمه ايث فصيح تعلما
وأول من يجفو الفقير لفقره * بنوه وان يرضوه فى فقره أبا
كأن فقير القوم فى الناس مذنب * وان لم يكن من قبل ذلك أذنبا

(وقال آخر)

والمرء يحقر ان قلت دراهمه * وليس ينفعه أن كان ذا حسب

(ومن) أقوال الحكماء المال يستر القبايح والفقر يحجب المحاسن الا من رفض الدنيا اختيارا أو تركها تهاونا لها واستصغارا (وقالوا) المال يوقر الدنى والفقر يذل السنى ويخرس الفصيح اللسان ويسلب الحسن من الوجوه الحسان (واعلم) أن تثمير المال آلة للمكارم وعون على الدين والمروءة ومتألف للاخوان وان من فقد المال

قلت

فات الرغبة فيه والهيبة له ومن لم يكن بموضع رغبة أو رهبة استهان به من لا يعرفه فاجهد جهدك كله ان تكون القلوب معلقة بك برغبة أو رهبة فى دين أو دنيا ولا تجمع بك الرغبة فى الازدياد من المال الى الطلب المحظور عليك فان قليل ما خبث من المال يمحق كثير ما طاب منه (قال الشاعر)

اذا اكتسب المال الفتى من وجوهه * وأحسن تدبيراله حين يجمع
وميز فى انفاقه بين مصلح * معيشته فيما يضر وينفع
وأرضى به أهل الحقوق ولم يضع * به الذخر زاد التى هى أنفع
فذاك الفتى لاجامع المال ذاخرا * لأولاده حيث حلوا وأوضعوا

وصاحب الدنيا يطلب ثلاثا لا يدركها الا بأربعة فأما الثلاثة التى يطلب فالسعة فى المعيشة والمنزلة فى الناس والمنزلة فى الآخرة وأما الاربعة التى يدرك بها الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجوهه ثم حسن القيام عليه ثم التثمير له ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضى الاهل والاخوان ويعود فى الآخرة نفعه فان أضاع شيأ من هذه الاربعة لم يدرك شيأ من الثلاثة وان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وان كان ذا مال واكتساب ولم يحسن القيام عليه يوشك أن يفنى ويبقى بلا مال وان هو أنفقه ولم يثمره لم تنفعه قلة الانفاق من سرعة النفاد كالكحل الذى انما يؤخذ على مثل الغبار ثم هو مع ذلك سريع نفاده وان هو أصلح واكتسب وثمر ثم لم ينفق المال فى أبوابه كان بمنزلة الذى لا مال له ثم لا يمنع ذلك له من ان يفارقه ويذهب حيث لا منفعة فيه كحابس الماء الذى تنصب فيه المياه ان لم يخرج منه بقدر ما يدخل فيه نصل وسال من نواحيه فيذهب ضياعا (قال الله عز وجل) لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك

مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (قال الثوري) من كان في يده مال فليصلحه فانه في زمان ان احتاج اليه اول ما يبذل فيه دينه (وقال بعض الحكماء) آفة المال سوء التدبير وآفة الكامل من الناس العدم (وقال) ارسطاطاليس الغنى في الغربة وطن والفقر في الاهل غربة (وفي) كتاب الهند ما التبع والاعوان والاهل والاخوان والاصدقاء والحشم الامع المال وما يظهر المروءة الا المال ولا الرأي والقوة الا بالمال ووجدت من لا مال له اذا أراد أن يتناول أمرا قعد به العدم فيبقى مقصرا عما أراد كالماء الذي يبقى في الاودية من مطر الصيف فلا ينتهي الى بحر ولا نهر ويبقى مكانه حتى تنشفه الارض ووجدت من لا مال له لا اخوان له ومن لا ولد له لا ذكر له ومن لا عقل له لا دنيا له ولا آخرة ومن لا مال له لا شئ له لان الرجل اذا افتقر رفضه اخوانه وقطعه ذو رحمه وربما اضطرته الحاجة لنفسه وعياله الى التماس الرزق بما يغرر فيه بدينه ودنياه فلا شئ أشد من الفقر والشجرة النابتة على الطريق المأكولة من كل ناحية أمثل حالا من الفقير المحتاج الى ما في أيدي الناس والفقر داعية الى مقت الناس ومسلبة للعقل والمروءة ومذهب للعلم والادب وموضع للتهمة ومجمع البلايا ووجدت الفقير يسئ به الظن من كان مؤتمنا له وليس من خصلة هي للغنى مدح وزين الا وهي للفقير ذم وشين فان كان شجاعا قيل أهوج وان كان جوادا قيل مفسد وان كان حليما قيل ضعيف وان كان وقورا قيل بليد وان كان صموتا قيل عيي وان كان بليغا قيل مهذار فالموت أهون من الفقر الذي يضطر صاحبه الى المسئلة لا سيما مسئلة اللئام فان الكريم

لو

لو كلف أن يدخل يده فى فم التنين و يخرج منه سما يبتلعه كان عليه أسهل واخف من مسئلة البخيل الاثيم (قال أكثم بن صيفى) كل سؤال وان قل أكثر من كل نوال وان جل (وقال بعض الحكماء) من أبدى الى الناس فقره فليس لهم عنده قدر ومن أراد أن يعلم هوانه عليهم فليشك اليهم حاجته ومن استغنى عنهم عظموه ووقروه (سأل) رجل الحكيم اليونانى فقال علمنى مايقربنى من الله ومن الناس فقال أما مايقربك من الله فمسئلته وأما مايقربك من الناس فترك مسئلتهم (قال بعضهم) أشرف المال ماقوى كريما على سد خلة كريم (وقالوا) أفضل المال ماقضى به الحقوق (وكان) يقال شر مالك مالزمك اثم مكسبه وحرمت لذة انفاقه (قال بعضهم) الرزق الواسع ان لا يستمتع به بمنزلة طعام موضوع على قبر (وقال على رضى الله عنه) أفضل المال ما أكسب حمدا وأعقب أجرا (قال الشاعر)

ذهاب المال فى حمد وأجر * ذهاب لايقال له ذهاب

(ومن) أمثال الحكماء خير الاموال مااسترق حرا وخير الاعمال مااستحق شكرا (وفى) كتاب الهند لينفق ذو المال ماله فى ثلاثة وجوه فى الصدقة ان أراد الآخرة وفى مصانعة السلطان ان أراد الذكر وفى النساء ان أراد نعيم العيش (وقالت الحكماء) من أصلح ماله فقد صان الأكرمين الدين والعرض (قيل) لابن أبى الزناد لم تحب الدراهم وهى تدنيك الى الدنيا فقال هى وان أدنتنى منها فقد صانتنى عنها (وقيل) لبعض الحكماء ما بالنا نجد من يطلب المال من العلماء أكثر من يطلب العلم من ذوى الاموال قال لمعرفة العلماء بمنافع المال وجهل ذوى

الاموال بمنافع العلم (قال الحاتمى) أشرد بيت قيل فى الحض على طلب الغنى قول كعب بن سعد الغنوى

اقصر العواذل وارم الليل عن عرض * بذى شبيب يقاسى ليله خببا
حتى تمول مالا او يقال فتى * لاقى التى تشعب الفتيان فانشعبا

(وفى) الامثال كاد الحريص يكون عبدا وكاد الفقر يكون كفرا وكاد البخيل يكون كلبا (وفى) الحكم المال خير ما ‌آ ل وقد يشرف الوضيع بالمال (قال الشاعر)

ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى * ولم أر مثل المال أرفع للنذل
ولم أر عزا لامرئ كعشيرة * ولم أر ذلا مثل ناء عن الاهل

(وقال آخر)

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل من يلقى من الناس مذنب
وكان بنو عمى يقولون مرحبا * فلما رأونى معدما مات مرحب

(وقال ابن حبناء التميمى)

الناس أتباع من دانت له النعم * والويل للمرء ان زلت به قدم
المال عز ومن قلت دراهمه * حى كمن مات الا انه صنم
مالى رأيت أخلائى كأنهم * اثنان منقبض عنى ومحتشم
لما رأيت الذى يبدون قلت لهم * اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

(وقال آخر)

ألم تعلمى ان الغنى يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزرى
فما رفع النفس الوضيعة كالغنى * ولا وضع النفس الرفيعة كالفقر

(وقال آخر)

اذا

اذا كنت ذا ثروة من غنى * فأنت المسود فى العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر انك من آدم

(قال بزرجمهر) ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثلها فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثله فالفقر (وقال بعضهم) الحاجة الموت الاكبر (وقال) مجاهد الخير فى القرآن كله المال (وقال) السدى وابن زيد فى قوله تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ان الحسنة فى الدنيا المال وفى الآخرة الجنة (وقال) الدراهم والدنانير خواتم الله فى الارض حيث قصدت بها قضيت حاجتك (قال الشاعر)

وقائلة ما العلم والحلم والحجا * وما الدين والدنيا فقلت الدراهم
تداوى جراح الفقر حتى تزيلها * فما هى فى التحقيق الامراهم

(قالت الحكماء) الدراهم مواسم تسمى حمدا وذما فمن حبسها كان لها ومن أنفقها كانت له وما كل من أعطى مالا رزق به جمالا ولا كل معدوم مذموم واتفق الناس على ان ما أحوج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم واختلفوا فى تفضيل ما سوى ذلك ففضل قوم الغنى لان الغنى قادر والفقير عاجز والقدرة أفضل من العجز وهذا مذهب من غلب النباهة وفضل قوم الفقر لان الفقير تارك والغنى ملابس وترك الدنيا أفضل من ملابستها وهذا مذهب من غلب السلامة وتوسط قوم لان خيار الامور أوساطها وخير المال التقوى وهى الفائدة العظمى والغاية القصوى والاقرب الى السلامة من خداع الدنيا قال الشاعر

يريد المرء أن يؤتى مناه * و يأبى الله الا ما أرادا

يقول المرء فائدتى ومالى * وتقوى الله أفضل ما استفادوا

(لما) نزل قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الآية أمر النبى صلى الله عليه وسلم منادياً ينادى من لم يتأدب بآداب الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات

(الفصل الرابع فى التحبب)
(الى الناس ومداراتهم والمسالمة لهم)

(أجمعت الحكماء) وأهل الفضل على ان السيادة والمروءة وجمع خلال العشرة فى المسارعة الى المعونة وفى العفو مع القدرة وفى التودد الى الناس والتحبب لهم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن البشر (وقال) عليه السلام أحب الناس الى الله عز وجل أكثرهم تحببا الى الناس (وقال) عليه السلام اذا أحب الله عبدا حببه الى الناس (قال الشاعر)

وجه عليه من الحياء سكينة * ومحبة تجرى مع الانفاس
واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة فى الناس

(كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه) الى سعد ابن أبى وقاص ان الله عز وجل اذا أحب عبدا حببه الى خلقه فاعتبر منزلتك من الناس واعلم ان ما لك عند الله مثل ما للناس عندك (وقالوا) مكتوب فى التوراة لتكن كلمتك لينة ووجهك بسيطا تكن أحب الى الناس ممن يعطيهم العطاء (وفى) المثل الكلام الحسن مصايد القلوب والعبوس من طبعه البوس (وقال) أبو دهمان لسعيد بن مسلم وقد وقف الى بابه فحجبه حينا ثم أذن له فمثل بين يديه فقال ان الامر الذى صار اليك وفى يديك

يديك قد كان في يدي غيرك فأسواحده مثالان توراغير وان شرافشر فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب فان حب عباد الله عز وجل موصول بحب الله و بغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله (وقال) ارسطاطاليس للاسكندر أعظم ما اوصيك به أن لا تتبغض الى أحد من خلق الله فرأس العقل بعد الايمان التحبب الى الناس كافة قال الشاعر

البشر يكسب أهله * صدق المودة والمحبه
والتيه يستدعي لصا * حبه المذمة والمسبه

(وقيل ان معاوية بن أبي سفيان) قيل له من أحب الناس اليك قال من كانت له عندي يد صالحة (و) قال اليزيدي النحوي أتيت الى الخليل بن أحمد فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة فرحب بي ووسع لي فكرهت أن أضيق عليه فانقبضت عنه فأخذ بعضدي وقربني من نفسه وقال لي انه لا يضيق سم الخياط بمتحابين ولا تسع الدنيا متباغضين أخذ هذا المعنى أحمد بن عبد ربه فقال

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين خلين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فربما ضاقت الدنيا على اثنين

(وأقرب منه قول الآخر)

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

قال معاذ بن جبل اذا أحببت رجلا فابذل له مالك وأخلص له ودك ولذوي الفاقة رفدك وللعامة تبشيرك ولعدوك عدلك وشح بدينك

يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفادوا

(لما) نزل قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الآية أمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي من لم يتأدب بآداب الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات

(الفصل الرابع في التحبب)
(الى الناس ومداراتهم والمسالمة لهم)

(أجمعت الحكماء) وأهل الفضل على ان السيادة والمروءة العشرة في المسارعة الى المعونة وفي العفو مع القدرة وفي التودد الى الناس والتحبب لهم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن البشر (وقال) عليه السلام أحب الناس الى الله عز وجل أكثرهم تحببا الى الناس (وقال) عليه السلام اذا أحب الله عبدا حببه الى الناس (قال الشاعر)

وجه عليه من الحياء سكينة * ومحبة تجري مع الانفاس

واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة في الناس

(كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه) الى سعد ابن أبي وقاص ان الله عز وجل اذا أحب عبدا حببه الى خلقه فاعتبر منزلتك من الناس واعلم ان مالك عند الله مثل ما للناس عندك (وقالوا) مكتوب في التوراة لتكن كلمتك لينة ووجهك بسيطا تكن أحب الى الناس ممن يعطيهم العطاء (وفي) المثل الكلام الحسن مصايد القلوب والعبوس من طبعه البوس (وقال) أبو دهمان لسعيد بن مسلم وقد وقف الى بابه فحجبه حينا ثم أذن له فمثل بين يديه فقال ان الامر الذي صار اليك وفي يديك

يديك فمـ تفي دارهم * وأرضهم مادمت في أرضهم
فحبب الى عبـ
عبادالله عز وجر
ـرم * فانما أنت في دار المـداراة
شـهد اءالله على خلـ
ـقه * فما قليل نديما للندامات
ارسطاطاليس للاسكندر
خلق الله فرأس العقل بعد
الى قلبه داره
البشر يكسب أهـ
له دائره
والتيه يستدعي لصا * حبه
نـوم بالمداراة
(وقيل ان معاوية بن أبي سفيان) قيل له من أحب الناس اليك قال من كانت له عندى يد صالحة (و) قال اليزيدى النحوى أتيت الى الخليل بن أحمد فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة فرحب بى ووسع لى فكرهت أن أضيق عليه فانقبضت عنه فأخذ بعضدى وقربنى من نفسه وقال لى انه لا يضيق سم الخياط بمتحابين ولا تسع الدنيا متباغضين أخذ هذا المعنى أحمد بن عبد ربه فقال

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين خلين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فربما ضاقت الدنيا على اثنين

(وأقرب منه قول الآخر)

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

قال معاذ بن جبل اذا أحببت رجلا فابذل له مالك وأخلص له ودك ولذوى الفاقة رفدك وللعامة بشرك ولعدوك عدلك وشح بدينك

وعرضك على كل أحد (قال الشاعر)

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الانسان احسان
وان أساء مسئ فليكن لك في * عروض زلته عفو وغفران

(قال أبو جعفر المنصور) ان أحببت أن يكثر الثناء الجميل عليك من الناس بغير نائل فالقهم ببشر حسن (وقالوا) ثلاثة لا يقوم للمرء الرشد الا فيهن مشاورة ناصح ومداراة حاسد والتحبب الى الناس (وقالو) التودد الى الناس احدى الحسنيين (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس (وقالت الحكماء) لا تكمل المروءة الا بثلاث قطع الرجاء عما في أيدى الناس والصبر على أذاهم وأن تحب لهم ما تحب لنفسك (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أمرت بمداراة الناس كما أمرت أن أصلى على سبعة أعظم (وقالت الحكماء) من لم يحسن المداراة للناس نادبه المكروه (وقال بعضهم) مداراة الناس نصف العقل وقال العتابي المداراة سياسة لطيفة لا يستغنى عنها ملك ولا سوقة يجتلبون بها المنافع و يدفعون بها المضار فمن كثرت مداراته كان في ذمة الحمد والسلامة (قال بعضهم) رأس المداراة ترك المراء (قال الشاعر)

فمن لم يدار الناس قل صديقه * ومن ذمهم كان الغنى المذمما
ومن يهن الاخوان لا يكرمونه * ومن يكرم الاخوان كان المكرما

وقال بعضهم ينبغي للعاقل أن يدارى زمانه مداراة السابح الماء الجارى (قال الشاعر)

ان ترمك الغربة في معشر * قد اطبقوا فيك على بغضهم
فدارهم

فدارهم مادمت في دارهم * وأرضهم مادمت في أرضهم

(وقال آخر)

مادمت حيا فدار الناس كلهم * فانما أنت في دار المداراة

من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديما للندامات

(وقال آخر)

دار من تخشى أذاه * والقه في باب داره

انما الدنيا مدارا * ة فمن تخشاه داره

وينبغي مع مداراة العدو ان يحترز منه ولا يوثق به وانما يدفع بالمداراة اظهار العداوة (قال بعض الحكماء) سالم عدوك ما استطعت وان كنت ذا قوة وقهر (قال الشاعر)

سالم الناس ما استطعت ودار * أخسر الناس أحمق لا يدارى

ضرك الناس ضر نفسك فاحذر * لا يقوم الدخان الا لنار

(قالت الحكماء) المسالمة السلامة (وقالوا) سالم تسلم (قال الشاعر)

سالم جميع الناس تسلم منهم * ان السلامة في مسالمة الورى

واذا أتاك من امرئ يوما أذى * لا تجزه أبدا بما منه ترى

(وقال آخر)

من سالم الناس سالموه * وكان في ذمة السلامه

(لما قدم) حاتم الاصم الى أحمد بن حنبل قال له أحمد بعد بشاشته به أخبرني كيف التخلص الى السلامة من الناس فقال له حاتم بثلاثة أشياء فقال له أحمد ما هي قال تعطيهم مالك ولا تأخذ مالهم وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك وتصبر على أذاهم ولا تؤذيهم فقال أحمد انها الصعبة

قال له حاتم وليتك تسلم (قالت الحكماء) من غض بصره عن عيوب الناس غضوا أبصارهم عنه (قال الشاعر)

لا تلتمس من مساوى الناس ما فيكا * فيكشف الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا * ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

(وفى المثل) استر عورة أخيك بما تعلم فيك (وقال الشاعر)

أحب معالى الاخلاق جهدى * وأكره ان أعيب وان أعابا
فمن عز الرجال تهيبوه * ومن حقر الرجال فلن يهابا

(قال بعض الحكماء) استشعروا السلامة للناس وابسوا لهم اللين والقوهم بالبشاشة وعاشروهم بالتودد وتفضلوا عليهم بحسن الاستماع وان كان ما يأتون به نزرا فان لكل امرئ عند نفسه قدرا فالقوهم بما يستنبطون به اليكم وخرجوا عقولكم بأدب كل زمان واجروا مع أهله على مناهجهم تقل مساويكم وتسلم لكم أعراضكم وضعوا عنكم مؤنة الخلاف واللجاجة فى المنازعة فربما ورثت الشحناء ونقضت هرم المودة والاخاء فليكن المرء مقبلا على شأنه راضيا عن زمانه سلما لاهل دهره جاريا على عادة عصره ولا يباينهم بالعزلة فيمقتوه ولا يجاهرهم بالمخالفة فيعادوه فان موافقة الناس رشاد ومخالفتهم ضلال وعناد (وفى المثل) ادمان الخلاف من أسباب التلف (عن ابن عباس رضى الله عنه) ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أى الناس أحب اليك قال أنفعهم للناس وان من أحب الاعمال الى الله تعالى سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تسد عنه جوعا ولأن أمشى مع أخ لى فى حاجة أحب الى من ان اعتكف شهرين فى المسجد ومن كف

غضبه

غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء ان يمضيه لامضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى ومن مشى مع أخ له فى حاجة حتى يثبتها ثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الاقدام وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (وفى المثل) الاخلاق الصالحة ثمرة العقول الراجحة فمن لقى الناس بالاحسان وعاملهم بالخلائق الحسان فهو الذى يخف عليهم جانبه وتحمد أنحاؤه ومذاهبه ولن يعدم منهم حسن الثناء ومن الله جزيل الجزاء انتهى (قال الشاعر)

اذا حويت خصال الخير أجمعها * فضلا وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذى العرش تحرزه * والشكر من خلقه فى السر والعلن

(القسم الثالث فى طرف من الحكايات)
(والآداب الصادرة عن أولى الالباب والاحساب)

(اعلم) ان فى الحكايات والاخبار سلوة للنفوس وآدابا نافعة للرئيس والمرؤس والقلوب ترتاح اليها من شجونها والآذان تصغى لسماع طرفها وفنونها والوحيد يأنس بمطالعتها والجليس ينبسط بمذاكرتها ومحاضرتها والطباع تجم بها من مللها ويذهب عنها ثقلة نشاطها وكثرة كسلها والملوك يتحفون بها وينال الجاه والرفعة منهم بسببها (وقال عمر بن الخطاب) عليكم بطرائف الاخبار فانها من علم الملوك والسادة وبها تنال المنزلة والحظوة منهم (قال على رضى الله عنه) قيمة كل امرئ ما يحسن وقال بعض ملوك الهند لبنيه أكثروا من النظر فى الكتب وازدادوا فى كل يوم حرفا فان ثلاثة لا يستوحشون فى غربة الفقيه العالم والبطل الشجاع والحلو اللسان الكثير مخارج الرأى (وقيل للمأمون)

ما ألذ الاشياء قال التنزه فى عقول الناس يعنى قراءة أقوالهم قال محمد ابن بشير

لله من جلساء لاجليسهم * ولا خليطهم للسوء مرتقب
لابادرات الاذى يخشى رفيقهم * ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
أبقوا لنا حكما تبقى منافعها * أخرى الليالى على الايام وانشعبوا
ان شئت من محكم الآثار يرفعها * الى النبى ثقات خيرة نجب
أو شئت من عرب علما بأولهم * فى الجاهلية تنبينى بها العرب
أو شئت من سير الاملاك من عجم * تنبى وتخبر كيف الرأى والادب
حتى كأنى قد شاهدت عصرهم * وقد مضت دونهم من دهرنا حقب
فصرت فى البيت مسرورا تحدثنى * من علم ما غاب عنا فى الورى الكتب
فردا تخبرنى الموتى وتنطق لى * فليس لى فى أناس غيرهم أرب
ملمات قوم اذا أبقوا لنا أدبا * وعلم دين ولا ماتوا ولا ذهبوا

سأل الرشيد يوما الاصمعى عن أنساب بعض العرب فقال على الخبير بها سقطت يا أمير المؤمنين فقال له الفضل بن الربيع أسقط الله حسك أتخاطب أمير المؤمنين بمثل هذا فكان الفضل على قلة علمه اعرف بما يستعمل فى مخاطبة الخلفاء من الاصمعى مع امامته وليس يكمل أدب المرء حتى يعرف المثل السائر والبيت النادر وما يحكى عن أهل العصور من الاخبار العجيبة وما وقع لهم من الالفاظ البليغة والمعانى الغريبة ففى ذلك العلم بالامور والعقل المكتسب والادب الصادر عن ذى المروءة والحسب لم تزل الحكايات والاخبار تذكر فى معرض الاعتبار وتزيد مولد الاستبصار وهذا القسم لا تضبطه الفصول والابواب

ولا

ولا يستوفيه مصنف فى كتاب غير انه يأتى بما يناسب تبويبه ويشاكل تفصيله وترتيبه وانى أذكر هنا من ذلك ما استحسنه فى فنه واستظرفه واستملحه فى نوعه واستطرفه فى فصلين اثنين بحول الله

(الفصل الاول فى الاخبار التى)
(تتعلق بذى الامرة والسياسة)

(قال المسعودى فى كتابه عيون المعارف) مما حفظ من كلام أزدشير عندما وضع التاج على رأسه ان قال الحمد لله الذى خصنا بنعمه وشملنا بفوائده وقسمه ومهد لنا البلاد وقاد الى طاعتنا العباد (نحمده) حمد من عرف فضل ما آتاه (ونشكره) شكر الدارى بما منحه وأعطاه ألا وانا ساعون فى اقامة منار العدل وادرار الفضل وتشييد المآثر وعمارة البلاد والرأفة بالعباد وزم أقطار المملكة ورد ما تخرم فى سائر الايام منها فليسكن طائركم أيها الناس فانى أعم بالعدل سنة محمودة وشريعة مورودة وسترون فى سيرتنا ما تحمدونا عليه وتصدق أقوالنا أفعالنا ان شاء الله تعالى (وكتب أزدشير بن بابك الى الملوك الكائنين بعده) الخراج عمود المملكة بكنفه نقش الرعية وحفظ الاطراف والبيضة فاختاروا للعمل عليه أولى الطبيعة الحرة وذوى العقل والحنكة وكفوهم سنى الارزاق تحسموا أنفسهم عن الارتفاق فاستعز بمثل العدل ولا استنذر بمثل الجور (وجمع) أنوشروان يوما الحكماء ليأخذ من آدابهم فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم من مجلسه دلونى على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسى وعامة رعيتى فتكلم كل واحد منهم بما حضره من الرأى وأنوشروان مطرق متفكر فى أقاويلهم

وانتهى القول الى بزرجمهر بن البختكان فقال أيها الملك أنا جامع لك ذلك في اثنتي عشرة كلمة قال له هات ماهن فقال أولاهن تقوى الله تعالى في الشهوة والرغبة والرهبة والغضب والهوى فاجعل ماعرض من ذلك كله لله لا للناس والثانية الصدق في القول والوفاء بالعدات والشروط والعهود والمواثيق والثالثة مشورة العلماء في مايحدث من الامور والرابعة اكرام العلماء والاشراف وأهل الثغور والقواد والكتاب والخول والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمال محاسبة عادلة ومجازاة المحسن منهم باحسانه والمسيء على اساءته والسادسة تعاهد أهل السجون بالعرض لهم فيستوثق من المسيء ويطلق البريء والسابعة تعاهد سبل الناس وأسواقهم واسعارهم وتجاراتهم والثامنة حسن تأديب الرعية على الجرائم واقامة الحدود والتاسعة اعداد السلاح وجمع آلات الحرب والعاشرة اكرام الولد والاهل والاقارب وتفقد مايصلحهم والحادية عشرة اذكاء العيون في الثغور ليعلم ما يتخوف فتؤخذ أهبته قبل هجومه والثانية عشرة تفقد الوزراء والخول والاستبدال بذوي الغش منهم فأمر أنوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب وقال هذا كلام فيه جميع أنواع السياسة الملوكية (وحدث) الفضل بن سهل قال كانت رسل الملوك اذا جاءت بالهدايا تجعل اختلافها الي فكنت أسأل الرجل منهم عن سيرة ملوكهم وأخبار عظمائهم فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم فقال ملك بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة لايبطر جنده ولاتحرج رعيته سهل النوال حزن النكال الرجاء والخوف معقودان في يديه قلت

فكيف

فكيف حكمه قال يرد الظلم و يردع الظالم و يعطى كل ذى حق حقه
فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت فكيف هيبتهم له قال يتصور فى
القلوب فتغض له العيون قال فنظر الى رسول الحبشة وأنا أصغى اليه وأقبل
عليه فسأل ترجمانه ما الذى يقول الرومى فقال يذكر ملكهم و يصف
سيرته فتكلم مع الترجمان بشئ فقال لى الترجمان انه يقول ان ملكهم
ذو أناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند المغالبة وذو
عقوبة عند الاجرام قد كسا رعيته جميل نعمته وخوفهم حسف عقوبته
فهم يتراأونه تراأى الهلال خيالا و يخافونه مخافة الموت نكالا وسعهم
عدله و ردعتهم سطوته اذا أعطى أوسع واذا عاقب أوجع فالناس اثنان
راج وخائف فلا الراجى خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل قلت
فكيف هيبتهم له قال لا ترفع اليه العيون أجفانها ولا تتبعه الابصار
انسانها كان رعيته قطا رفرفت عليهم صقور صوائد فحدثت المأمون
بهذين الحديثين فقال كم قيمتهما عندك قلت ألفا درهم قال يا فضل ان
قيمتهما عندى أكثر من الخلافة أما عرفت قول على بن أبى طالب رضى
الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن أتعرف أحدا من الخطباء البلغاء يحسن
أن يصف أحدا من خلفاء الله الراشدين بمثل هذه الصفة قلت لا قال
فقد أمرت لهما بعشرين ألف دينار واجعل العذر مادة بينى و بينهما فى
الجائزة عن العود فلولا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاهما ما فى الخاصة
والعامة دون ما يستحقانه (سئل رجل من بنى أمية) عاقل فقيل له
أخبرنا من أى شئ كان بدء زوال ملككم فقال سألت فاسمع واذا سمعت
فافهم انا تشاغلنا بلذتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا و وثقنا بوزراء

آثروا مرافقهم وأبرموا أمورا أمر وها عنا وظلمت رعيتنا فوسدت نياتهم لنا وجذب معاشنا خلات بيوت أموالنا وقل جندنا فزالت هيبتهم لنا واستدعاهم أعداؤنا فظافروهم علينا وكان أكبر الاسباب فى ذلك استتار الاخبار عنا (وقد قال بعض الحكماء) خير الولاة من عدل فى رعيته فيما يخصه منهم وفيما يخصهم منه فأما الذى يخصه منهم فحسن النظر لنفسه فيما يجب له عليهم من التزام طاعته فلا يبلغ فيه من العنف عليهم منزلة تحمله على الندم فى أمره والبرم لولايته ولا يبلغ بهم من التراخى والاهمال منزلة تقودهم الى الاستخفاف بأمره والاخلال بحقه وأما الذى يخصهم منه فحسن النظر لهم والرفق بهم والجرى الى مصالحهم بحسن الذب عنهم ورفع الايدى المعتدية اليهم وأخذه بالحق فيما لهم وعليهم وانتصاف المظلوم من الظالم والمساواة فى الحقائق بين القوى والضعيف والغنى والفقير حتى يعم عدله الكبير والصغير والقريب والبعيد كما قال عثمان بن عفان رضى الله عنه فى خطبته اعلموا انه لا أحد أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه ولا أقوى من الضعيف حتى آخذ الحق له فن الحق على من ملكه الله تعالى على بلاده وحكمه فى عباده ان يكون لنفسه مالكا وللهوى تاركا وللغيظ كاظما وللظلم كارها وللعدل فى الرضى والغضب مظهرا وللحق فى السر والعلانية مؤثرا فاذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته وأشرب القلوب محبته فاشرق بنور عدله زمانه وكان الناس على أعدائه أعوانه (كتب أبرويز) لابنه يا بنى ان كلمة منك تسفك دما وكلمة تحقن دما وأمرك نافذ وكلامك ظاهر فاحترس فى غضبك من قولك أن يخطئ ومن لونك أن

يتغير

يتغير ومن جسدك أن يخف فان الملوك تعاقب قدرة وتهفو حلما
(وكتب بعض الصالحين الى بعض الولاة) مثلك أعزك الله من تواضع لعظمة الله وتقرب اليه بما يرضاه وقدم العدل فى عباد الله فاغاث المستغيث وأجار المستجير وأمن الخائف وعاد على الراجى وآثر الحلم فاغتفر ذنوب الجانى طاعة الله مقتديا برسول الله مستشعرا أجل عزائم الصبر وأوضح معالم البر من

أسماء الله سبحانه وصفة من صفاته لانه جل ذكره يرى عصيان العاصين و يطلع على جناية الجانين ويشاهد جور الظالمين ويحصى ذنوب الخاطئين فلا يحتجب عنه عمل عامل ولا يغيب عنه شئ فى عاجل ولا آجل وهو لا يعجل بالانتقام مع القدرة ولا يستفزه الغضب مع امهال القوة ولا تبعثه العجلة على انفاذ حكمه مع وضوح الحجة بل يؤثر الاناة والامهال ليكون له الفضل والمنة وحسبنا قوله تعالى وربك الغفور ذو الرحمة الآية وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الآية الاخرى (قال الشاعر)

لن يدرك الجد أقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عز والأقوام
و يصفحوا عن كثير من اساءتهم * لا صفح ذل ولكن صفح احلام

(روى عن الرشيد) انه أحضر رجلا ليوليه القضاء فقال يا أمير المؤمنين انى لا أحسن القضاء ولا انا فقيه فقال الرشيد فيك ثلاث خلال فمك شرف والشرف يمنع أهله من الدناآت ولك حلم والحلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطاؤه وأنت رجل تشاور فى أمرك ومن شاور كثر صوابه وأما الفقه فسينضم اليك من تتفقه به فولى فما وجد فيه طعن وقال

بعضهم من أخلاق الوالى السعيد أن لا يعاقب أحدا وهو غضبان لان هذه حال لا يسلم معها من التعدى والتجاوز بحد العقوبة فاذا سكن غضبه ورجع الى طبعه أمر بعقوبته على الحد الذى سنته الشريعة ونقلته الملة فان لم يكن فى الشريعة ذكر عقوبة ذنبه فمن العدل أن يجعل عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ الذنوب ولينها وأن يجعل الحكم عليه فيه ونفسه طيبة وذكر القصاص منه على بال (وقالت الحكماء) السياسة أن يخلط الوعد بالوعيد والعطاء بالمنع والحلم بالايقاع فان الناس لا يصلحون الا على الثواب والعقاب والإطماع والاخافة ومن أخاف ولم يوقع وعرف بذلك كان كمن أطمع ولم ينجز خيرا الخير ما كان ممزوجا وشر الشر ما كان صرفا واذا كان الناس انما يصلحون على الشدة واللين وعلى العفو والانتقام وعلى البذل والمنع وعلى الخير والشر عاد ذلك الشر خيرا وذلك المنع عطاء وذلك المكروه نفعا قال الله عز وجل ولكم فى القصاص حيوة يا أولى الالباب لعلكم تتقون فأسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة (قال الحسن)

يا ابن أبى العباس أنت الذى * سماؤه للجود مدرار

يرجو ويخشى حالتيك الورى * كانك الجنة والنار

(وقال بعضهم) الرغبة والرهبة أصلان لكل تدبير وعليهما مدار كل سياسة عظمت أو صغرت بذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب وأقام الوعد مع الوعيد والثواب مع العقاب والرجاء مع المخافة والعفو مع السطوة قال عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

فكل

فكل عامل على ثقة من عاقبة عدله فتنعطف قلوب العباد بالرغبة والرهبة فاطرد التدبير واستقامت السياسة لموافقتهما ما في الفطرة ومن ظن أحدا من الخلق فوقه أو دونه يصلح بخلاف ما دبرهم الله عليه خالف الرب في تدبيره وظن ان رحمته فوق رحمة ربه ولو كان الناس يصلحون على الخير وحده لكان الله عز وجل أولى بذلك الحكم قال الله تعالى في محكم كتابه انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وتلا مطرف هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب فقال لو يعلم الناس قدر نعمة الله وعفوه وتجاوزه لقرت أعينهم ولو يعلمون قدر عذاب الله ونكاله ونقمه وبأسه ما رقأ لهم دمع ولا قرت أعينهم بشئ (قال الله سبحانه) أدعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين فوصف في هذه الآية منزلة القرب من البعد فذكر نفسه تبارك وتعالى بأقرب القرب ممن عبده وبأبعد البعد ممن استكبر عن عبادته (وكان أنوشروان) اذا ولى رجلا أمر الكاتب أن يضع في كتاب العهد موضع ثلاثة أسطر فيوقع فيها بخطه سس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سفلة الناس بالمخافة (قال الشاعر)

اذا كنتم للناس أهل سياسة * فسوسوا كرام الناس باللين والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا * على الذل ان الذل يصلح للنذل

لما أراد عمرو بن العاص المسير الى مصر قال لمعاوية يا أمير المؤمنين انى موصيك قال أجل فأوصنى قال انظر فاقة الاحرار فاعمل في سدها وطغيان السفلة فاعمل في قمعها واستوحش من الكريم الجائع ومن

اللئيم الشبعان فانما يصول الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع (كان زياد) اذا ولى رجلا عملا قال له خذ عهدك وسر الى عملك واعلم انك مصروف رأس سنتك وانك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك انا ان وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتنا من معرتنا أمانتك وان وجدناك قويا خائنا استهنا بقوتك وأحسنا عن خيانتك أدبك وأوجعنا ظهرك وثقلنا غرمك وان جمعت الجرمين علينا جمعنا عليك المضرتين وان وجدناك قويا أمينا زدنا فى عملك ورفعنا ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك (عزل) الاسكندر عاملا عن عمل نفيس وولاه عملا خسيسا فقدم عليه بعد حين فقال له كيف رأيت عملك قال له أيها الملك انه ليس بالعمل الكبير ينبل الرجل ولكن الرجل ينبل عمله به وان كان خسيسا بحسن السيرة وانصاف الرعية (وقال بعض الحكماء) أحسن جبلة الولاة اصابة السياسة ورأس اصابة السياسة العمل بطاعة الله وفتح بابين للرعية أحدهما رأفة ورحمة وبذل وتحنن والآخر غلاظة ومباعدة وامساك ومنع (وكتب) عبد الملك الى الحجاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه انى أيقظت رأيي وانمت هواى فأدنيت السيد المطاع فى قومه ووليت الحرب الحازم فى أمره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل امرئ من نفسى قسما فأعطيته حظا من نظرى ولطيف عنايتى وصرفت السيف الى النطف المسيئ والثواب الى المحسن البرئ فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب ورغب أهل العفاف فى أداء الامانة وتجنب أهل النطف والخيانة وأملت على ذلك من الله النجاة ومن خليفته المكافاة (وخطب)

سعيد

سعيد بن شريك بحمص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الاسلام حائط منيع و باب وثيق فحائط الاسلام الحق و بابه العدل ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل (قال أبو وائل الثقفي) دعاني سليمان بن وهب وقال لي اني قد مت حسن الظن بك والثقة بأمانتك وليتك قلادة في عنقي فصدق ظني فيك وحقق ثقتي بك ولا تفارق العدل في المخلوقين ظاهرا والعدل بينك و بين الخالق باطنا والله تعالى المستعان ثم دفع الي رقعة فيها توليتي على بعض الامور (وروى) ان المهدي ولى الربيع بن أبي الجهم فارس وقال له يا ربيع انشر الحق والزم القصد وارفق بالرعية واعلم ان أعز الناس من أنصف من نفسه وان أجورهم من ظلم الناس لغيره (وفي) كتاب الهند انما يسلم العاقل بالاخذ بالاناة ولا يزال صاحب العجلة يجتني منها ثمرة الندامة وضعف الرأي وليس أحد احوج الى التؤدة والتثبت من الملوك فان المرأة انما هي بزوجها والمولود بأبويه والمتعلم بمؤدبه والجند بالقائد والناسك بالدين والعامة بالملوك والملوك بالتقوى والتقوى بالتثبت فالحزم للملك معرفة أصحابه وانزالهم منزلهم واتهام بعضهم على بعض فانهم يلتمسون هلاك بعضهم بعضا واظهار مساوئ المسيئين واخفاء احسان المحسنين

فلم يستأثروا بكبير جمع * وكانوا للمصالح موثرينا
وكان الحزم فيما حاولوه * شعارهم فصاروا امكتفينا
و يسرهم لفعل الخير فيما * اليهم من أمور المسلمينا
وان يشأ الاله فساد قوم * أتاح لهم أكابر معتدينا

ذوى كبر وجهالة وجبن * واهمال لما يتوقعونا
فظلوا يشرهون ويجمعون * وليسوا فى العواقب يفكرونا
وجاروا حيث ما أمروا بعدل * كأن قد قيل كونوا جائرينا

(قال الحجاج) لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين انك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله فاذا عززت بالله فاعف له فانك به تقدر واليه ترجع (وقال بعض الحكماء) وجدت المسئ الى عبد الله ولو أساء الى عبد لاخى لصفحت عنه اكراما له فكيف لا أصفح عن مسئ هو عبد الله
(قال الشاعر)

ارحم أخى عباد الله كلهم * وانظر اليهم بعين اللطف والشفقه
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم * وراع فى كل خلق وجه من خلقه

(قال الشعبى) دخلت على ابن هبيرة وقد أتى بقوم فأمر بضرب أعناقهم فقال له رجل منهم أيها الامير ان الذى جعل السجن كان حكيما جعله قيدا للعجلة وبابا الى التثبت وسببا الى الاناءة فعليك بالتودة واياك والعجلة فأنت على عقوبتنا أقدر منك على ردها فأمر بحبسهم ثم عفا عنهم وأحسن اليهم (وفى سير العجم) آثر بالقيادة والسيادة والرياسة أهل الشرف فى المواضع وأهل القدم والنصيحة والشهرة والنجدة والخبرة بالحروب وحسن المواساة للاتباع وسخاء النفس لبذل المال
(قال محمد بن نصر الكاتب)

اذا ما الله شاء صلاح قوم * اتاح لهم أكابر صالحينا
ذوى رأى ومعرفة وفهم * واعدادا لما قد يحذرونا

(ذكروا) ان عبد الملك بن مروان لما ولى ابنه الوليد دمشق عهد اليه

بما

عما أحب ثم قال له يابني لا بيك صنائع قد رسخت في المجد أصولها وأورقت
في العلى فروعها وانتشر عند الناس ذكرها فلا تهدمن ما قد شرف لك
بناؤه وأضاء لك ضياؤه فكفى من سوء رأى المرء وقبح اثره وضعة نفسه
ان يهدم ما قد شيد له من فضيلة البناء ورفيع الثناء اياك وأعراض
الاحرار فان الحر لا يرضيه من عرضه عوض واجتنب العقوبة في الابشار
فانه وتر مطلوب وعار باق ولا يعدلك من ذي فضل سبقت اليه صنيعة غيرك
ان تصطنعه فان صنيعة ذي الفضل شكر تستوجبه وكنز تدخره واستعمل
اهل الفضل دون اهل الهون ولا تعزل الاعن عجز او خيانة وليكن
جلساؤك غير اسنانك فان الشباب شعبة من جنون وان نازعتك نفسك
على اخذ شئ من المال فلا يكن خصمك الا بيت المال وليكن رسولك
فيما بيني وبينك من يفهم عني وعنك واذا كتبت كتابا فأكثر
النظر فيه فان الكتاب موضع عقل الرجل ورسوله موضع عقله
وأستودعك الله العظيم (قال عمارة الفقيه) كنت اجالس عبد الملك
ابن مروان كثيرا في ظل الكعبة فبينا انا معه اذ قال لي يا عمارة ان تعش
قليلا فسترى الاعناق مائلة الي والآمال نحوي سامية واذا كان ذلك فلا
عليك ان تجعلني لرجائك بابا ولأملك ذريعة فوالله ان فعلت لأملأن
يديك غبطة ولأكسونك نعمة سابغة قال ثم ان عبد الملك سار الى دمشق
وصارت اليه الخلافة فخرجت اليه زائرا واستأذنت فأذن لي ودخلت
فسلمت عليه فلما انقضى سلامي قال مرحبا بأخي ونادى احد غلمانه فقال
بوئه دارا واحسن مهاده ونزهه وآثره على خاصتي قال ففعل واقمت
عنده عشرين ليلة احضر غداءه وعشاءه فلما اردت الانصراف والاوبة

الى اهلى امرلى بعشرين الف دينار ومائتى الف درهم ومائة ناقة برقيقها وكسوتها وقال لى أترانى يا عمارة ملأت يديك غبطة قال فقلت يا سبحان الله يا أمير المؤمنين وانك ذاكر لذلك قال نعم والله لا خير فيمن يذكر ما وعد به وينسى ما أوعد كم لهذا الامر يا عمارة قلت والله لكانه بالامس وله دهر يا أمير المؤمنين قال فوالله ما كان ذلك عن خبر سمعناه ولا حديث كتبناه ولا أثر رويناه غير انى عقلت فى الحداثة أشياء رجوت أن يرفع الله بها درجتى وينشر بها ذكرى قلت وماهى يا أمير المؤمنين قال نعم كنت لا أشارى ولا أمارى ولا أهتك سترا استره الله دونى ولا أركب محرما حظره الله على ولا حسدت ولا بغيت وكنت من قومى بواسطة القلادة وكنت أكرم جليسى وان كان ذميا وكنت أرفع قدر الاديب وأكرم ذا الثقة وأدارى السفيه وارحم الضعيف فبذلك رفع الله قدرى يا عمارة خذ أهبة السفر وامض راشدا (وروى) ان مروان بن الحكم لما ولى ابنه عبد العزيز مصر قال له حين ودعه انه يقال أرسل حكيما ولا توصه فانظر الى أهل عملك فان حل لهم قبلك حق غدوة فلا تؤخره عنهم الى العشى وان حل لهم عشية فلا تؤخره عنهم الى غد اعطهم حقوقهم عند محلها فتستوجب بذلك الطاعة واياك يا بنى أن يظهر لرعيتك منك كذب فانهم ان جربوا عليك الكذب لم يصدقوك فى الحق ولا تحابين فى القضاء قريبا ولا بعيدا واقض فى ذلك بالحق واستشر جلساءك وأهل العلم فان لم يستبن لهم فاكتب الى يأتيك فيه رأيى ان شاء الله وان كان لك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذه عند سورة الغضب واحبس عنه عقوبتك اياه حتى يسكن غضبك ثم ليكن منك ما كان اليه وأنت ساكن الغضب

منطفى

منطقى الحيرة فان أول من جهل الجبس كان حليماذا أناة ثم انظر الى أهل الحسب والدين والمروءة والعقول فليكونوا جلساءك وأهل دخلائك ثم اعرف منازلهم منك على غيرهم فى غير استرسال منك ولا انقباض أقول هذا واستخلف الله عليك (كان أزدشير) يقول ماشئ أضر على نفس ملك أو رئيس أو ذى معرفة صحيحة من معاشرة سخيف أو مخالطة وضيع لانه كما ان النفس تصلح على مخالطة الشريف الاديب الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها ويبدلها من محمود شريف أخلاقها وكما ان الريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا تحيي به النفوس وتقوى به جوارحها كذلك اذا مرت بالنتن فحملته آلمت النفوس واضرت بأخلاقها اضرارا تاما والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أسرع من البنيان وقد يجد ذو المعرفة من نفسه عند معاشرة السفل الوضيع شهرا فساد عقله دهرا (قال بعض الحكماء) اوحش الاشياء رأس صار ذنبا وذنب صار رأسا (وقال عمرو ابن العاص) لان يموت مائة من الاشراف خير من أن يرتفع واحد من السفلة لان عرضه اذا ارتفع وضع الاشراف وحط الاقدار

(قال الشاعر)

من كان يرجو أن يرى * من ساقط أمرا سنيا
فلقد رجا أن يجتني * من عوسج رطبا جنيا

(روى ان معاوية) ركب يوما متجولا فى بعض أزقة دمشق وهو على بغلة شقراء له ومعه المغيرة بن شعبة فبيناهما كذلك اذ عرض لهما شخص من بعيد فلما نظرا اليه عمدا نحوه فاذا هو معبد الجهنى فقال له معاوية

ما الذى أقدمك يا معبد أراغب أم راهب فقال كل لم يأت لى ولكن أتيت وارجع زاهدا افتنى معاوية عثمان بغلته فقال له المغيرة ماولدت قرشية قرشيا أضعف قلبا منك فقال يا مغيرة أيما أحب اليك احلم عنهم ويجتمعون الى أم أسفه عليهم ويتفرقون عنى فقال المغيرة لا بل تحلم عنهم ويجتمعون اليك فضرب معاوية بيده على صدر نفسه ثم قال ماولدت قرشية قرشيا مثل هذا القلب (وروى) انه لما ولى الحسن بن عمارة مظالم الكوفة أصبح الاعمش يقول ظالم ولى المظالم فبلغ الحسن بن عمارة قوله فوجه اليه بنفقة وثياب فلما أصبح الاعمش قال مثل هذا يولى علينا يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعود على فقيرنا فقال له رجل من جلسائه يا أبا محمد ما هذا قولك بالامس قال حدثنى خيثمة عن عبد الله بن مسعود قال جبلت النفوس على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها (قال بعض الحكماء) من أراد ان تنقاد له القلوب بالطاعة ويسعد بقبول ما يأمر به وينهى عنه فليتول ذلك فى نفسه فان قدر عليها وقف بها حيث يحب من المحامد فليثق بسرعة نفاذ أمره فى غيره وقبول ما يراه ويأمر به فان المهذب مطاع والعاجز عن مصلحته مخالف ولا يحظى بطائله (سأل) رجل عبد الملك ابن مروان الخلوة فأقبل على أصحابه فقال اذا شئتم فقاموا فلما خلا المجلس وهيأ الرجل الكلام قال له عبد الملك على رسلك اياك أن تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك أو تكذبنى فانه لا رأى لكذوب أو تغتاب عندى أحدا قال فتأذن لى فى الانصراف قال نعم (قال عبد الله بن العباس) قال لى أبى ان هذا الرجل يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يدنيك ويستخليك دون الناس فاحفظ عنى ثلاثا لا تفشين له سرا ولا تغتابن

عنده

عنده أحدا ولا يطلع منك على كذب (وفى كتاب العجم) ان بعض الملوك استشار وزراءه فقال أحدهم لا ينبغى للملك أن يستشير منا أحدا الا خاليا به فانه أموت للسر واحزم للرأى وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض فان افشاء السر الى واحد أوثق من افشائه الى اثنين وافشاؤه الى ثلاثة كافشائه الى العامة لان الواحد رهن بما أفشى اليه والثانى يطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فاذا كان سر الرجل الى واحد كان احرى أن لا يظهره رغبة منه ورهبة واذا كان عند اثنين دخلت الى الملك شبهة واتسعت على الرجلين المعارض فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد وان اتهمهما اتهم بريا بجناية مجرم وان عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له (قال الشاعر)

شاور سواك اذا نابتك نائبة يوما * وان كنت من أهل المشورات

فالعين تنظر منها مادنا ونأى * ولا ترى نفسها الا بمرآت

(قال الوليد بن عتبة) أسر الى معاوية حديثا فأتيت أبى فقلت له ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا ولا أظنه كان يطوى عنك ما بسطه الى أفأخبرك به قال لا يا بنى ان من كتم سرا كان الخيار اليه ومن أفشاه كان الخيار عليه فلا تكن مملوكا بعد ان كنت مالكا قال فقلت يا أبت ان هذا لا يدخل بين الرجل وابنه قال لا يا بنى ولكن أكره ان تذلل لسانك بأحاديث السر فدخلت على معاوية فحدثته بما جرى بينى وبين أبى فقال ويحك يا وليد أعتقك أخى من الخطأ (قال الشاعر)

تحفظ من لسانك فهو عضو * اشد عليك من وقع اليمان

فلا والله ما فى الارض شئ * احق بطول سجن من لسان

(قال بعض الحكماء) يجب للوالى ان يعلم ان رأيه لا يتسع للامور كلها فليتفرغ للمهم منها وليعلم انه متى شغل نفسه بغير المهم أزرى بالمهم (وقالوا) يستدل على ادبار الملك بخمسة أمور أحدها أن يستكفى الملك بالاحداث ومن لا خبرة له بالعواقب الثانى أن يقصد أهل مودته بالاذى الثالث أن ينقص خراجه عن قدر مؤنة ملكه الرابع أن يكون تقريبه وتبعيده للهوى لا للرأى الخامس استهانته بنصائح العقلاء وآراء ذوى الحنكة (وقالوا) رأس أعمال الملك أربعة أشياء حفظ المملكة وتحصين الديانة وإثابة المحسن وانصاف المظلوم (قال بعض الحكماء) الدول تشب وتكهل وتخرف فاذا كان عائدها أكثر مما يستحقه الملك فهى شابة تنذر بطول البقاء وان كان عائدها بمقدار ما يحتاج اليه فهى مكتهلة وإن كان عائدها أقل مما يحتاج اليه فهى خرفة متولية (نقل ابن سعيد فى كتاب الزهرات) ان المقتدر من خلفاء بنى العباس خلا يوما ببطانته فقال انا كنا فى أول أمرنا لا ننكر من حالنا ولا من حال الجند ولا حال الرعية شيأ ثم صرنا ننكر حال الرعية ثم صرنا ننكر حال الرعية والجند ثم صرنا الآن ننكر الاحوال الثلاث فليتكلم كل بما عنده فأطرق الجماعة فقال ما لكم لا تتكلمون فقال على بن عيسى بن الجراح أيد الله أمير المؤمنين ان مثل هذا لا يقدر أحد من عبيدك أن يتكلم فيه الا خلوة قال فلم قعد من عنده جواب عن ذلك فقاموا وقعد ابن عيسى ثم قال سدد الله الآراء العالية وأمدها بالمعقبات الحافظة الكالية ان هذه الامور صلاحها واختلالها من قبل الوزراء وهم ولاة التدبير والنظر فى الجبايات فكان أول وزير نظر فى الاعمال أمينا فى أموالكم كافيا فى خاصتكم

فى خاصتكم عادلا فى رعيتكم فلم ينكر مولانا من الاحوال الثلاث شيأ الا ان اكفاءه حسدوه على مكانه من السلطان وثناء الناس فتوصلوا بكل سبب الى عزله فكان ذلك وولى الثانى فلم يكن له بد من سد المكان الذى أتى منه الاول فاشتغل بمداراة الخاصة وقبل الجاهات واحتاج الى المصانعات فلم يكن له بد من الميل على الرعية وهى أول ما عدا اليه الحد فضجت به فلم يكن لك بد من عزله وولى ثالث فاحتاج الى سد المكانين وقد تشعبت الاحوال وتقاصت الاموال فلم يكن له بد من التغيير لما يحتاج اليه السلطان فعم الاختلال الاحوال الثلاث فاستحسن المقتدر ما أتى به وقال فما يصلح ما اختل و يقبل ما أدبر قال ان تولى من يقدم خوف الله فتأمن معه الرعية ثم يخافك فتأمنه فيما يحبيه اليك وفيما يخرجه عنك واذا خاف الله وخافك احتجت ان تسدله مكان الخوف من الناس بكثرة الاستدعاء والعمل بما أشار به وأن لا تجعل بينك و بينه واسطة فبهذا تتوفر الاموال و تصلح الاحوال وتبسط الايدى بالدعاء وتنكف أكف الشفاعات والجاهات فقال قد قلدناك ما وراء بابنا واشترطنا لك ما شرطته لمن يتولى ذلك فيصلح الله على يديه فقبل يده وانصرف الى مكان الوزارة فكان أول ما نطق به ان جعل الخرج أقل من الدخل وولى للكفاية لا للعناية و بالغ من السياسة والامانة الى الغاية فصلحت الاحوال وتكاثف ما تقاص من الاطلال وكان على بن بسام قد هجاه لما نفى الى مكة فلما ردت اليه الوزارة جلس يوما للمظالم فرفعت به فى جملة القصص رقعة مكتوب فيها

وافى ابن عيسى وكنت أضغنه * أشد شئ على أهونه

ما قدر الله ليس يدفعه * وما سواه فليس يمكنه

فقال على بن عيسى صدق هذا ابن بسام والله ماناله منى مكروه أبدا

(الفصل الثانى فى الاخبار)

(التى تتعلق بذوى الهمم والرياسة)

(حدث) محمد بن عبد الاعلى بن هاشم القاضى قال كان الوزير سليمان بن وانسوس رجلا جليلا أديبا من رؤساء البربر وكان أثيرا عند الامير عبد الله بن محمد صاحب الاندلس من بنى أمية فدخل عليه يوما وكان عظيم اللحية فلما رآه مقبلا جعل الامير ينشد

معلوفة كأنها جوالق * نكداء لا بارك فيها الخالق

للقمل فى حافاتها تعانق * فيها البغى المتكاثر افق

وفى احتدام الصيف ظل رائق * ان الذى يحملها لمائق

ثم قال له اجلس يا بربرى فجلس وقد غضب فقال له أيها الامير ان الناس يرغبون فى هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم وأما اذا صارت جالبة للذل فلنا دور تسعنا وتغنينا عنكم فان حلتم بيننا وبينها فلنا قبور تسعنا لا تقدرون على أن تحولوا بيننا وبينها ثم وضع يديه فى الارض وقام من غير أن يسلم ونهض الى منزله قال فغضب الامير وأمر بعزله عن الوزارة ورفع دسته الذى كان يجلس عليه وبقى كذلك مدة ثم ان الامير عبد الله وجد على فقده لعفافه وأمانته ونصيحته وفضل رأيه فقال للوزراء لقد وجدت لفقد سليمان تأثيرا وان أردت استرجاعه وتبرأمنا كان ذلك غضاضة علينا ولوددت أن يبدأنا بالرغبة فقال له الوزير أبو محمد بن الوليد ابن غانم ان أذنت لى فى المسير اليه استنهضته الى هذا فأذن له فنهض ابن غانم

الى

معلوفة

زمانق

احتدام

الى دار ابن وانسوس وكانت رتبة الوزارة بالاندلس أيام بني أمية ألا يقوم الوزير الا لوزير مثله فانه كان يتلقاه ويتنزله معه على مرتبته ولا يحجبه ولا لحظة فأبطأ الاذن على ابن غانم حينا ثم أذن له فدخل عليه فوجده قاعدا فلم يتزحزح له ولا قام اليه فقال له ابن غانم ما هذا الكبر عهدي بك وأنت وزير السلطان وفي أبهة رضاه تتلقاني على قدم وتتزحزح لي عن صدر مجلسك وأنت الآن في موجدته بضد ذلك فقال له نعم لاني كنت حينئذ عبدا مثلك وانا اليوم حر قال فيئس ابن غانم منه وخرج ولم يكلمه ورجع الى الامير فأخبره فابتدأ الامير بالارسال اليه ورده الى أفضل مما كان عليه (لما) جاءت الخلافة هشام ابن عبد الملك سجد من معه غير الابرش الكلبي فقال له هشام مالك لم تسجد يا أبرش فقال مالي وللسجود يا أمير المؤمنين بينما انت صاحبي اذ ذهبت في السماء وتركتني قال فان ذهبنا بك معنا وتفعل قال نعم قال فالآن طاب السجود فسجد (قال احمد بن اسماعيل بن على) كان ابي ومشايخ اهلي يجلسون مع ابي جعفر المنصور وكان احداثنا يجلسون دون ذلك وكان يتفقد من امورنا ما كان يتفقده من امور ولده حتى يستقرئ احدنا ويسئله ما بلغ من القرآن فاذا أدرك المدرك منا خيره بين ان يسريه وبين ان يزوجه ويتعاهدنا حتى يبعث بفاكهة الشام وخراسان وكنا نصل بالغداة والعشي فنجلس في مجلسه حتى يخرج الينا وانا صرنا في مجلسه ذات يوم كعادتنا فجلسنا ننتظر خروجه اذ أفاض أبي وعمومتي في استبطائه واستثاره عليهم فأطنبوا في ذلك وكان الموكل بالباب سليم الاسود يرفع الستر اذا جاء فكانت من سليم غفلة وجاء وهو يستمع اليهم فنهم ما هم فيه ووثب سليم

ابرفع الستر فأمسك بيده ومنعه من رفعه حتى استوعب سمعه جميع
ما كانوا فيه فلما انقضى كلامهم أمر سايما برفع الستر ودخل فقاموا له
كنحو ما كانوا يفعلون فقال ما هذا انما ينبغى أن تفعلوا هذا بحضرة العامة
لتشيدوا بذلك سلطانكم فأما مجالس الخلوة فنحن فيها اخوة ثم أمرهم
بالجلوس وأقبل عليهم وقال يا عمومتى ويا اخوتى قد سمعت ما كنتم فيه
وقولكم استأثر علينا ولعمرى لقد كان ذلك وما استئثارى عليكم الا لكم
ولقمع عدوكم واشفاقا من ذهاب سلطانكم وزوال أموالكم وانما أبكى
لكم رقة عليكم فكأنى بالرجل منكم ومن أبنائكم أو من أبناء أبنائكم
بين يدى الرجل من ولدى أو ولد ولدى ينتسب له فلا يعرفه حتى لعله أن
يبلغ على بن عبد الله بن العباس قال فذهبوا ليتكلموا فقال أقسمت
عليكم لما سكتم أفيضوا بنا فى غير هذا الحديث فقطعهم أن يتكلموا
وضرب الدهر ضربانه ومات المنصور وولى المهدى ومات وولى الهادى
ثم مات وولى الرشيد وخرج الرشيد الى الرقة ونالتنا جفوة ولزمنى دين
فخرجت اليه الى الرقة فكان أول ما لقيت موكبا عظيما فقلت ما هذا
فقيل لى هذان وليا العهد الامين والمأمون فترجلت وسلمت عليهما فقالا
من أنت فقلت أحمد بن اسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد
المطلب وبكيت فانتهى الخبر من ساعته الى الرشيد فلم أصل الى منزلى
حتى لقينى رسوله يدعونى فلما دخلت عليه فقال لى مم بكيت قلت يا أمير
المؤمنين كان من القصة كيت وكيت وسقت اليه خبر المنصور فبكيت
اذ كنت أنا المبتلى بذلك دون من حضره فقال لى هما ابنا أخيك وهى
عورة فاسترها ولن تسئل عن نسبك بعد اليوم ما أقدمك قلت دين لزمنى
قال

قال وكم هو قالت عشرون ألف دينار فقال يا غلام احملها اليه الساعة واحمل معها خمسة آلاف دينار لحفظه الحديث عن المنصور وهل من حاجة لك غير ذلك قالت أودع أمير المؤمنين وانصرفت (ركب) جلال الدولة يوما الى الصيد على عادته فلقيه سوادى يبكى فقال له مالك فقال لقينى ثلاثة غلمان أخذوا الى حمل بطيخ كان معى هو بضاعتى فقال امض الى العسكر فهناك قبة حمراء فاقعد عندها ولا تبرح الى آخر النهار فأنا أرجع وأعطيك ما يغنيك فلما عاد السلطان قال لنائبه انى قد اشتهيت بطيخا ففتش العسكر وفتش الخيام على شئ منه وأخذ البطيخ فقال عند من وجدتموه وقيل له فى خيمة فلان الحاجب فقال احضروه فأحضر فقال له من أين هذا البطيخ فقال ان الغلمان جاؤا به فقال أريدهم الساعة فأحسوا بالشر فهربوا خوفا من أن يقتلهم فقال احضروا السوادى فأحضر فقال له هذا هو بطيخك الذى أخذ منك قال نعم فقال خذه وهذا الحاجب مملوك لى وقد سلمته اليك ووهبته لك حين لم يحضر الذين أخذوا البطيخ منك والله ائن خليته لأضربن عنقك فأخذ السوادى بيد الحاجب وخرجا فاشترى الحاجب نفسه منه بثلاثمائة دينار فعاد السوادى الى السلطان وقال يا مولاى قد بعت المملوك الذى وهبت لى بثلاثمائة دينار قال ورضيت بذلك قال نعم قال اقبضها وامض بالسلامة (لما) ولى معاوية عمرا مصر احتبس فى بعض الاعوام خراجها عن معاوية فعزم على عزله عنها وأراد استعمال أبى الاعور السلمى عليها وكتب الى عمرو بالتسليم فلما بلغ عمرا الخبر أحضر وردان غلامه فقال له ان أمير المؤمنين قد عزلنا واستعمل أبا الاعور فهل عندك من حيلة قال نعم اذا

قدم عليك فاصنع له طعاما ولا تنظر له في كتاب حتى يأكل ودعونا نستعمل
عليه الحيلة فلما قدم أبو الاعور على عمرو وقال له هذا كتاب امير المؤمنين
قال عمرو ولو جئتنا بغير كتاب لصدقنا مقالتك قال انظر في الكتاب قال
ما أنا ناظر لك فيه حتى تأكل قال فدعا عمرو بالطعام ووضع أبو الاعور
كتابه وعهده الى ناحية وأقبل على الطعام يأكل فجاء وردان فسرق
الكتاب والعهد فلما فرغ أبو الاعور من طعامه أقبل يطلب الكتاب
والعهد فلم يجدهما فقال أين كتابي وعهدي قال له عمرو مه يا أبا الاعور
انما جئتنا زائرا فحسن جائزتك فاضطرب من ذلك أبو الاعور ثم صار الى
ان قبل الجائزة وبلغ ذلك معاوية فضحك حتى استلقى وأقر عمرا على ما كان
عليه من ولاية مصر (حكي) بكر بن عبد الله المزني ان رجلا كان يقف
على رأس بعض الملوك ويقول أحسن الى المحسن باحسانه والمسيء
سيكفيكه مساويه وكان الملك يحسن اليه فحسده رجل من أصحابه على
مقامه وتمنى أن يكون مكانه في مقامه فسعى عليه الى الملك أشد البغي
وسعى في حتفه أبلغ السعي حتى تغير عليه الملك وكان لا يكتب بخط يده الا
في صلة أو جائزة فكتب بخط يده الى بعض عماله لشدة حنقه اذا وصلك
كتابي هذا فاذبح حامله واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي ودفعه
الى ذلك القائم على رأسه فأخذه وخرج به فلقيه الساعي عليه فقال له
ما هذا قال خط يد الملك الى عامله فلان فقال هبه لي بفضلك واحبني
به فاني محتاج اليه وأنت غني عنه فرق له ودفعه اليه فأخذه وذهب به
فرحا مسرورا فلما قرأه العامل قال أتعرف ما في كتابك قال صلة الامير
المعلومة من خط يده قال بل امرني فيه أن أذبحك واحشو جلدك تبنا

وأرسل به اليه فقال له اتق الله في دمي فان الكتاب لم يكن لي فراجع الملك في أمري قال ليس لكتاب الملك مراجعة إلا انفاذ أمره ولا سيما لو كان بخط يده وأمر بانفاذ ما في الكتاب قال وجاء ذلك الرجل على عادته وقام على رأس الملك وجعل يقول أحسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه مساعيه فلما رآه الملك قال ما فعل الكتاب الذي كتبت لك بخط يدي قال له اقتضى فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال له الملك انه ذكر لي عنك أمر كذا وسعى عليك بوجه كذا فأوضح الرجل براءته مما نسب اليه وبين حجته في تكذيب سعيه عليه حتى تبين له أمره وظهر عنده صدقه وجيء بذلك الباغي محشوا تبنا فقال له الملك صدقت وصدقت موعظتك قم كما أنت تقوم وقل كما كنت تقول (قال الاصمعي) تطاول رجل من قريش على رجل من أخلاط الناس عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل القرشي يقول أنا من مطلح البطاح وأنا وأنا فغاظ ذلك عمر فقال له يا هذا ان كان لك عقل فلك حسب وان كان لك خلق فلك شرف وان كان لك تقوى فلك كرم والا فأنت خير من أحد وذلك الحمار خير منك ثم قال عمر ان أحبكم الينا قبل ان نراكم أحسنكم اسما فاذا رأينا كم فأحسنكم صمتا فاذا تكلمتم فأبينكم منطقا فاذا اختبرناكم فأحسنكم عملا لا أحب الينا وشركم عملا أبغض الينا سرائركم بينكم وبين ربكم (قال اياس بن معاوية) خرجت في سفر ومعي رجل من الاعراب فلما كان في بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتباعدا وإلى جانبهما شيخ من الحي فقال لهما الشيخ انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجني والتجني تبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير في شيء ثمرته العداوة

فقلت للشيخ من أنت فقال أنا ابن تجربة الدهر فقلت ما أفادك الدهر قال العلم به قلت فا يته أجد قال أن يبقى المرء أحد وثنه حسنة بعده (روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه) قدم الشام على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه على حمار فتلقاهما معاوية فى مركب له زدء فجاوز عمر حتى أخبر فرجع اليه فلما اقترب منه نزل فاعرض عنه عمر وتركه يمشى فقال له عبد الرحمن أتعبت الرجل يا أمير المؤمنين فأقبل على معاوية فقال له أنت صاحب المركب آنفا مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك قال نعم يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قال لانا فى بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ولابد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتنى بذلك أقمت عليه وان نهيتنى انتهيت فقال يا معاوية ما عاتبتك فى شئ يبلغنى عنك الاتركتنى منه فى أضيق من رواجب الضرس فان كان الذى قلت حقا فرأى أريب وان كان باطلا فخدعة أديب ولست آمرك به ولا أنهاك عنه فقال عبد الرحمن يا أمير المؤمنين لحسن ما صدر هذا عما أوردته فيه فقال عمر لحسن موارده ومصادره جشمناه ما جشمناه (حكى) انه شكا أهل بعض الاقطار الى المأمون واليا كان عليهم فقال لهم كذبتم فقد صح عندى عدله فيكم واحسانه اليكم فاستحيوا أن يردوا عليه قوله فقال له شيخ منهم يا أمير المؤمنين قد عدل فينا خمسة أعوام فاجعله فى قطر غيره حتى يسع عدله جميع رعيتك وتربح الدعاء الحسن فضحك المأمون واستحيى منهم وصرفه عنهم (وقف) شقيق بن سلمة على الحجاج فقال أصلح الله الامير اعرنى سمعك واغضض عنى بصرك واكفف عنى شرك وان سمعت خطأ أو زللا فدونك والعقوبة قال هات قال عصى

عاص

عاص من عرض العشيرة لحاق على اسمي وهدم منزلي وحرمت عطائي فقال الحجاج أما سمعت قول الشاعر

جانيك من يجني عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب
فلرب مأخوذ بذنب عشيرة * ونجا المقارف صاحب الذنب

قال أصلح الله الامير سمعت الله عز وجل يقول غير ذلك قال وما سمعته يقول قال قال الله العظيم يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فقال الحجاج على بيزيد بن مسلم فمثل بين يديه فقال له احلل لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه وابن له منزله وأمر مناديا ينادي صدق الله وكذب الشاعر (عاد) المعلى بن أيوب صديقا له فرأى علة وخلة فأسر الى وكيله فقال اذهب وجئني بخمسمائة درهم مختومة في قرطاس فذهب وجاءه بها ووضعها بين يديه فدفعها الى العليل وقال له هذا دواؤك فاستعمله ونهض ففتحها العليل عن منية المتمني وغيره ما كان من حاله فلما كان الاسبوع عاده ثانيا فرآه متماثلا نشيطا فقال كيف وجدت الدواء قال يا سيدي وجدته نافعا لعلتي وحالي قال أتريد زيادة قال نعم يا مولاي فقال للوكيل اذهب وجئنا بمثل ذلك الدواء فذهب وجاءه بخمسمائة أخرى فانشط العليل من عقال العلة وقال هذه اعادة حياة لا عيادة (وكان) لعمرو بن سعيد صديق ينقطع اليه فرآه يوما وثوبه الذي يلي بدنه من تحت جبته فيه أثر بلى فلما انصرف من عنده وجه اليه بتخت من ثياب وصرة من دنانير فاخذها الرجل وكتب اليه

سأشكر عمرا ان تراخت منيتي * أيادي لم تمنن وان هي جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت

(حكى) انه لما مرض الشافعي رضي الله عنه مرضه الذي مات منه قال لقومه اذا أنا مت فقولوا لفلان يغسلني فلما توفي وبلغه الخبر قال ائتوني بتذكرته فجيء بها اليه فوجد فيها على الشافعي سبعون ألف درهم دينا لفلان وفلان فكتبها الرجل على نفسه وقال هذا هو الغسل الذي أراده (مر الشافعي) بسوق الحدادين بمصر فسقط قوسه من يده فقام رجل من دكانه فأخذه ومسحه بكمه وناوله اياه فقال الشافعي رضي الله عنه لغلامه كم معك قال سبعة دنانير فقال له ادفعها اليه (خرج) سعيد بن العاصي يوما من عيادة مريض فرآه شاب من قريش يمشي وحده فماشاه حتى بلغ باب داره فلما انتهى الى باب الدار التفت اليه فقال له ألك حاجة قال مالي حاجة ولكني رأيتك تمشي وحدك فاحببت ان أصل جناحك فقال بارك الله فيك مكانك ثم دخل الى منزله فاخرج اليه بدرة فيها عشرة آلاف درهم فدفعها اليه (مر يزيد) بن المهلب باعرابية عقب خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقربت عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية ما معك من النفقة قال انما ثمانمائة دينار فقال ادفعها اليها فقال ابنه انك تريد الرجال ولا يكون الرجال الا بالمال وهذه يرضيها اليسير وهي بعد لا تعرفك قال فان كانت ترضى باليسير فانا لا نرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فانا أعرف بنفسي ادفعها اليها (حكى) ان رجلا أتى علي بن سليمان فقال له بالذي أسبغ عليك هذه النعم من غير شفيع كان لك اليه الا تفضلا منه عليك الا انصفتني من خصمي وأخذت الي الحق

منه

منه فانه ظلوم غشوم لا يستحي من كبير ولا يلتفت الى صغير فقال له علمني من هو فان لم ينصفك والا أخذت الذي فيه عيناه من هو قال الفقر فاطرق الى الارض مليا ينكت الارض باصبعه ثم رفع رأسه فامر له بعشرة آلاف دينار فاخذها ومضى فلما سار خارجا منه قال ردوه فلما مثل بين يديه قال ياذا الرجل سألتك بالله متى أتاك خصمك متعسفا الا أتيت الينا فيه متظلما (قدم) أعرابي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين لي اليك حاجة منعني الحياء ان أذكرها لك فقال له يا اعرابي خطها في الارض فخط فيها اني فقير فقال علي لغلامه قنبرا كسه حلتي فكساه الحلة فانشد الاعرابي يقول

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حلل الثنا حللا
ان نلت حسن ثناء نلت مكرمة * ولست تبغي بما قد نلته بدلا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

فقال علي لغلامه أعطه مائة دينار فاعطاه اياها فلما ولى الاعرابي قال له قنبر يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شانهم فقال له علي مه ياقنبر لا تفعل أصحابي معي لست أنساهم مع اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تشكر والمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه (قال اعرابي) لداود بن يزيد المهلبي اني لم أصن وجهي عن مسئلتك فصن وجهك عن ردي وضعني من كرمك حيث وضعت نفسي من الثقة بك فامر له بعشرة آلاف درهم وقال له هي أكبر من قدرك فقال له الاعرابي لئن جاوزت قدري لما بلغت املي فيك (سأل) رجل اسد

ابن عبد الله فاعتل عليه فقال له ما سألتك الا عن غير حاجة قال ولم قال لانى رأيتك تحب من لك عنده معروف فأردت ان أتعلق بحبل ودمثلك فأعطاه (وأتى) ابن السماك رجل فقال انى قد أتيتك فى حاجة واعلم ان الطالب والمطلوب اليه عزيزان ان قضيت وذليلان ان لم تقض فاختر لنفسك عز البذل على ذل المنع واختر لى عز النجح على ذل المنع فقضى حاجته (وقال) محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم انى أتيتك فى حاجة رفعتها الى الله قبلك فان يأذن الله فيها قضيتها وحمدناك وان لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك (وقال) فيض ابن اسحاق كنت عند الفضيل بن عياض اذ دخل رجل فسأله حاجة وألح فى السؤال عليه فقلت لا تؤذ الشيخ فقال لى الفضيل اسكت يا فيض أما علمت ان حوائج الناس اليكم نعمة من الله عليكم فاحذروا ان تملوا النعم فتحول نقمها الا تحمد ربك ان جعلك موضعا تسئل ولم يجعلك موضعا تسئل (وفد) قوم من قريش على معاوية فقالوا السلام عليك يا معاوية فبسط لهم وجهه وألان قوله فطلبوا الموادعة فقال يا وجوه قريش مالكم تيتم من مكان بعيد ثم لم تجعلوا بين السلام والموادعة حاجة تطلبونها فقالوا والله يا أمير المؤمنين ما أتيناك الامفاخرين بأحسابنا مباهين لك برجالنا متعززين عليك بسيوفنا طالبين من مالك غير راضين باليسير من نوالك ولكنك بسطت لنا الوجه وألنت المقال فاستغنينا بذلك عن طلب المال فقال اذن والله لاجعن لكم بين الحسنيين ولاصرفنكم بحاية مدم من تخاف عنكم (كان) للقاضي أحمد بن أبي داود شخص يختص به ويسعى فى قضاء حوائجه فمنعه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات من التردد اليه لمنافسة كانت بينه

وبين القاضي المذكور وشحناء فبلغ ذلك القاضي فجاء الى الوزير فقال له والله ما جئتك متكبرا بك من قلة ولا متعززا من ذلة ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجبت لقاءك فان لقيناك فله وان تأخرنا عنك فلك ثم نهض من عنده (قال ابن سعيد) كان أحد المغاربة الادباء يتردد الى جمال الدين بن مطروح بالقاهرة وله حينئذ تصدرت وتمكن من الدولة الصالحية فمدحه بكثير وكتب له من النثر والنظم والامثال كثيرا فما ظهر له منه قبول على جميع ما كتب به اليه وشكا الى ذلك فقلت له اكتب له بقول ابن الابانة

جمالك ألبس الدنيا جمالا * ومد على منا كبها ظلالا

أجل لي نظر السيادة في حديثي * فان الرزق حيث تميل مالا

قال فوالله ما وقف عليهما حتى بسط وجهه ونظر في قصته وظهر منه جميع ما فات من القول والالتفات (كان محمد بن الحسن الشيباني) قد بلغ عند الرشيد مبلغا جليلا وكان امام الحنفية في زمانه واحتاج الامام الشافعي الى مشاركته فكتب له

لست أدرى ماذا أقول ولكن * ان في من عرضت جاهك نفعا

والفتى ان أراد نفع أخيه * فهو أدرى في أمره كيف يسعى

فاعتنى به حتى صدر الى مصر بطلبته (لما) مات عمرو بن مسعدة رفعت الى المأمون رقعة انه خلف ثمانين ألف ألف درهم فوقع في ظهرها هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيما خلف وأحسن لهم النظر فيما ترك (لما) استشعر الاسكندر الوفاة كتب الى أمه يقدم عندها مقدمات التصبر عن مصابه بمواعظ ذكرها في كتابه ثم

قال لها يا أمة اذا أنا مت فاصنعي طعاما حسنا كاملا وشرابا لذيذا حلوا واحضري له كافة الناس واعهدي اليهم أن لا يحضره من نابته من الدهر نائبة ولا من أصابته من الزمان مصيبة ليكون ما تم الاسكندر خلافا عن ما تم العامة و يكون لك في ذلك الذكر والصيت فلما مات امتثلت ذلك واختلفت في الطعام والشراب ودعت الناس اليه وعهدت اليهم بما أمرها فلم يأتها أحد فقالت ما بال الناس مع تقدمنا اليهم قد تخلفوا عنا فقيل لها أمرت أن لا يحضره من أصابته مصيبة وكل الناس أصابتهم المصائب ونابتهم النوائب فقالت يا اسكندر ما أشبه أواخرك بأوائلك أردت والله أن تعزيني عنك التعزية الكاملة (قال شريح القاضي) انى لاصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها لاربعة وجوه أحمده اذ لم تكن أعظم مما هي وأحمده اذ رزقني الصبر عليها وأحمده اذ وفقني للاسترجاع على ما أرجو فيه الثواب وأحمده اذ لم يجعلها في ديني (قال الشاعر)

الحمد لله رب العالمين * كما يحبه الملك الاعلى ويختار

هو الحميد الذى جلت محامده * فليس يبلغ منها الدهر معشار

نثني عليه بما أولى ونشكره * كم نعمة منه والانسان كفار

(روى في بعض الاخبار) ان امرأة من الاعراب وقفت على جماعة فقالت لهم ما الكرم رحمكم الله قالوا بذل المعروف والايثار على النفس قالت هذا في الدنيا فما هو في الدين قالوا طاعة الله سبحانه وبذل المجهود في عبادته واجتناب محارمه والوقوف عند حدوده طيبة بذلك نفوسنا قالت أفتريدون بذلك جزاء قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة

وأين

فأين الكرم قالوا فما هو يرحمك الله قالت هو أن يعبد الله تعالى حق عبادته لا يراد على ذلك جزاء حتى يفعل بكم مولاكم ما يشاء الا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم انما تريدون شيأ بشئ (دخل) المهدى الكعبة ومعه منصور الحجبى من حجبة البيت فقال ما حاجتك قال انى أستحى ان أسئل فى بيته غيره فلما خرج أمر له بعشرة آلاف دينار (قال) خالد بن صفوان لا تطلبوا الحوائج فى غير حينها ولا تطلبوها الى غير أهلها ولا تطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع خلقاء (وقال خالد بن صفوان) شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه فما ترك منه شيأ فلما فرغ قال له عمرو آجرك الله على ما ذكرت من صواب وغفر لك ما ذكرت من خطأ فما حسدت أحدا حسدى عمرا على هاتين الكلمتين (وشتم) رجل الشعبى فقال له ان كنت صادقا يغفر الله لى وان كنت كاذبا يغفر الله لك (وشتم) رجل أبا ذر فقال له يا هذا لا تستغرق فى شتمنا ودع للصلح موضعا فانا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من ان نطيع الله فيه (وروى) ان على بن الحسين رضى الله عنهما كان يوما خارجا من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت عليه العبيد والموالى فقال على بن الحسين مهلا على الرجل ثم أقبل عليه فقال له ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحيى الرجل ورجع الى نفسه قال فألقى عليه ثوبا كان عليه وأمر له بألف درهم قال فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد انك من أولاد الرسل (ومر المسيح بن مريم) بقوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده (وفى سير العجم) ان رجلا وشى

برجل الى الاسكندر فقال له أتحب ان أقبل منك عليه ونقبل منه عليك
قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك الشر (قال الصلت بن سعيد)
كنا عند سفيان بن عيينة فضجر بنا وقال أليس من الشقاء ان أجالس
التابعين ثم أجالسكم جالست ضمرة بن سعيد الخدري وعبد الله بن دينار
وجابر بن عبد الله وعدد جماعة فقال له صبي في المجلس لم يكن في الجماعة
أصغر منه سنا أنصف يا أبا محمد قال ثم قال والله اشقاء التابعين بمجالستهم
اياك بعد مجالستهم الصحابة أشد من شقائك بمجالستك ايانا بعد التابعين
فابلس ابن عيينة ثم قال للصبي يوشك ان تكون لك حال وكان الصبي يحيى
ابن أكثم (وذكر) ان السري بن المقلس قرأ على مؤدبه ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا فقال له يا أستاذ ما الورد فقال له المؤدب لا أدري
فقرأ لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فقال له يا أستاذ
ما العهد فقال المؤدب لا أدري فقطع السري القراءة وقال اذا كنت
لا تدري فلم غررت بالناس فضربه المؤدب فقال السري يا أستاذ ألم يكفك
الجهل حتى أضفت اليه الظلم والاذى فاستحله المؤدب وتاب الى الله من
التأديب وأقبل على طلب العلم (أكب) رجل من بني مرة على مالك بن
أسماء يحدثه في يوم صيف ويغمه ويثقل عليه ثم قال أتدري من قتلنا
منكم في الجاهلية قال لا ولكني أعرف من قتلتم منا في الاسلام قال ومن
هم قال انا قتلتني اليوم بطول حديثك وكثرة فضولك (قال الربيع)
حاجب المنصور لما استولت الخلافة لابي جعفر المنصور قال لي يا ربيع
ابعث الى جعفر بن محمد قال فقمت بين يديه فقلت أي بلية يريد أن يفعل
به وأوهمته اني أفعل ثم أتيته بعد ساعة فقال ألم أقل لك ابعث الى جعفر بن

محمد فوالله انما تبني به ولا تثلمه شرقتله قال فذهبت اليه فقلت أبا
عبد الله اجب أمير المؤمنين فقام معي فلما دنونا من الباب قام فحرك
شفتيه ثم دخل فسلم فلم يرد عليه السلام ووقف فلم يجلس ثم رفع رأسه اليه
فقال يا جعفر أنت الذي ألبت وكثرت وحدثني أبي عن أبيه عن جده ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ينصب للغادر لواء يوم القيامة يعرف به قال
جعفر بن محمد حدثني أبي عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ينادي مناد يوم القيامة من بطنان العرش الا فليقم من كان أجره على
الله فلا يقوم من عباد الله الا المتفضلون فما زال يقول حتى سكن ما به
ولان له فقال اجلس أبا عبد الله ارتفع أبا عبد الله ثم دعا بمدهن غالية فجعل
يغلفه بيده والغالية تقطر من بين أنامل أمير المؤمنين ثم قال انصرف أبا
عبد الله في حفظ الله وقال لي يا ربيع أتبع أبا عبد الله جائزته وأضعفها
قال فخرجت فقلت يا أبا عبد الله شهدت مالم تشهد وسمعت مالم تسمع وقد
دخلت ورأيتك تحرك شفتيك عند دخولك اليه أشئ تأثره عن آبائك
الصالحين قال لا بل حدثني أبي عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا حزنه أمر دعا بهذا الدعاء وكان يقول هو دعاء الفرج
(اللهم) احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام
واحفظني بعزك الذي لا يضام واكلأني في الليل والنهار وارحمني
بقدرتك على أنت ثقتي ورجائي فكم من نعمة أنعمت بها علي قل لك بها
شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري وكم خطيئة ركبتها
فلم تفضحني فيامن قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويامن قل عند
بلائه صبري فلم يخذلني ويامن رآني على الخطايا فلم يعاقبني يا ذا المعروف

الذى لا ينقضى أبدا ويا ذا الايادى التى لا تحصى عددا ويا ذا الوجه الذى لا يبلى أبدا ويا ذا النور الذى لا يطفأ سرمدا اسئلك ان تصلى على (محمد) وعلى آل (محمد) كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وان تكفينى شر كل ذى شر بك ادرأ فى نحره واعوذ بك من شره واستعينك عليه اللهم أعنى على دينى بدنياى وعلى آخرتى بالتقوى واحفظنى فيما غبت عنه ولا تكلنى الى نفسى فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفر لى ما لا يضرك وهب لى ما لا ينقصك يا الهى اسئلك فرجا قريبا وصبرا جميلا واسئلك العافية من كل بلية واسئلك الشكر على العافية واسئلك دوام العافية واسئلك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم بك أستدفع مكروه ما انا فيه واعوذ بك من شره يا أرحم الراحمين (ويروى عن الشافعى) رضى الله عنه انه وجه اليه بعض الخلفاء أراه ابا جعفر المنصور فى الليل ليقتله وهو قد اشتد غضبا عليه وحنقا فلما وصل اليه الرسول قال أجب امير المؤمنين قال وما حاجته الى فى جوف الليل فقال لا اعرف لكنى امرت ان آتى بك فاشتمر الشمر وخرج مع الرسول فلما انتهى الى باب القصر استأذن الرسول فأمر أبو جعفر بادخاله فتوقف ساعة وحرك شفتيه ثم دخل فقام المنصور اليه واخذ بيده واجلسه وجعل يعتذر اليه من التوجيه وراءه فى مثل ذلك الوقت ثم عطف على الرسول وقال له اعلك روعته فقال له لا ثم أمر الشافعى بالانصراف وأمر له بمال كثير قال الرسول فعجبت مما رأيت وعلمت ان الذى نجاه ما حرك به شفتيه فتبعه الرسول وقال له بالذى استنقذك واجاب دعاءك الا ما اعلمتنى بالذى حركت به شفتيك حين أمرت بالدخول

حتى

حتى أنزلك على المقام الذي رأيت قال نعم وكرامة وأنا أهدي ذلك اليك (اللهم) اني أعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل آفة وعاهة ومن طوارق الليل والنهار ومن طوارق الانس والجان الا طارق يطرق بخير يا الله يا رحمن (اللهم) أنت عياذي فبك أعوذ وانت ملاذي فبك ألوذ يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد الفراعنة أعوذ بجلال وجهك وكرم جلالك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكرك والاضراب عن شكرك انا في كنفك في ليلي ونهاري ونومي وقراري وظعني واسفاري فاجعل ذكرك شعاري وثناءك دثاري لا اله الا انت تنزيها لاسمك وتكريما لسبحات وجهك أجرني من خزيك ومن شر عبادك واضرب على سرادقات حفظك وقني سيئات عذابك وأدخلني في حفظ عنايتك يا أرحم الراحمين فانك على كل شيء قدير وأنت حسبي ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الرسل من الملائكة والنبيين وعلى جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (كان لمالك بن انس رضي الله عنه بنت تحفظ كتابه الموطأ) فكانت تقف خلف الباب فاذا قرئ على مالك وغلط القارئ نقرت الباب فيعلم غلطه وكان له ابن اسمه محمد يجيء وأبوه مالك يحدث وعلى يده باشق فيلتفت مالك للحاضرين فيقول أما ان الادب أدب الله هذا ابني كما ترون وهذه ابنتي كما ترون (قال ابن سعيد في كتابه الزهرات) نقلت من كتاب المبرق الموسوم بالعمائم بالكمائم أولى ما حفظ الرؤساء الكرام من الاشعار أشعار أمثالهم وأولى ما حفظ من ذلك اشعار أبي دلف العجلي لان اقواله فيها تطابق افعاله مع

حلاوة منزه وعذوبة مشربه وأولى ما حفظ من شعره فى ذلك قوله

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها * وبادر بها من قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هى أقبلت * ولا البخل يبقيها اذا هى ولت

(قال بعض الشعراء)

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فأحرى ان تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

(وقال آخر)

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه * فلا تكتسب بالمال شيأ سوى الذكر
فقد أبادت الايام كعبا وحاتما * وذكرهما غض جديد الى الحشر

(قال ابن سعيد) حكى لى الصاحب كمال الدين ابن العديم ان القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى حلب الذى بلغ عند صلاح الدين وابنه الظاهر مالم يبلغه أحد من نظرائه مرض بحلب قال فمشيت فى جماعة من الشبان المبتدئين فى القراءة والظهور الى عيادته فعندما دخلنا عليه قام لنا فجعلنا نخاف ان لا يفعل فقال يا سبحان الله تتفكرون فى مرضى وتمنعون من أن أمشى اليكم الى منزلى ثم أبخل عليكم بقومة هذا والله غير طريق المروءة ثم قال يا أولادى لقد دخلت على كبير وانا فى سنكم فلم يتنقل من فاتى الآن ما أذكر ذلكم الا أسأت ذكره وندمت على وصولى اليه ولا يتجنب المعائب الا أهل التجارب قال وكنت أتردد الى مجلس كمال الدين بن يغمور وهو نائب السلطنة بالشام وكان يقوم لى كلما دخلت عليه فدخلت يوما فاذا به مضطجع فلم يقم وأخذ فيما كان يأخذ فيه فلما دخلت عليه فى اليوم الثانى قام ثم جلس ثم قام ثم جلس وقال هذه الاخيرة

قومة

قومه أمس كانت على دينا العذر تتفضل بقبوله دون مطالبة بذكره فتعجبت من فضله وقلت ماسار لهذا الرجل ما سار في الآفاق من باطل (قال يزيد بن أبي حبيب) خرجت الى الصيد فبينا أنا يوما أدور على شاطئ النيل اذا أنا براهب في الماء وهو يغسل عباءة بالطين والماء فوقفت أنظر اليه فنظر الي وقال أظنك ممن يطلب الاحاديث قال قلت أجل فقال اصبر حتى أفرغ من شأني وأحدثك حديثا نجده عندنا فانتظرته حتى فرغ ثم جاء فجلس فقال ياهذا انا نجد في علمنا مثلا ان الحق والباطل اصطحبا في سفر فمشيا الى الليل فلما نزلا قال الباطل للحق اذهب فأتنا بشئ نفطر عليه قال فذهب الحق فطلب فلم يجد شيأ من حله فرجع فقال له الباطل ماصنعت قال لم أجد شيأ من حله فقال الباطل اجلس حتى آتيك قال فذهب فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء بشئ فقال للحق كل فقال ما أراه من حله واستباح كله فقال له الباطل بعثتك لتأتيني بشئ فلم تجد شيأ فلما ذهبت أنا وجئت لما نفطر عليه حرمته على فنازعه فوثب الباطل على الحق فقتله ثم قال ان أهل الحق قد علموا انه خرج معي ولابد لهم أن يطلبوني به فعمد الى حطب فجمعه ثم أضرم عليه النار حتى صار رمادا ثم ذهب وتركه فجاءه أهل الحق فقالوا مافعل الحق فقال لا علم لى به فقالوا امعك خرج فقال نعم ولا أدرى مافعل فخرج أهل الحق يطلبونه حتى وقفوا على الموضع الذى أحرقه فيه الباطل فقالوا هذا رماد الحق وهذا موضع ناره حيث أحرقه الباطل فجمعوا رماده وصنعوا مدادا يكتبون به فهذا مابقى من الحق فاما الحق بعينه فقد ذهب (ومن) المنقول في تأليفنا مقالات الادباء (دخل) رجل على سلم بن قتيبة الباهلي

فكلمه في حاجة ووضع نصل سيفه على أصبع سلم بن قتيبة وجعل يكلمه في حاجته وقد أدمى أصبعه وسلم صابر فلما فرغ الرجل من حاجته وانصرف دعا سلم بمنديل فمسح الدم من أصبعه وغسله فقيل له الا نحيت رجلك أصلحك الله أو أمرته برفع سيفه عنها فقال خشيت ان أقطعه عن حاجته (حدث الاصمعي) قال سأل رجل أبا عمرو بن العلاء حاجة فوعده بها ثم ان الحاجة تعذرت على أبي عمرو فلقيه الرجل بعد ذلك فقال له يا أبا عمرو وعدتني وعدا فلم تنجزه قال له أبو عمرو فمن أولى بالغم أنا أو أنت فقال له أنا فقال له عمرو بل انا فقال له الرجل وكيف ذلك أصلحك الله قال لاني وعدتك وعدا فبت بفرح الوعد وبت أنا بهم الانجاز وبت ليلتك فرحا وبت مفكرا مغموما ثم عاق القدر عن بلوغ الارادة فلقيتني مذلا ولقيتك محتشما فمن ههنا صرت أولى بالغم منك (اجتمع) جماعة من الشعراء بباب أبي الغيث فلم يأذن لهم فكتبوا اليه

أيها ذا العزيز قد مسنا الضر * ودبت به الخطوب الينا

ولدينا بضاعة مزجاة * قل طلابها فبارت لدينا

فأزل ضرنا وأوف لنا الكيل * لعاشقت أو تصدق علينا

فأحسن اليهم وانصرفوا (روى) ان عكرمة بن ربعي الفياض ولي أصبهان فأنهب خراجها في زواره وقدم المدينة فتقسم بها اخوانه وأعطاهم عطايا لم يكن فيها أقل من عشرة آلاف درهم ثم سأل عن بشر بن غالب الذي تنسب اليه جبانة بشر بالكوفة فقيل له غلبه الدين حتى اختفى قال فأمهل حتى اذا أمسى حمل معه بدرة وعلى غلامه بدرة أخرى وتختا من ثياب أصبهان ثم سأل عن منزل بشر فدل عليه فدق الباب فقال

بشر

لامرأته انظرى من هذا وما حاجته وما يريد قال فخرجت اليه امرأته فقالت من أنت وما حاجتك وما تريد قال أريد بشرا قالت أوما علمت انه غائب منذ شهر قال فاحلف لها بالطلاق والعتاق انه آمن وانه ليس له قبله شئ يكره قال فخرج بشر اليه فقال ما حاجتك قال مر بهذا المال يقبض قال ومن أنت قال وما عليك أن لا تعرف اسمى فقال على ذلك قال فترضى ان نوجز لك قال نعم قال أنا جابر عثرات الكرام قال انك لاهل ان يقبل منك قال فلما كان بعد قليل ولى بشر بن مروان الكوفة وجعل على شرطته بشر بن غالب ودفع اليه عكرمة بن ربعى وقال له دق يديه حتى يرد ما كسر من خراج أصبهان قال فعظم عليه العذاب وهو لا يعرفه فقالت له امرأته أخبره بيدك عنده قال تأمريني ان أتقاضى معروفي والله لا فعلت قالت فأخبرهم أنا قال ان فعلت فأنت طالق ثلاثا قالت فرأيت الطلاق أهون على من ان تتلف نفسه فدخلت على امرأة بشر فقالت تدرون من تعذبون قالت نعم هو عكرمة قالت هو جابر عثرات الكرام قال فدعت بالويل قال فدخل عليها بشر فقالت تدرى من تعذب قال نعم هو عكرمة قالت هو جابر عثرات الكرام الذى طرقنا ليلا طارق قال فدعا بثيابه وسيفه ثم مثل بين يدى بشر بن مروان وقال أصلحك الله هذا مقام العائذ قال وماذاك قال ان الذى أخبرتك انه طرقنا ليلا بما طرقنا هو عكرمة قال فماذا تريد ما قال أريد ان تخلى سبيله قال فانا قد فعلنا قال وأخرى أصلحك الله قال وماهى قال ان تصيره مكانى معك قال فلا قد فعلنا قال فما شاصا حبين مع بشر بن مروان رحمة الله على جميعهم (قدم) سعيد بن العاصى الكوفة عاملها لعثمان رضى الله عنه فكانت له موائد

يغشاها الاشراف والقراء فكان فيمن يغشى موائده رجل من القراء فقير فقالت له امرأته ويحك انه بلغنا عن أميرنا هذا كرم وجود فاذكر له بعض ما نحن فيه فتحدث عنده ذات ليلة فلما انصرف الناس منه ثبت الرجل فقال له سعيد انى قد أرى جلوسك وما جلست الا ولك حاجة فاذكرها رحمك الله فتعقد الرجل وتعسر فقال سعيد لغلمانه تنحوا يا غلمان ثم قال له رحمك الله انما هو أنت وأنا فاذكر حاجتك فتعقد أيضا وتعصى فنفخ سعيد المصباح فأطفأه ثم قال له رحمك الله انك لست ترى وجهى فاذكر حاجتك قال أصلح الله الامير أصابتنا حاجة فأحببت ذكرها لك قال له اذا أصبحت فالق فلانا وكيلى فلما أصبح لقى الوكيل فقال له ان الامير قد أمرنى بشئ فهل جئت بمن يحمل قال لا والله ما عندى من يحمل ورجع الى امرأته وجعل يعذلها ويلومها وقال قال لى وكيله جئت بمن يحمل وما هى الا قوصرة من تمر أو قفيز من بر ولو كانت دراهم أو دنانير أعطانيها بيده قالت ويحك ما كان من شئ فقوتنا به فمكث أياما ثم لقيه الوكيل فقال له ويحك أين تكون أخبرت الامير انه ليس عندك من يحمل فأمرنى ان أوجه معك من يحمل فوجه معه بثلاثة من السودان يحمل كل واحد منهم بدرة على عاتقه حتى أوردوها منزله فأطلق وكا بدرة منها ووهب لهم منها دريهمات وقال انصرفوا قالوا الى أين ما حمل له مملوك قط هدية فرجع فى ملكه (امتدح) نصيب الشاعر عبد الله بن جعفر فأمر له بخيل وابل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل أمثل هذا الاسود يعطى مثل هذا المال فقال عبد الله بن جعفر ان كان أسود فان شعره أبيض وان ثناءه

لمروى

لمروى وقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى وما لا يفنى ومطايا تنضى واعطانا مدحا يروى وثناء يبقى (دخل) ابن السماك على محمد بن سليمان بن على فرآه معرضا عنه فقال مالى أرى الامير كالعاتب على قال ذالك لشئ بلغنى عنك كرهته قال اذن والله لا أبالى قال ولم قال لانه ان كان ذنبا غفرته وان كان باطلا لم تقبله (خطب) أبو جعفر المنصور يوما فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اتقوا الله فقام اليه رجل من عرض الناس فقال أذكرك الذى ذكرتنا به يا أمير المؤمنين فأجابه أبو جعفر بلا فكرة ولا روية سمعا سمعا لمن ذكر بالله وأعوذ بالله ان أذكر به وأنساه فتأخذنى العزة بالاثم لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وأما أنت أيها القائل فوالله ما الله أردت بها ولكن ليقال قال فعوقب وصبر وأهون بها لو كانت وانا أنذركم أيها الناس أختها فان الموعظة علينا نزلت ومنا أنبتت ثم رجع الى موضعه من الخطبة (حج) عتبة بن أبى سفيان سنة احدى وأربعين والناس قريب عهدهم بالفتنة فصلى بمكة الجمعة ثم قال أيها الناس انا قد ولينا هذا المقام الذى يضاعف فيه للمحسن الاجر وعلى المسيئ فيه الوزر ونحن على طريق ما قصدنا فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا فانها تنقطع دوننا ورب متمن حتفه فى أمنيته فاقبلوا العافية ما قبلناها منكم وايا كم ولو فانها أتعبت من كان قبلكم ولن تريح من بعدكم وانا أسئل الله ان يعين كلا على كل فصاح به أعرابى أيها الخليفة فقال لست به ولم تبعد فقال يا أخاه فقال سمعت فقل فقال تالله ان تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسنا فان كان الاحسان لكم دوننا فما أحقكم باستتمامه وان كان منا فما أولاكم بمكافأتنا

رجل من بنى عامر بن صعصعة ياقا كم بالمموءة ويقرب اليكم بالخؤولة قد كثره العيال ووطئه الزمان وبه فقر وعنده شكر فقال عتبة استغفر الله منكم واستعينه عليكم وقد أمرنا لك بغناك فليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك (تنازع) ابراهيم بن المهدى وبختيشوع الطبيب بين يدى أحمد بن ابى دؤاد فى مجلس الحكم فى عقار بناحية السواد فأربى عليه ابراهيم وأغلظ له فى القول فغضب لذلك بن ابى دؤاد وقال يا ابراهيم اذا نازعت فى مجلس الحكم بحضرتنا امرا فلا ترفع عليه صوتا ولا تشر بيدك وليكن قصدك أمما وطريقك نهجا وريحك ساكنة وكلامك معتدلا ووف مجالس الخليفة حقها من التوقير والتعظيم والاستكانة والتوجه الى الحق فان هذا أشكل بك وأجمل بمذهبك فى محتدك وعظيم خطرك ولا تعجلن فرب عجلة تهب ريثا والله يعصمك من الزلل وخطل القول والعمل ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ان ربك حكيم عليم فقال ابراهيم أمرت أصلحك الله بسداد وحضضت على رشاد واست عائدا الى ما يثلم قدرى عندك ويسقطنى من عينك ويخرجنى من مقدار الواجب الى الاعتذار فها أنا معتذر اليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه باخع بجرمه لان الغضب لا يزال يستفزنى بمواده فيردنى مثلك بحلمه وتلك عادة الله عندك وعندنا فيك وحسبنا الله ونعم الوكيل وقد جعلت من هذا العقار لبختيشوع فليت ذلك يكون وافيا بارش الجناية عليه ولم يتلف مال أفاد موعظة وبالله سبحانه التوفيق (بعث زياد الى معاوية) برجل مخالف من بنى تميم فلما مثل بين يديه قال له أنت القائم علينا المكثر لعدونا قال يا امير المؤمنين انما كانت فتنة عم عماها

أو أظلم

وأظلم دجاها نزا فيها الوضيع وخف الحليم والرفيع فاحتدمت وأ كانت علينا وشربت حتى اذا انحسرت ظلماؤها وانكشف غطاؤها آل الامر الى ما آل له وصرح عن محضه وارتفع العبوس وثابت النفوس فتركنا قتنتنا ولزمنا عصمتنا وعرفنا خليفتنا ومن يجد منا بالم يرد الله به عقابا ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فعجب معاوية من فصاحته واستغرب حسن اعتذاره وعفا عنه وأحسن اليه (لما) غزا الاسكندر دارا ابن دارا وكان دارا قد مله قومه وأهل مملكته وأحبوا الراحة منه فلحق كثير من وجوه أصحابه وقواده الى الاسكندر وأطلعوه على عورته وقووه عليه فلما التقيا ببلاد الجزيرة اقتتلا سنة كاملة ثم وثب على دارا جماعة من قومه فقتلوه وكان الذى فعل به هذا حاجباه فلما سيق رأسه الى الاسكندر أمر بضرب أعناق الذين ساقوه وقال هذا جزاء من اجترأ على ملكه (قال الاصمعى) كان لى صديق من أهل الادب والمروءة والحسب قد أتى عليه ثلاثة أعصار مشتهر بحفظ العلوم والاخبار والملح والاشعار وكان لا تسكن حركاته ولا تتوفر لذاته الا فى قضاء حوايج الاخوان وادخال السرور على من عرفه من الاخدان فألهانى ماشهدت منه عما وصف لى عنه فقلت له يوما ما هذا الذى تفعله وما قواك على ماتصنعه فقال يا أصمعى انى شهدت الايام فى بدء اخضرار عيشها ورأيت تصرفها وحلبت الدهر أشطره ولهوت فى ريعان الشباب وجالست العلماء وصحبت أهل التصابى فما طربت بما سمعت ولا ابتهجت بما رأيت كابتهاجى لذى حزنه وشفاعة شافع فى طلب شاكر يرجوا بذلك الحياة فى العاجل وجزيل الثواب فى الآجل وانى

لا اشوق الى الرجل الاديب تشوق المريض الى الطبيب واطرب اليه كتطرب المحب الى الحبيب وأنشد

واذا الاديب مع الاديب تحادثا * كانا من الآداب فى بستان

لا شئ أحسن منهما فى مجلس * يتطاعمان جواهر اللسان

(ذكر) ان المتوكل بن الافطس فر اليه شخص من بنى هود مغاضبا لابن عمه ملك سرقسطة فآواه واحسن اليه ثم اختبره فرآه أهلا للولاية فولاه فقال له أحد وزرائه كثير هذا فى تغيير قلب قريبه يا مولاى تسخط قادرا فى حق عاجز وتفرط فى من تحتاج اليه كما يحتاج الينا وتغتبط بمن لا تحتاج اليه بل هو موكل علينا فقال له المتوكل الذى قلت حق ولكن كيف يكون اقتناء المكارم (روى) ان أنوشروان غضب على وزيره بزرجمهر فسجنه فى بيت كالقبر وصفده بالحديد والبسه الخشن من الصوف وأمر الايزاد فى كل يوم بين على قرصين من الخبز وكف ملح جريش دورق ماء وان تنقل ألفاظه اليه فأقام شهورا لا تسمع له لفظة فقال أنوشروان أدخلوا عليه اصحابه ومروهم ان يسئلوه ويفاتحوه الكلام وعرفونيه فدخل اليه جماعة من المختصين به فقالوا له أيها الحكيم نراك فى هذا الضيق والحديد والشدة التى دفعت اليها ومع هذا فان سحنة وجهك وصحة جسمك على حالها لم تتغير فما السبب فى ذلك فقال انى عملت جوارش من ستة اخلاط آخذ منه كل يوم شيأ فهو الذى ابقانى على ما ترون فقالوا فصفه لنا فعسى ان نبتلى بمثل بلواك او احد من اخواننا فنستعمله او نصفه له فقال الخلط الاول الثقة بالله والثانى ان كل مقدر كائن والثالث الصبر خير ما استعمله الممتحن والرابع ان لم اصبر فأى شئ أعمل ولم

ولم آمن على نفسي بالجزع والخامس قد يمكن أن أكون في شر أصعب مما أنا فيه والسادس من ساعة الى ساعة فرج

﴿القسم الرابع في جمل من الوصايا والمواعظ الحسان العظيمة الفائدة والمنفعة لكل انسان﴾

(اعلم) ان الكلام في هذا القسم لا ينحصر لاتساع القول فيه غير أني آتي هنا بمقصدي منه وأرجوا بعون الله أن أوفيه وأنقل من ذلك ان شاء الله جملا من الوصايا نافعة كافيه وفنونا من المواعظ واقية لمن اتعظ بها شافيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه رشده فالانقياد الى الرشد والتوفيق والاستقامة على الخير ونهج سواء الطريق والتمسك بحبل الهدى يصرف عن المرء الردى ويكشف عن قلبه الران والصدا وما أجدر العاقل بذلك وأولاه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله (قال بعض الحكماء) استصلح نفسك بعقلك واجعل نظرك وتفكرك بمنزلة المرآة تدرك بها ما التبس من أمرك فالعقل أفصح واعظ وأحرس حافظ وبالعقل أدرك الناس معرفة الله تعالى قال الله سبحانه ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فصديق المرء عقله وعدوه جهله فالعاقل من عقله في ارشاد ومن رأيه في امداد والجاهل من جهله في اغواء ومن هواه في اغراء قال الشاعر

من لم يكن أكثره عقله * أهلكه أكثر ما فيه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل قال بعض العلماء وجميع أعمال البر وجملة دواعي الخير والشر ورأس الورع وكمال الزهد وملاك أسباب الشرع أصلها العلم بالله

وحسن الطاعة لله والخوف من الله والرجاء فى الله والمراقبة لله خذ من الدنيا ما تيسر واجعل التقوى حظك الاوفر فالدنيا كما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمت المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة وقال بعض العلماء ليس الحرج فى أن يتصرف الانسان فى طلب حظه من الدنيا فيما لابد له منه ولا غنى به عنه لان أسباب الحاجة وحيل الجزاء انما هى فى الدنيا التى هى دار تكليف وعمل لان الآخرة دار قرار وجزاء فليصرف الانسان الى دنياه حظا من عنايته لانها يتزود لآخرته وقد قال مجاهد فى قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب أى اذا فرغت من مؤنة الدنيا فانصب فى العبادة (وقال لقمان الحكيم) خذ من الدنيا بلاغك وأنفق فضول كسبك تقدمه لآخرتك ولا ترفضها كل الرفض فتكون على الناس عيالا وعلى أعناق الرجال كلا (ومن كلام عمر رضى الله عنه) ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا أو عمل للدنيا وترك الآخرة ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه وانما الحرج فى الرغبة فيما تجاوز قدر الحاجة وزاد على حد الكفاية فانها فضول لا تجدى وزوائد لا تنفع ولا تغنى تحمل المرء فى اشتغاله لها والنظر فيها على التقصير عما فيه الفائدة والتأخر عما فيه العائدة والعقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب وترك فضول الدنيا من العقل وترك الذنوب من الفرض (قال بعض الحكماء) المجرب أحكم من الطبيب وفى تصرف الدنيا مواعظة لكل أريب فمن صح له يقينه وسلم له دينه فلا شئ يضيره ولا يشينه

ومن

ومن لم يعتبر بتصرف الايام غرق فى بحر الآثام (وقد قيل) كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الايام عظة (ومن كلام بعض الحكماء) مواعظ الايام أبلغ من مواعظ الانام وان أعربت من غير كلام وأفصحت عن استعجام فطوبى لمن جعل له من نفسه واعظا ونصب عليه من الله حافظا (وقال بعضهم) لقد فاز قوم أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجربة فلم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ورحل عنهم التسويف الذى قطع الناس به مسافة آجالهم فشفعوا حسن المقال بجميل الفعال وبذلوا النعيم الفانى رغبة فى النعيم الباقى ولم يؤثروا العاجل الخسيس على الآجل النفيس فلا تراهم الا فى موطن خير وعلى سبيل نفع قال الله العظيم مخاطبا لنبيه الكريم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (ومن كلام عيسى عليه السلام) طوبى للناطق فى قوم يسمعون كلامه انما تصدق رجل بصدقة أعظم عند الله من موعظة قوم يصيرون بها الى الجنة وخير ذلك ما كان من قائل مخاص الى سامع منصت وانتهى الكلام فى هذا القسم فى خمسة عشر فصلا بالفصلين اللذين فى تعلم العلم .

﴿فصل من مواعظ النبى صلى الله عليه وسلم ووصاياه ومواعظ السلف الصالح ووصاياهم وغيرهم من العلماء والحكماء﴾

(قال عليه السلام) أقبلوا على ما كلفتموه من اصلاح آخرتكم وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم ولا تستعملوا جوارح غذيت بنعمته فى التعرض لسخطه بمعصيته واجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته واصرفوا هممكم الى التقرب اليه بطاعته والجؤا الى العمل الصالح

وأكرهوا عليه النفوس واصبروا على الضراء تفضوا الى النعيم الدائم (وقال صلى الله عليه وسلم) حلوا أنفسكم بالطاعة وألبسوها قناع المخافة واجعلوا آخرتكم لأنفسكم وسعيكم لمستقركم واعلموا انكم عن قليل راحلون والى الله صائرون ولا يغنى عنكم هنالك الا صالح عمل قدمتموه أو حسن ثواب حزتموه (وقال صلى الله عليه وسلم) فى بعض خطبه أيها الناس ان الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات وقد قال صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه أيها الناس ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم وان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان المؤمن بين مخافتين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وأجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الحياة قبل الموت فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة فوالذى نفس (محمد) بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار (وقال صلى الله عليه وسلم) فى بعض خطبه أيها الناس كأن الموت على غيرنا كتب وكأن الحق على غيرنا وجب وكأن الذى نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية وجالس أهل الفقه والحكمة وخالط أهل الذلة والمسكنة طوبى لمن ذلت نفسه وحسنت خليقته وطابت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن أنفق من ماله وأمسك الفضل

من

من قوله ويعنه السنة ولم تستهوه البدعة (وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه) لا تكن ممن يرجوا الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الامل ويقول فى الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين ان أعطى منها لم يشبع وان منع لم يقنع ويأمر بما لا يأتى يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويبغض المسيئين وهو منهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم ظل نادما وان صح أمن لاهيا يعجب من نفسه اذا عوفى ويقنط اذا ابتلى تقلبه نفسه على ما يظن ولا يقلبها على ما يستيقن ولا يثق من الرزق بما ضمن له ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ان استغنى بطر وان افتقر قنط وحزن فهو من الذنب فى حالى المحنة والنعمة موقر يبتغى الزيادة ولا يشكر ويتكلف من الناس ما لا يؤمر ويضيع من نفسه ما هو أكثر ويبالغ اذا سأل ويقصر اذا عمل يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستكثر من معصية غيره ما يستقل أكثره من نفسه مزاهر اللهو مع الاغنياء أحب اليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره وهو يطاع فيعصى ويستوفى فلا يوفى (وروى) ان رجلا قال لعلى رضى الله عنه عظنى يا أمير المؤمنين فقال لا تكن بما نلت من دنياك فرحا ولا على ما فاتك منها أسفا وكن مسرورا بما قدمت أسفا على ما أبقيت فرقا مما بعد الموت (وروى) عنه رضى الله عنه انه قال الا أخبركم بالفقيه كل الفقه قالوا نعم قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى غيره فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أيها الناس ان أقربكم اليوم الى الله أشدكم له خوفا وان أحبكم اليه أحسنكم له عملا وان أعظمكم عنده

نصيبا أعظمكم فيما عنده رغبة وان أكرمكم عند الله أتقاكم (ومما ينسب اليه من الشعر)

﴿يمثل ذو الحزم فى نفسه * مصائبه قبل أن تنزلا﴾
﴿فان نزلت بغتة لم ترعه * لما كان فى نفسه مثلا﴾
﴿رأى الامر يفضى الى آخر * فصير آخره أولا﴾
﴿وذو الجهل يأمن أيامه * وينسى مصارع من قد خلا﴾
﴿فان دهمته صروف الزمان * ببعض مصائبه أعولا﴾
﴿ولو أثر الحزم فى أمره * لعلمه الصبر عند البلا﴾

(وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه) أيها الناس اتقوا الله فليس من هالك الا له كاف بالتقوى واحذروا الموت فانه أشد ما قبله وأهون ما بعده ولا تستصغروا الذنوب والتمسوا تمحيصها بالتوبة فان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين (وكان) رضى الله عنه يتمثل بهذه الابيات

﴿نهارك يا مغرور سهو وغفلة * وليلك نوم والاسى لك لازم﴾
﴿تسر بما يفنى وتفرح بالمنى * كما سر باللذات فى النوم حالم﴾
﴿وسعيك فيما سوف تكره غبه * كذلك فى الدنيا تعيش البهائم﴾

(وخطب رضى الله عنه فقال) أيها الناس ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة بالتقوى وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه فترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامر فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط أمل لمن لا يدرى لعله لا يمسى بعد اصباحه ولا يصبح بعد امسائه وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا

وانما

وانما يطمئن من وثق بالنجاة من العذاب وأهوال يوم القيامة فأما من لا يداوى من الدنيا كلما الا أصابه منها جارح من ناحية أخرى كيف يطمئن أعوذ بالله ان آمركم بما أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتبدو مسكنتى ليوم لا ينفع فيه الا الصدق والحق (وكان رضى الله عنه) بعث رسلا الى ملك الروم فى فداء من عندهم من المسلمين فمات عمر وهم فى بلاد الروم فبلغ صاحب الروم موت عمر ولم يبلغ المسلمين فاعلمهم ملك الروم بموته فبكوا فقال لا تبكوا عليه فقد استراح من نصب الدنيا وكربها وأعراضها وكان الى الروح والدعة والسرور ان بقاء أهل الخير مع أهل الشر قليل وان صاحبكم كان أعجب عندى من الرهبان الذين تفردوا فى الصوامع لانه رفض الدنيا مع اقبالها عليه وتركها وهى فى يديه (ووعظ) بعض الحكماء قوما فقال يا قوم استبدلوا العوارى بالهبات تحمدوا العقبى واستقبلوا المصائب بالصبر تستحقوا النعمى واستديموا الكرامة بالشكر تستوجبوا الزيادة واعرفوا فضل البقاء فى النعمة والغنى فى السلامة قبل الموت وانتقال العمل وحلول الاجل فانما أنتم فى الدنيا اغراض المنايا وأوطان البلايا ولن تنالوا نعمة الا بفراق أخرى ولا يستقبل معمر منكم يوما من عمره الا بفراق آخر من أجله ولا يحيى له أثر الا مات له أثر فانتم اعوان الحتوف على أنفسكم وفى معائشكم أسباب منايا كم لا يمنعكم شئ منها ولا يشغلكم شئ عنها وأنتم الاخلاف بعد الاسلاف وستكونون الاسلاف قبل الاخلاف فكل سبيل منكم صريع منعفر ونائم يتنظر فن أى وجه تطلبون البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا شيأ قط الا أسرعا الكرة فى هدمه ولا عقدا أمرا قط الا رجعا فى نقضه دخل أبو

الدرداء الشام فقال يا أهل الشام اسمعوا قول أخ ناصح فاجتمعوا اليه فقال مالى أراكم تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون وتؤملون مالا تدركون ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا وأملوا بعيدا وجمعوا عتيدا فأصبح أملهم غرورا وجمعهم ثبورا ومساكنهم قبورا (ونظر) الحسن البصرى الى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد فقال ان الله جعل الصوم مضمارا لعباده ليستبقوا الى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه المحقون وخسر المبطلون ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسيئ باساءته عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر (ونظر وهب ابن منبه) الى قوم يضحكون فى يوم عيد فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كانوا لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين (روى) انه قيل للحسن البصرى ههنا رجل لم نره قط الا جالسا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رأيتموه فاخبرونى فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذى أخبرناك به وأشاروا اليه فمضى اليه الحسن فقال له يا عبد الله أراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مخالطة الناس فقال أمر شغلنى عن الناس فقال فما يمنعك ان تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن فتجلس اليه فقال أمر شغلنى عن الناس وعن الحسن قال له الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله قال انى أصبح وأمسى بين نعمة وذنب فرأيت ان أشغل نفسى بالاستغفار من الذنب وشكر الله على النعمة فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندى من الحسن فالزم ما أنت عليه (وروى) ان الاسكندر مر بمدينة قد تملكها سبعة أملاك

وباد جميعهم فقال هل بقى من نسلهم أحد فقالوا نعم رجل يسكن المقابر فدعاه فأتاه فقال له ما دعاك الى لزوم المقابر قال أردت ان أميز عظام الملوك من عظام العبيد فوجدتها سواء فقال له هل لك ان تتبعني فأحيي شرفك وشرف آبائك ان كانت لك همة قال همتي عظيمة قال وما هي قال حياة لا موت معها وشباب لا هرم بعده وغنى لا فقر معه وصحة من غير سقم وسرور من غير مكروه فقال هذا ما لا تجده عندي فقال فدعني أطلبه ممن هو عنده فقال الاسكندر ما رأيت رجلا أحكم من هذا وخرج من عنده فلم يزل في المقابر حتى لحق بأهله رحمه الله (دخل) بعض الصالحين يوما على أبي جعفر المنصور ومعه ابنه المهدي فقال له المنصور هذا المهدي ابني وقد وليته عهد المسلمين فقال له الرجل الصالح انك قد رضيت له الامر الذي يرزؤك في وقت أنت عنه مشغول فبكى المنصور وقال له عظني فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها فان هذا الامر الذي أصبح في يديك لو بقي في يدي غيرك ممن كان قبلك لم يصل اليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده (وقال بعض السلف) عاملوا الله بتقواه واسترضوه بطاعته ولا تملوا من ذكره ففيه النجاة من النار ولا تستصغروا الذنوب وتستحقروها فانه من استصغر الذنب وقع فيه ومن ركب المعصية أهلك نفسه فان الله عز وجل لم يترك صغير الذنوب للانبياء فكيف للاشقياء (قال الشاعر)

﴿تسير الى الآجال في كل ساعة * وأيامنا تطوى وهن مراحل﴾
﴿ولم نر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الاماني باطل﴾
﴿ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل﴾

(وعظ) رجل من الصالحين بعض أصحابه فقال له هل رأيت الخير كله الا من الله قال نعم قال فلم تكره لقاء من لم تر الخير الا من عنده والله من مات واتقى الله مؤمنا موقنا لقد تخلص من الادناس وخرج من الوحشة الى الايناس لاسيما ان لفحته نار المحاذير ورضي بتصرف المقادير لقد خلصته تخليص التبر من الخبث ونقلته أنقى من الدر الى الجدث (قال عمرو) قالت للغضائرى عظني فأنشد

﴿حياتك أنفاس تعد فكلما * مضى نفس منك انتقصت به جزوًا﴾

﴿فتصبح في نقص وتمسي بمثله * ومالك معقول تحس به رزوًا﴾

﴿يميتك من يحييك في كل ساعة * ويحدوك حاد ما يريد بك الهزوا﴾

(وقال الشاعر)

﴿تأهب للحمام فكل حي * قصاراه وان عاش الممات﴾

﴿ودع شغلا يفوتك منتهاه * فان الشغل غايته الفوات﴾

﴿ولا يطمع ذهابك في رجوع * فان طلاق ذى الدنيا بتات﴾

(وقال بعضهم) ان كل يوم يمر بكم يحمل ما ثبت فيه من خير أوشر ثم يمضي فلا يعود أبدا فان قدرتم ان تحفظوا كل يوم بكرمة وتبتدوا فيه حسنة فلا تؤخروا فان الايام صحائف تخلدوا فيها الجميل فقد رأيتم حفظها لما استودعت من المحامد والمكارم في قديم الدهر وحديثه (قال الشاعر)

﴿حتى متى نحن في الايام نحسبها * وانما نحن فيها بين يومين﴾

﴿يوم تولى ويوم نحن نأمله * لعله أقرب الايام للحين﴾

(وقال عامر العدواني) الايام ثلاثة يوم مضى عليك لاترجوه ويوم أنت فيه لابد منه ويوم يأتيك لا تأمنه فأمس واعظ واليوم غنيمة وغد لا تدرى ماحكمه

ما تحكمه وأمس الماضى شاهد مقبول وأمين مؤد أودعته زادا خيرا أو شرا وتركك اللّه عوضا منه لتحسن صحبته واليوم الذى أنت فيه ضعيف سريع الظاعن فأحسن له الصحبة يلقك الجنة ويجبوك الشهادة وغد المقبل حاكم تنتظر قدومه فاما حبيب لا يظلم واما عدو لا يرحم (وقال بعضهم) اخوانى اقبلوا قول ناصح لكم واعملوا لآخرتكم فى هذه الايام التى تسير كأنها تطير وتلوح كأنها بروق فما انقضت ساعة من أمسك الا وأخذت بضعة من نفسك والسعيد من اعتبر بأمسه واستظهر لنفسه والشقى من جمع لغيره وبخل على نفسه بخيره (قال الشاعر)

﴿كل يوم يمر يأخذ بعضى * يورث القلب حسرة ثم يمضى﴾

(قال الحسن البصرى) لقد رأيت أقواما كانوا من حسناتهم ان ترد عليهم أشفق منكم من سيآتكم ان تعذبوا بها وكانوا فيما أحل اللّه لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم عليكم منها (قال الشاعر)

﴿أطاب لنفسك فوزها وانظر لها * نظر الشفيق وخف عليها واتق﴾
﴿من ليس يرحم نفسه ويصدها * عما يهلكها فليس بمشفق﴾

(رأى) اياس بن قتادة شيبة فى لحيته فقال أرى الموت يطلبنى وأرانى لا أفوته اللهم انى أعوذ بك من فجئة الامور وبغتات الحوادث يا بنى سعد قد وهبت لكم شبابى فهبوا لى شيبتى ولزم بيته صائما قائما فقال له أهله تموت هزالا فقال لان أموت مؤمنا مهزولا أحب الى من ان أموت منافقا سمينا (قال الشاعر) محمود الوراق

﴿بكيت لقرب الاجل * وبعد فوات الامل﴾
﴿ووافد شيب طرا * بعقب شباب رحل﴾

﴿شباب كأن لم يكن * وشيب كأن لم يزل﴾
﴿طوالع بشير البقا * وحل بشير الاجل﴾

(ومن مواعظ) بعض الصالحين اغتنم تنفس الاجل وامكان العمل واقطع ذكر المعاذير والعلل فانك فى أجل محدود ونفس معدود وعمر غير ممدود والطبيب معذور اذا لم يدفع المقدور (قال زهير المهلبى

﴿مضى الشباب وولى ما انتفعت به * وليته فارط يرجى تلاقيه﴾
﴿وليت لى عملا فيه أسر به * وليتنى لا جرى لى ماجرى فيه﴾
﴿فاليوم أبكى على ما فاتنى أسفا * وهل يفيد بكاءى حين أبكيه﴾
﴿واحسرتاه لعمر ضاع أكثره * فالويل ان كان باقيه كماضيه﴾

(وقال أبو الربيع بن سالم)

﴿وقائلة شبتم فقلت لها شبنا * وفى هذه الدنيا الدنية أنشبنا﴾
﴿ويا ليتنا لما تقضى شبابنا * خلصنا وأخلصنا ولكننا شبنا﴾
﴿فيا عجبا منا على الله نجترى * وتهفو اسوافى الريح أرواحنا جبنا﴾
﴿وكيف أضعنا باقيا لمعجل * سيفنى لقد نلنا صفقتنا غبنا﴾
﴿وكم صرفتنا بين ملهى وملعب * فان نكرنا قبح ذلك ولاعبنا﴾
﴿ونادى سفاه قد حضرنا واغبنا * عن الرشد والتوفيق يوم مذ غبنا﴾
﴿فيا ليت شعرى ما يكون جوابنا * اذا نحن فى وفد القبور غدا أبنا﴾
﴿أينفع انكار وذو العرش عالم * بمودعة صدرا وملزمة ضبنا﴾
﴿الا ليس الانفوه عن ذنوبنا * فان يخب التقدير فيه فقد خبنا﴾

(قال بعض العلماء) وجد مكتوب فى حجر ابن آدم لو رأيت يسير ما بقى

من أجلك لزهدت فى طول ماترجو من أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك ندمك اذا زل بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد (قال أبو العتاهية)

﴿ليس فيما مضى ولا فى الذى * لم يأت من لذة لمستحليها﴾
﴿انما أنت طول عمرك ماعمر * ت فى الساعة التى أنت فيها﴾
﴿طلب النفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق ما يكفيها﴾

(وقال بعضهم) ان لله أقواما أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر له فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلائق مقبلون مدبرون وقلوبهم تجول فى الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها من لطيف الفوائد مالا يمكن واصف أن يصفه فهم فى باطن أمورهم كالديباج حسناوهم فى الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا (قال) رجل لرجل من الزهاد ما رأيت أزهد منك قال أنت أزهد منى قال وكيف قال لانك زهدت فى الجنة على بقائها وزهدت أنا فى الدنيا على فنائها (قال الشاعر)

﴿ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا﴾
﴿فكروا فيها فلما علموا * انها ليست لحى وطنا﴾
﴿جعلوها لجة واتخذوا * صالح الأعمال فيها سفنا﴾

(وجد) على حائط من حيطان المقابر يامن أبطره الغنى وأسكرته شهوات

الدنيا فهى المرحلة العظمى فقد دنا نزولك على أهل البلاء وعلى الجانب الآخر يا عجبا الغفلة الاحياء وهم يرون مصارع الموتى يتنافسون فى السرور ومصيرهم الى القبور (حكى) ان عبد الله بن عتبة باع غلة بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت بهذا المال ذخيرة لولدك لكان حسنا قال أجعل هذا المال عند الله ذخرا وأجعل الله ذخرا لولدى ثم قسم المال كله فى أهل الحاجة (قال عبد الله بن مسعود) أيها الناس انكم فى ممر الليل والنهار فى آجال منقوصة وأعمال محفوظة وأنفاس معدودة والموت يأتى بغتة فمن يزرع خيرا يوشك أن يحصد رغبة ومن يزرع شرا يوشك أن يحصد ندامة ولكل زارع مثل ما زرع لا يسبق بطئ لحظة ولا يدرك حريص مالم يقدر له فمن أعطى خيرا فالله أعطاه ومن وقى شرا فالله تعالى وقاه المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة ومؤانستهم سعادة انتهى (قال الشاعر)

﴿انك فى دارلها مهلة * يقبل فيها عمل العامل﴾
﴿أما ترى الموت محيطا بنا * يقطع فيها أمل الآمل﴾
﴿نعجل الامر بما نشتهى * ونأمل التوبة فى قابل﴾
﴿والموت يأتى بعد ذا غفلة * ماذا بفعل الحازم العاقل﴾

(قال وهب بن منبه) مرنبى من الانبياء على عابد فى كهف جبل فقال السلام يا عبد الله منذ كم أنت ههنا قال منذ ثلاثمائة سنة قال فمن أين معيشتك قال من ورق الشجر قال فمن أين شرابك قال من ماء العيون قال وأين تكون فى الشتاء قال تحت هذا الجبل قال فكيف صبرك على العبادة قال فكيف لا أصبر وانما هو يومى الى الليل فاذا أمسى

فقد

فقد مضى وأما الغد فلم يأت فعجب النبي عليه السلام من حكم قوله انما هو يومي الى الليل (قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

﴿صبر جميل اذا نابتك نائبة * وان عتبت فلا تعتب على الزمن﴾
﴿هي المقادير فاحذروها فكم صرعت * من وافر العقل ذي لب وذي فطن﴾
﴿وارض القناعة لا تبغي بها بدلا * لولم تنولك الا راحة البدن﴾
﴿وانظر الى من حوى الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير الزاد والكفن﴾
﴿فانما الغبن في يوم النشور اذا * تغابن الناس فيه أيما غبن﴾

(قال ابراهيم بن أدهم) خرجت أريد بيت المقدس فلقيت سبعة نفر فسلمت عليهم وقلت أفيدوني شيأ فقالوا انظر كل قاطع يقطعك عن الله في الدنيا والآخرة فاقطعه فقلت زيدوني فقالوا لا ترج أحدا غير الله ولا تخف غيره وانظر كل من يحبه فأحبه وكل من يبغضه فأبغضه وعليك بالتضرع والبكاء في الخلوات والتواضع والخشوع له حيث كنت والرحمة للمؤمنين والنصيحة لهم قلت زيدوني رحمكم الله فقالوا اللهم حل بيننا وبين الذي شغلنا ما كفاه هذا كله قال فلا أدري السماء رفعتهم أم الارض ابتلعتهم فلم أرهم ونفعني الله بهم (وأنشد) أحمد بن حنبل رضي الله عنه

﴿اذا ما خلوت الدهر يوما فلا * تقل خلوت ولكن قل علي رقيب﴾
﴿ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا ان ما تخفي عليه يغيب﴾
﴿لهينا عن الاعمال حتى تتابعت * ذنوب على آثارهن ذنوب﴾
﴿فياليت ان الله يغفر مامضى * و يأذن في توباتنا فنتوب﴾

﴿فصل﴾

(و) من المنقول في تأليفنا تذكرة من اتقى حديث سويد ابن حارث

الحارثى قال دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا سابع سبعة
من قومى فقال ما أنتم قلنا مؤمنون يا رسول الله قال ما حقيقة ايمانكم
قلنا خمس عشرة خصلة يا رسول الله خمسة أمرتنا رسلك أن نعمل بها وخمسة
أمرتنا رسلك ان نؤمن بها وخمسة كنا عليها فى الجاهلية الا أن تكون
تكره منها شيأ يا رسول الله قال ما الخمسة التى أمرتكم رسلى ان تعملوا بها
قلنا شهادة أن لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتى
الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت مع الاستطاعة قال فما الخمسة التى
أمرتكم رسلى ان تؤمنوا بها قلنا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
والبعث بعد الموت قال فما الخمسة التى كنتم عليها فى الجاهلية قلنا
الرضى بالقضاء والشكر عند الرخاء والصبر عند نزول البلاء والثبات عند
اللقاء وترك الشماتة اذا نزلت المصائب بالاعداء فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا لها من خمسة ما أجلها وما أجلها وما أحفلها احفظوا عنى خمسا
تكمل لكم عشرون خصلة لا تأملون ما لا تدركون ولا تبنون ما لا
تعمرون ولا تجمعون ما لا تأكلون ولا تشتغلون بما أنتم عنه راحلون
واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون فحفظنا ما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما انصرفنا قال لاصحابه ترونهم قالوا بلى يا رسول الله قال حكماء
علماء فهماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء (توفى) رجل على عهد
النبى صلى الله عليه وسلم وكان مسرفا على نفسه فلما حضرته الوفاة رفع
رأسه فاذا أبواه يبكيان عليه فقال لهما ما يبكيكما قالا نبكى لاسرافك على
نفسك قال فلا تبكيا فوالله ما يسرنى ان الذى بيد الله من أمرى بأيديكما ثم
مات فأتى جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ان فتى

توفى

توفى اليوم فاشهده فانه من أهل الجنة فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبويه عن عمله فقالا ما علمنا عنده شيأ من خير يا رسول الله الا انه قال عند
الموت كذا وكذا قال من ههنا اتى حسن الظن بالله تعالى من أفضل
الاعمال عنده (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا للدنيا
ولابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء فلما حضره الموت قال
لاحدهم قد كنت لى خلا مؤثرا مكرما وقد حضرنى من أمر الله ما ترى
فماذا عندك فيقول هذا أمر الله غلبنى عليك لا استطيع ان أنفس
كربتك ولكن ها أنا ذا بين يديك فخذ منى زادا ينفعك ثم يقول للثانى قد
كنت عندى آثر الثلاثة وقد نزل بى من أمر الله ما ترى فماذا عندك قال هذا
أمر الله غلبنى عليك ولا استطيع ان انفس كربتك ولكن سأقوم عليك
فى مرضك فاذا مت اتقنت غسلك وجودت كسوتك وسترت جسمك
وعورتك وقال للثالث قد نزل بى من أمر الله ما ترى وكنت أهون الثلاثة
على فماذا عندك قال انى قرينك وحليفك فى الدنيا والآخرة فأدخل معك
قبرك حين تدخله وأخرج منه حين تخرج ولا افارقك أبدا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم الاول ماله والثانى أهله والثالث عمله (وعن على بن أبى
طالب رضى الله عنه) قال حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه
عز وجل انه قال ما من قوم يكونون فى حبرة الا استتبعها عبرة وكل نعيم
زائل الا نعيم اهل الجنة وكل هم منقطع الا هم أهل النار فاذا عملت سيئة
فأتبعها حسنة تمحها سريعا وأكثر صنائع المعروف فان صنائع
المعروف تقى مصارع السوء وما من عمل بعد أداء الفرائض أحب الى الله
عز وجل من ادخال السرور على المؤمن (وقال على رضى الله عنه)

كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله عز وجل بما شاء ان ينفعنى وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن عبد مسلم يذنب ذنبا ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلى ركعتين ويستغفر الله من ذلك الذنب الاغفر الله له ثم قرأ ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه) ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعت بكلام بعثه الى على بن أبى طالب رضى الله عنه كتب الى (أما بعد) فان المرء يسره ادراك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك وليكن أسفك على مافات منها وما نلت من أمر دنياك فلا تكن به فرحا ومافاتك منها فلا تأس عليه جزعا وليكن همك ما بعد الموت (وعن محمد بن على بن الحسن رضى الله عنه قال ما اغرورقت عين بمائها الاحرم الله وجه صاحبها على النار فان سالت على الخدين لم يرهق وجهه قتر ولاذلة ومامن شئ الاله جزاء الا الدمعة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ولوان باكيا بكى فى أمة لحرم الله تلك الامة على النار (قال على رضى الله عنه) خذوا عنى هؤلاء الكلمات فلو رحلتم فيهن المطى حتى تنضوه لم تبلغوه لا يرجو العبد الا ربه ولا يخشى الاذنبه ولا يستحى اذا كان لا يعلم ان يتعلم ولا يستحى اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم واعلموا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير لجسد لارأس له (قال بعض الحكماء) مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر

لسعد

اسعد فى الدارين جميعا (قيل) للشافعى رضى الله عنه كيف أصبحت قال أصبحت تطالبنى ثمانية الله تعالى بالفرض ورسوله عليه السلام بالسنة والدهر بصروفه والعيال بقوتهم والحفظة بما ينطق لسانى والشيطان بالمعاصى والنفس بالشهوات وملك الموت بقبض روحى (ومن رقائق أبى عبد الله المغربى رحمه الله) تطهر من ادناس هواك وتزين بلباس تقواك وقم بسجدة انقطاعك على قدم شكواك وأحرم بتوجيه قلبك الى قبلة نجواك تجد الحق عندك وليس بسواك (قال الربيع بن خثيم) أقلوا الكلام الا بتسع تكبير وتهليل وتحميد وسؤالك الخير وتعوذك من الشر وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وقراءة القرآن وان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك من حيث أمرك (أراد) قوم سفرا فحادوا عن الطريق وانتهوا الى راهب فى صومعة فنادوه فاشرف عليهم فسألوه عن الطريق فقال ههنا وأشار الى السماء فعلموا الذى أراد فقالوا انا سائلوك فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لا يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فى طلبه قالوا على م الناس يوم القيامة قال على نياتهم قالوا فالى م الموئل قال الى ماقدمتم قالوا أوصنا قال تزودوا على قدر سفركم فخير الزاد ما بلغ المحل ثم أرشدهم الى الجادة وانقمع (وقال بعضهم) أتيت الشام فمررت بدير حوملة فاذا فيه راهب كأن عينيه مزادتان فقلت له ما يبكيك قال يامسلم أبكى على ما فرطت فيه من عمرى وعلى يوم مضى من أجلى لم يحسن فيه عملى قال ثم مررت بعد ذلك فسألت عنه فقيل لى أسلم وغزا مع المسلمين فقتل فى بلاد الروم (وقالت) فيروز لزوجها مسروق بن الاجدع لما رأته لا يفطر من صيام ولا يفتر من صلاة ويحك يامسروق لقد ضررت

بعدنك قال كرامته أريد قالت له أما بعبد الله غيرك أما خلقت النار الا لك قال لها ويحك يافيروزان طالب الجنة لا يسأم وهارب النار لا ينام

(وروى) ان رجلا أتى ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه فقال يا أبا اسحاق انى مسرف على نفسى فأعرض على ما يكون لها زاجرا ومستنقذا قال ان قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك المعصية ولم توبقك لذة قال هات يا أبا اسحاق قال أما الاولى فاذا أردت ان تعصى الله عز وجل فلا تأكل رزقه قال فمن أين آكل وكل ما فى الارض رزقه قال يا هذا أفيحسن بك ان تأكل رزقه وتعصيه قال لا هات الثانية قال واذا أدرت ان تعصيه فلا تسكن شيأ من بلاده قال الرجل هذه أعظم من الاولى يا هذا اذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن قال يا هذا أفيحسن بك ان تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه قال لا هات الثالثة قال واذا أردت ان تعصيه وأنت تحت رزقه وفى بلاده فانظر موضعا لا يراك فيه فاعصه فيه قال يا ابراهيم ما هذا وهو يطلع على ما فى السرائر قال يا هذا أفيحسن بك ان تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجاهره به قال لا هات الرابعة قال اذا جاءك ملك الموت لقبض روحك فقل له أخرنى حتى أتوب توبة نصوحا وأعمل لله صالحا قال لا يقبل منى قال يا هذا فانت اذا لم تقدر ان تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم انه اذا جاءك لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص قال هات الخامسة قال اذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك الى النار فلا تذهب معهم قال اذن لا يدعونى ولا يقبلون منى قال فكيف ترجو النجاة اذن قال له يا ابراهيم حسبى حسبى أنا استغفر الله وأتوب اليه ولزم العبادة حتى فارق الدنيا رحمة الله عليه

(وروى)

(وروى) انه بنى جار لمالك بن دينار دارا فكان يتولى عطاء العمال بنفسه قال فتوضأ مالك بن دينار للمغرب والتف بعباءته ودخل مع العمال قال وكان الرجل يضع الكيس بالدراهم بين يديه فيعطى منه قال فجاء مالك فاخرج يده من تحت العباءة ومدها اليه قال فنظر اليه الرجل فقال أى شئ عملت لنا قال مالك ماعملت لكم شيأ قال والله ماأعرف وجهك فى عمالنا قال وماتعطى درهمك الالمن عرفت وجهه فى عمالك قال نعم قال مالك فيعرف وجهك أنت فى عمال الله قال هاه فترك الكيس وترك البناء وتعبد حتى مات (دخل) شبيب بن شيبة على المهدى فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل اذ قسم منازل الدنيا جعل لك أسناها وأعلاها فلا ترض لنفسك من الآخرة الا بمثل مارضى لك به من الدنيا فعليك بتقوى الله عز وجل فعليكم نزلت ومنكم أخذت واليكم ترد (عن بعض الصالحين) انه قال وقف رجل على طبيب وحوله خلق كثير بأيديهم قوارير والطبيب يقابل كل علة بدوائها يعطى لهذا القابض ولهذا المسهل ولهذا الحار ولهذا الرطب قال فوقف الرجل وقال أيها الطبيب أعندك دواء لداء الذنوب يرحمك الله قال فأطرق الطبيب رأسه الى الارض ثم رفعه وقال اسمع دواء ان عملت به رجوت لك الشفاء ان شاء الله خذ عروق الفقر وزنجبيل الصبر واخلطهما بسفوف الذكر وامزجهما برقائق الفكر واجعل معه اهليلج التواضع والخشوع ودقه فى مهراس التوبة والخضوع واسقه بماء الدموع واجعله فى طنجير التذلل وأوقد تحته نار التوكل وحركه بملعقة الاستغفار حتى يزبد زبد التوفيق والوقار ثم ضعه فى آنية المحبة وبرده بمروحة المودة

وصفه بصفى الاحزان وصب عليه صبر الاجفان واجعل معه حقيقة الايمان وامزجه بخوف الرحمن وتغذ قبل شربه بمر الصيام ودم على هذا ما عشت من الايام واياك أيها العليل ان تقرب فى أيام دوائك شيأ من الآثام فانها تجدد عليك ما رجوت برءه من الاسقام وتجنب فى دوائك العجب والرياء والبس لباس الحياء وشد على وسطك منطقة الصدق والوفاء واياك ان تدخل بيتك الا من باب التوبة والصفاء فاذا دمت على هذا الدواء صفا قلبك بين القلوب وزالت عنك أوجاع ألم الذنوب (قال بعض العلماء) اعلم ان ما على الانسان شئ أثقل ولا أصعب من معالجة اطراح حب الدنيا عن قلبه وأنى له بذلك ونحن قد خلقنا من تربها وجبلنا على حبها ودواعى حب الدنيا أكثر من ان تحصى وتحصر وأسباب الميل اليها والحرص عليها أظهر من ان تستر وانما تميزت عند ذوى الالباب وتبينت لاهل النظر فعاملوها بالرفض لها والاجتناب لما تأملوها فوجدوها لا توفى العاقل حقه ولا تبخس الجاهل حظه فنعيمها غير مقيم وبؤسها لا يدوم (قال أبو العتاهية)

هى الدار دار الاذى والقذى * ودار الفناء ودار الغير
فلو نلتها بحذافيرها * لمت ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمل طول الخلود * وطول الخلود عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير فى العيش بعد الكبر

(لما) بلغ مردك من الدنيا أفضل ما سمت اليه نفسه نبذها وقال هذا سرور لولا انه غرور وملك لولا انه هلك ومحمود لولا انه مفقود وغنى لولا انه منى وارتفاع لولا انه اتضاع (قال الشاعر)

الا

الان الركون الى غرور * الى دار الفناء من الشقاء
ودنيا نا وان ملنا اليها * فطال بها الثواء الى انقضاء

(قال بعض الحكماء) لصاحب له يا اخى تنح عن الدنيا فلم تخلق فيها للبقيا وأنت فيها طالب مطلوب تطاب ما قد كفيته ويطالبك من لا تفوته كانك لم تر حريصا محروما ولا عاجزا مرزوقا وكان الذى حجب عنك قد كشف لك والذى تفر منه قد لحق بك قال أبو الطيب

نحن بنو الدنيا فما بالنا * نعاف ما لا بد من شربه
تبخل أيدينا بارواحنا * على زمان هى من كسبه
فهذه الارواح من جوه * وهذه الاجسام من تربه
يموت راعى الشاة فى جهله * ميتة جالينوس فى طبه

(وروى) عن عيسى عليه السلام انه مثلت له الدنيا فى صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت من الخلق قالت لا أحصيهم عددا قال أفكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت قال عيسى عليه السلام بؤسا للازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين حين تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر (قال المأمون) لو سئلت الدنيا عن نفسها ما أحسنت ان تصف نفسها صفة أبى نواس فى هذا البيت

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

(وفى كتاب الهند) مثل الدنيا وآفاتها ومخاوفها والموت والمعاد الذى اليه مصير الانسان ما قال الحكيم قال وجدت مثل الانسان المغرور بالدنيا المملوءة آفات مثل رجل الجأه خوف الى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين

ثابتين على شفير البئر ووقعت رجلاه على شئ عمدهما عليه فنظر فاذا
بحيات أربع قد أطلعن رؤسهن من جحورهن وقد نزلت رجلاه عليهن
ونظر أسفل البئر فاذا بثعبان فاغر فاه نحوه فرفع بصره الى الغصنين اللذين
تعلق بهما فاذا في أصلهما بجرذين أبيض وأسود يقرضان الغصنين دائبين
لا يفتران فبينما هو كذلك مغتما بنفسه ويبتغي الحيلة في نجاته اذ نظر فاذا
بجانب منه بجحر نحل قد وضعن فيه شيأ من العسل فتطاعم منه فوجد
حلاوته فشغله عن الفكر في أمره والتماس النجاة لنفسه ولم يذكر ان رجليه
فوق أربع حيات لا يدري متى تساوره احدهن وان الجرذين دائبان في
قرض الغصنين اللذين تعلق بهما وانهما اذا قطعاهما وقع في لهوات
الثعبان فلم يزل لاهيا غافلا حتى هلك (قال الحكيم) فشبهت الدنيا
المملوءة آفات ومخاوف بالبئر وشبهت الحيات الاربع بالاخلاط الاربع
التي بني جسد الانسان عليها من المرتين والبلغم والدم وشبهت الغصنين
اللذين تعلق بهما بالحياة وشبهت الجرذين اللذين يقرضان الغصنين
دائبين بالليل والنهار ودورانهما في افناء الانام والآجال وشبهت الثعبان
الفاغر فاه بالموت الذي لابد منه وشبهت العسلة التي تطاعمها وشغلت
قلبه بهذه الحلاوة القليلة في الدنيا التي يرى الانسان ويسمع ويطعم
ويلبس فيلهيه ذلك عن عاقبة أمره وما اليه مصيره (قال ابن عباد الخزاعي
لبعض اخوانه) يا أخي اترك التعلق بالدار التي يبغضها الله عز وجل وخذ
حاجتك منها على الكراهة والتثاقل والاضطرار والتحامل وحاسب
نفسك باللحظة فما فوقها والخطرة وما دونها فان الله تعالى لا يقبل
الا ما أريد به وجهه وكان الدنيا قد اسلمتنا بما فيها واقبلت علينا الآخرة

بدواهيها

بدواهيها فما ظنك يا أخي بيوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ولا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها يوم يكون النبيون فيه خائفين وأولياء الله من دونهم مشفقين فكيف بمن أثقلته الذنوب وأوبقته المعاصي (قال الشاعر)

ألا انما الدنيا كأحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل اذا ما نلت بالامس لذة * فافنيتها هل أنت الا كحالم

(قال بعضهم) ان المرء حقيق اذا طرقه ما يخيف صبره ويضيق صدره ان يعود الى علمه بالدنيا كيف نصبت على النقلة وجبلت طول المهلة وابتدئت للنفاد وشفع كونها بالفساد وان الثاوي فيها راحل والايام فيها مراحل موهوبها مسلوب وان أرخى الى مهل وممنوحها محروب وان أرخى الى أجل ولو خلد من سبق لما وسعت الارض من لحق ولذلك ما جعلت الدنيا دار قلعة ومحل نجعة (قال بعض الزهاد) يا ابن آدم مالك لا تزهد في الدنيا وقد علمت يقينا انها فانية ومالك تصحب الايام بآمالك وهي بك الى أجلك ساعية تقطع بك المسافات وأنت لا تشعر وتوردك المهالك وأنت لا تنتظر حتى تبلغك وقتا تروم فيه استدراك أمرك فلا تقدر (قال الشاعر)

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت * وتحدث من بعد الامور أمور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة * وتطلع فيها أنجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره * فذلك محال لا يدوم سرور

(قال بعض الحكماء) مما تطيب به النفس ويرفع عنه الحزن أن يعرف

الرجل قدر الدنيا منه وقدره منها فقد قيل ان من أهانها أكرمته ومن أكرمها أهانته هوان غناها فقر وعزها ذل وصحتها سقم وان الانسان فيها بمنزلة الثمرة ان لم يفسد بعضها ببعض الآفات فانها تسقط اذا أدركت أو بمنزلة من احتاطت به السباع وسدت عليه كل مجاز فلما نجا من بعضها اعترضه بعضها حتى تفترسه كما قيل

أصبحت فى دار البليات * أدفع آفات بآفات

وقال بعض المتكلمين مما يؤدى الى التسلى والراحة الكاملة والسرور الدائم انا رأينا الله تبارك وتعالى خلق الدنيا للنقص والزوال ولم يخلقها للبقاء والدوام وجعل ذلك محنة للعباد فصرف أهلها فيها بالدول ورزق فيها الجهال والنوكى ما حرمه الاكياس والعقلاء ورزق من عصاه وخالف أحكامه وشرائعه ما حرمه كثيرا من أهل الطاعة فكان فى هذا الذى ذكرنا وما يقاسى خيار الناس وأهل الفضل من نكدها وضيق معاشها وتصرف أحوالها ما يسليهم عن الرغبة فيها والحرص عليها ولو خلقها عز وجل للخلود ولم يأذن بالفناء لاهلها القسم الارزاق فيها على استحقاق كما فعل ذلك فى المعاد فمن صبر فيها على الامتحان نال الراحة العاجلة بترك الاغتمام على ما فات منها من لا ثقة عنده ببقائه فيها ان دام له ما يحب ولا أمان عنده من زوال ما حوى ان امتد به العمر * قال الشاعر *

الا انما الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أو تولت

فان أقبلت فاستعمل الشكر دائما * ومهما تولت فاصطبر وتثبت

(قال بعض الحكماء) طالب الدنيا لا نهاية له ولا يبلغ منها الى غاية الا طلب ما وراءها أخذ هذا المعنى بعضهم فقال

اذا

اذا ما كنت قد أوتيت مالا * من الدنيا سعيت بنيل حال
فأنت بطول دهرك في عناء * كثير السير في طلب المحال

وجد في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا لك محسن (قال الشاعر)

النفس تكلف بالدنيا وقد علمت * ان السلامة منها ترك ما فيها
والله لو قنعت نفس بما رزقت * من المعيشة الا سوف يأتيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها * ودورنا لخراب الدهر نبنيها

قال بعضهم الدنيا دار تغرير وخداع وملتقى ساعة لوداع والناس متصرفون بين ورد وصدر وصائرون خبرا بعد أثر غاية كل متحرك سكون ونهاية كل متكون أن لا يكون وآخر الاحياء فناء والجزع على الاموات عناء واذا كان ذلك كذلك فلم التهالك على هالك واعلم ان الدنيا تطلب لثلاثة أشياء للغنى والعز والراحة فمن زهد فيها عز ومن قنع استغنى ومن قل سعيه استراح (قال رجل من بني شيبان) نزلت على راهب فجادلته ثم قلت له يا راهب عظني فقال أأعظكم وفيكم القرآن ونبيكم محمد عليه السلام قلت نعم قال فاتعظ ببيت شاعر منكم يكنى أبا العتاهية

تجرد من الدنيا فانك انما * خرجت الى الدنيا وأنت مجرد

قيل لبقراط صف لنا الدنيا فقال ضاحكة مستعبرة وكان بقراط يقول لتلاميذه يا بني اعقلوا ما أنتم فيه فان كنتم لا تعقلون فاحذروا الدنيا فان كنتم لا تحسنون الحذر منها فاجعلوها شوكا وانظروا حيث تضعون أقدامكم

واجتنبوا جميع الشهوات فان القلوب المعلقة بالدنيا وشهواتها محجوبة عن الله عز وجل (وفى صحف موسى عليه السلام) من أصبح حزينا على الدنيا فكأنما أصبح ساخطا على الله ومن كانت الدنيا أكبر همه نزع خوف الآخرة من قلبه ومن شكا مصيبة نزلت به فكأنما شكا ربه ومن لم يبال من أين دخل عليه رزقه لم يبال الله من أى باب أدخله النار ومن أتى خطيئة وهو يضحك أدخله النار وهو يبكى ومن جعل حاجته الى آدمى جعل الله حاجته اليه فان شاء قضاها وان شاء لم يقضها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت صحف موسى كلها عبرا عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك وعجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن اليها ﴿قال الشاعر﴾

وقد بدا لى فيما قد هديت له * ان الحياة الى دار البلى سفر
كيف البقاء وباب الموت منفتح * وليس يغلق حتى ينفد البشر

﴿فصل﴾

قال بعض العلماء ركب الله تعالى الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم من شهوة بلا عقل وركب الآدميين من كليهما فمن غلب عقله شهوته تشبه بالملائكة ومن غلبت شهوته عقله تشبه بالبهائم فالعاقل كل العاقل من ميز نفسه وعرف قدره ونظر بعين الحقيقة وأمعن الفكرة الصحيحة وعلم ان جوارحه قد ركبت فيها جميع الشهوات وان طباعه قد حببت اليها صنوف اللذات فلا يقدر على قهرها ولا يتمكن من صرفها وقهرها الا بالمجاهدة وملك الشهوة بخطام التقوى وما أشد وما أصعب

الا

الاترى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ❁ قال الشاعر ❁

صبرت على الايام حتى تولت * وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الاحيث يجعلها الفتى * فان أطمعت تاقت والا تسلت

(وقال لقمان) لابنه يابني أول ما أحذرك من نفسك فان لكل نفس هوى وشهوة فان أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها فان الشهوة كامنة في القلب كمكون النار في الحجر ان قدح أورى وان ترك توارى (قال أفلاطون) في الانسان أربع طبائع العقل والهوى والشهوة والعفة فالعقل يعاتب الهوى والهوى يقاتل العقل والعفة تعاتب الشهوة والشهوة تقاتل العفة والانسان مساط على مشيئته فمن عمل خيرا جوزى به ومن عمل شرا كوفئ عليه (وقال بعض الحكماء) أكمل الناس عقلا أغلبهم للهوى وأملكهم للشهوة ولا يزال الانسان المطيع لهواه المهمل لصالح دينه ودنياه منتظر الصلاح مرجو الخير والفلاح مالم يتجاوز حد الفتوة الى حد الاكتهال فان سلطان الهوى عند ذلك قوى وشيطانه غوى فان خرج عن سن الحداثة ولم يسلك سنن الصلاح والدماثة فقد قطع أسباب الرجاء منه ووصل علائق اليأس عنه وقد أعى داؤه وتعذر شفاؤه (قال بعض العلماء) ومن الواجب على من استفزه الشيطان وخدعه وأغراه بالعصيان وأقمعه ورجاه بالتوبة وأطمعه ان يستشعر هجوم المنايا ويتخيل وقوع النوب والرزايا انها لا تحقر الصغير ولا تهاب الكبير ولا تنتظر الغنى ولا الفقير ان وعدت أنجزت وان طعنت أجهزت فلا يحدث نفسه بالامهال ولا يخادعها بالتسويف

والمطال فانه لا يؤمن هجومها ولا يستفيق ساعيها ولا يدرى متى تصل اليه فتحول بينه وبين أمله وتقطعه عن استدراك عمله وتصيره من الوجود الى العدم فيندم حين لا ينفعه الندم فان كان ذلك وقد زالت عنه أنعم خالقه وجردته عن ثوب عافيته ومرافقه وهى عادته فيمن عصاه من خلائقه فيكون قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

ولله در القائل

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم
وكم قد ترددت فى مهلة * ولم ترقب الموت حتى هجم

(قال بعضهم) والانسان فى أول خليقته يضعف عن مصادمة الشهوة ويقصر عن صرف محاولة الارادة لنقصان القوة والعقل وله ثلاث مراتب فاولها عند الخروج الى الدنيا الشرة الى الغذاء الذى لا بدله منه ولا يستطيع الصبر عنه ولا له رغبة فى سواه ثم ينتقل الى المرتبة الثانية عند تمييز الاشياء وهى الالتذاذ باللعب واللهو وحب التزين والحرص على ما يشتهى من غير تدبير ولا نظر ثم ينتقل الى المرتبة الثالثة وهى شهوة النكاح والالتذاذ بالمطاعم والمشارب وانتخاب الملابس والمراكب وسلطان الهوى عند ذلك قوى قادر وجند الشهوات غالب ظاهر فان بلغ هذه المرتبة وقد حسن تمييزه للمعانى وقوى فهمه للامور واستحكم نظره للحقائق وتمكن فكره فى العواقب وقواه الملك الموكل بهدايته بفضل الملك المدبر له الذى يختص برحمته من يشاء فعلم المصالح التى يتعلق بها الثواب والقبائح التى يتعلق بها العقاب صرف نفسه عند ذلك عن موافقة اللذات الممنوعة قاهرا ومنعها من متابعة الشهوات قاسرا فتميز بالخلائق

بالخلائق الآدمية وانتقل عن الطباع البهيمية فاذا استنار بنور اليقين قلبه وتأيد بالتقى والايمان جذبه فاستفتح بمفاتح النظر خزائن الفكر واستخرج منها الطائف المعارف وذخائر السرائر فلبس أبراد الاعتقاد وتحلى بقلائد الفوائد وركب جواد الاجتهاد فجرى فى ميادين السابقين كان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ولئن صادف هذه المرتبة وقد قوى سلطان هواه وضعفت عن مصادمته قواه وتملكه شيطانه واستهواه فمكن نفسه من مرادها ولم يجاهدها حق جهادها فارسلها على ماسولت وخلى بينها وبين ما أمات فاستفتح بمفاتح الشره خزائن الشهوات واستخرج منها مشاهر المناكر ولبس ثياب الارتياب وتوشح بوشاح الافضاح وركب جواد الحرص فجرى فى ميدان البطالة ونام فى مهاد الغفلة فغلب على قلبه سمة الرين كان من الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الامن آثر المتاب وأسرع الاياب واتقى يوم الحساب فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين *(قال الشاعر)*

ألا أيها المستطرف الذنب جاهدا * هو الله لا تخفى عليه السرائر
فان كنت لم تعرفه حين عصيته * فان الذى لا يعرف الله كافر
وان كنت عن علم ومعرفة به * عصيت فأنت المستهين المجاهر
فأية حاليك اعتقدت فانه * عليم بما تطوى عليه الضمائر

(قال بعض العلماء) جميع حالات الانسان راجعة الى ثلاث منازل عليا ووسطى وسفلى ذكرها الله عز وجل فى كتابه وجعلها مراتب لعباده فقال عز من قائل وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب

المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثم قص الله تعالى أحوالهم وقص ما لهم فقال سبحانه فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وقال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير (قال) بزرجمهر اجتهدوا فى الخير واقتصدوا فى المعيشة وارضوا من المطعم والملبس بادناهما فان أشد الناس اجتهادا فى الخير وأحسنهم اقتصادا فى المعيشة سيتمنى انه كان زاد فى العمل ونقص فى المعيشة ولا يثبت دين الرجل على حال واحدة اما فى زيادة او فى نقصان فان كان غالبا للشيطان كان زائدا وان كان الشيطان غالبا عليه فى الشهوات كان ناقصا (وقال الاسود بن يزيد) والله لاجتهدن فى العبادة فان يكن الامر عسيرا كما اخاف فى الآخرة كنت قد اجتهدت واخذت بالحزم وان يكن يسيرا كما ارجوا كان عملى درجات

﴿فصل﴾

قال بعض العلماء الناس فى الاوامر والنواهى أربعة أصناف صنف استجابوا للطاعات وكفوا عن المعاصى وهم أكمل الناس وصنف لم يستجيبوا للطاعات ولا كفوا عن المعاصى وهم شر الناس وصنف استجابوا واقاموا على المعاصى فهم يستحقون عقاب المجترئين على المعاصى وصنف لم يستجيبوا للطاعات وكفوا عن المعاصى فهم يستحقون عقاب اللاهى عن دينه وللانسان فيما كلف به من الاعمال ثلاثة احوال أن يستوفيه وان يزيد

فيه وان يقصر فيه (أما) استيفاء العمل من غير زيادة ولا تقصير فحال الاعتدال وخير الامور أوسطها (وأما) التقصير في العمل فعلى أربعة أحوال (احدها) العذر من مرض أو غيره فيلحق صاحبه بالعاملين لسقوط المؤاخذة بما دخل تحت العجز (الثانية) الاغترار ورجاء العفو والرجاء شاغل عن خوف الله (الثالثة) أمل الاستيفاء فيما يستقبل وذلك لا ينتهي الى غاية وما أطال عبد الامل الا اساء العمل (الرابعة) استثقال الاستيفاء كمن يفعل الواجب ويخل بالمسنونات فهو مسيء اساءة لا يستوجب بها عقابا لان اداء الواجب يسقطه الواجب للعقاب والاخلال بالمسنون يمنع من كمال الثواب ومن تهاون بالدين هان (وأما الزيادة في العمل فعلى ثلاثة أقسام (أحدها) ان تكون الزيادة رياء وأفضل الزهد اخفاء الزهد (الثاني) أن تكون الزيادة اقتداء باحد الاماثل ولولا اقتداء الناس بالناس في الخير لهلكوا (الثالث) أن تكون الزيادة ابتداء يلتمس بها الثواب وذلك من أعلى رتب العابدين والاقتصاد في الزيادة مع المداومة أحمد من الاستكثار دون مداومة (لقوله) عليه السلام فيما روت عائشة رضي الله عنها أيها الناس اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الاعمال ما ديم عليه وللاعمال كلها آفتان (احديهما) تكسب الوزر والاخرى توهن الاجر فالمكسبة للوزر الاعجاب بالعمل لان المعجب ممتن على الله ومجترئ عليه والممتن على الله جاحد لنعمته والمجترئ على الله عاص لامره ونهيه والموهنة للاجر الثقة بالعمل لانها أمن والآمن من غير خائف ورياضة النفس للعمل تترتب على أحوال ثلاث (احديها) الزهد لقوله

عليه السلام من أشرب قلبه حب الدنيا وركن اليها التاط منها بشغل لا يبلغ عناه وبأمل لا يبلغ منتهاه (الثانية) توطين النفس على ذهاب ما فى اليد وبقاء حسابه قال عليه السلام لا تزول قدما ابن آدم حتى يسئل عن ثلاث شبابه فيم أبلاه وعمره فيم أفناه وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه (الثالثة) قصر الامل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكيس الناس قال أكثرهم ذكر الموت وأشدهم استعدادا له أولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة والناس فى الخير على أربعة أنحاء منهم من يفعله ابتداء وهو الكريم ومنهم من يفعله اقتداء وهو الحكيم ومنهم من يتركه استحياء وهو الردئ ومنهم من يتركه حرمانا وهو الشقى (ومن) الواجب على الانسان أن لا يحمل على نفسه بالعنف عليها ولا يصادمها بالقهر لها وان يأخذها أولا بالمنع عن يسير الشهوة والكف عن قليل الهوى مما لا ترى النفس فى تركه كبير صعوبة ولا تنال بالامتناع منه شديد مشقة ثم لا يزال ينقلها من حال الى حال أقوى منها ويرفعها من درجة الى أعلاها كما يفعل الطبيب الماهر من تدريج العليل بتلطف المعاناة وتحسين المداراة حتى يزيل المحدث للعلة وهو حب الدنيا فاذا أزاله قوى بعد على قلع العلة ووجدها متأتية الزوال بزوال الدواعى المولدة لها الباعثة عليها فظهر النجح ونجح السعى وليس الزهد فى الدنيا باهمال النفس واضعاف الجسم وادخال الضرر بتقتير العيش والتعرض للمعاطب والتصدى الى المهالك فان استعمال ما تصح به القوى ويعين على الطاعة والتصرف فى جميع أعمال البر صلاح بين وواجب متعين وكما أن الزيادة على قدر الحاجة ممنوعة فى الشرع والعقل يمنع منهما جميعا

(فصل)

﴿فصل﴾

كان عبد الله بن المبارك يقول الرجاء يورث الشوق والشوق يورث الاجتهاد والاجتهاد يورث الفكر فى النعم والفكر فى النعم يورث الشكر والشكر يوجب معرفة المنة ومعرفة المنة تورث محبة الله ومحبة الله تورث الزهد فى الدنيا والزهد فى الدنيا يورث الرغبة فى الآخرة والرغبة فى الآخرة تورث الاشتغال بالطاعة والاشتغال بالطاعة يورث النعيم الدائم ﴿قيل﴾ ان سبب توبة عبد الله بن المبارك وزهده انه كان من أصنع الناس فى الالحان وضرب العود فبينما هو يغنى ذات يوم

ألم يأن لى منك ان ترحما * وتعصى العواذل واللوما
وترثى لصب بكم مغرم * أقام لهجرانكم مأتما

اذ سمع من جوف العود هاتفا يقول ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فكسر العود وساح فى البرية (وقيل) لبعض العلماء ماعلامة الايمان قال حسن الخلائق واتباع الحقائق وبذل المرافق وحفظ العهود والمواثق والتسليم للقدر السابق قيل فما علامة النفاق قال نقض العهد وخلف الوعد ومنع الرفد والكذب فى الهزل والجد قيل ففيم النجاة قال عمل مبرور وقلب صبور ولسان شكور وادخال السرور والرضى بالمقدور قيل ففيم الهلكة قال كثرة الفجور واقتحام الشرور ومطاوعة الغرور وعصيان الغفور (وقيل لبقراط) ما أقرب الاشياء قال الاجل قيل فما أبعدها قال الامل قيل فما أنفسها قال الصاحب المواتى قال فما أوحشها قال الموت قيل فما أحمدها عاقبة قال الصبر قيل فما أذمها عاقبة قال المعاصى (قالت هند)

الطاعة مقرونة بالمحبة فالمطيع محبوب وان نأت داره وقلت آثاره والمعصية مقرونة بالبغضة فالعاصى مبغوض وان ملك رجمه ونال معروفه قال الشاعر

أراك امرأ ترجو من الله عفوه * وأنت على ما لا يحب مقيم
فحتى متى تعصى وتهفو الى متى * تبارك ربى انه لرحيم

(قال بعض الحكماء) التسويف لمن يعلم ان المنية تأتيه بغتة غرور وترك مجالسة الحكماء حمق وطلب الحاجة من غير الله ذل وقلة معرفة الانسان بعيوب نفسه أكثر ذنوبه (روى) أن ناسا مدحوا أبا بكر الصديق رضى الله عنه فقال الله أعلم بى من نفسى وانا أعلم بنفسى منكم فأستغفر الله مما لا تعلمون وأسئله ان لا يؤاخذنى بما تقولون (قالت عائشة) رضى الله عنها يارسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى قال الشاعر

ابدأ بنفسك وانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك تعذر ان وعظت ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(روى) عن الحسن أنه قرأ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فقال هذه موعظة وعظ الله بها المسلمين (قال) بعضهم السنون مراحل والانفاس خطوات والطاعات رؤس الاموال والمعاصى قطاع الطريق والربح الجنة والخسران النار قال الشاعر

لله ساهر ليله ما يهجع * وجل الفؤاد من الذنوب مصدع

يبكى

يبكي بدمع ساكب هفواته * والليل في جلبابه متبرقع
ندما على ما كان من عصيانه * ملكا تذل له الملوك وتخضع
يا رب ما للذنب غيرك غافر * واليك منه يا الهي المفزع
يا رب عبدك ضارع فاغفر له * ما لم يزل يدعوك فيه ويضرع

(حكي) عن بعض الاشياخ انه رأى الله تعالى في النوم فقال له يا عبدي بم جئتني فقال يارب جئتك بما ليس في خزائنك فقال وما هو قال الذل والانكسار فقيل له نعم الزاد زادك فقد رحمناك (وحكي) أن حاتما الاصم قال لاولاده اني أريد الحج فبكوا وقالوا الى من تكلنا وكان له بنت لها سبع سنين فقالت ما يبكيكم دعوه يذهب فليس برازق فخرج فباتوا جياعا فجعلوا يوبخون تلك الصبية فقالت اللهم لا تخجلني بينهم فجاز أمير البلد عليهم فقال لبعض أصحابه اطلب لي ماء فناولوه كوزا جديدا وماء باردا فشرب وقال دار من هذه فقالوا دار حاتم الاصم فرمى فيها منطقة من ذهب وقال من أحبني وافقني فرمى العسكر كله فجعلت الصغيرة تبكي فقالت أمها يا بنية ما يبكيك وقد وسع علينا فقالت يا اماه أبكي لان مخلوقا نظر الينا نظرة فاستغنينا فكيف لو نظر الينا الخالق

﴿فصل﴾

(عن ابن عباس) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه ألا أنبئكم بشراركم قالوا نعم يارسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده أفأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم قال من

لا يقيـل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا أفأ نبئكم بشر من هذا قالوا نعم قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ان عيسى عليه السلام قام فى بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم (قال عبد الله بن مسعود) ان أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابراهيم وأحسن السنن سنة المصطفى عليه السلام وخير الهدى هدى الانبياء وأصدق الحديث ذكر الله وخير القصص القرآن وخير الامور عواقبها وشر الامور محدثاتها وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة ندامة القيامة وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى وخير ما ألقى فى القلب اليقين وشر العمى عمى القلب والريب من الكفر والخمر جماع الاثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون والنوح من عمل الجاهلية وأعظم الخطايا الكذب وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يغفر يغفر الله له ومن يصبر على الرزية يعقبه الله خيرا وشر المكاسب كسب الربى وشر المآكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقى من شقى فى بطن أمه وانما يكفى أحدكم ما يقنع به نفسه وانما يصير الى أربعة أذرع والامر الى آخره وملاك العمل خواتيمه وأشرف الموت قتل الشهداء ومن يستكبر يضعه الله ومن يطع الشيطان يعص الله ومن يعص الله يعذبه ومن عرف الدنيا يفرغ عنها وما قل

وكفى

وكفى خيرهما كثروا لمحى (قال عبد الواحد) ابن زيد جالسوا أهل العلم والدين فان لم تقدروا على جالسوا أهل المروآت من أهل الدنيا فانهم لا يرفثون فى مجالسهم فمجالسة أهل العلم تنتج ذكاء القلوب ومجالسة أهل الدين تجلو عن القلوب صدأ الذنوب ومجالسة ذوى المروءة تدل على مكارم الاخلاق (أتى) رجل الى ربيعة الراى فشكا اليه صعوبة دهره وتصرفه فقال ربيعة اكتب

أليس الزمان كما قد علمت * فمالك تحزن من صرفه
وعندك علم به ثاقب * وعين تدل على وصفه
وأيامه دول والنفوس * رهون الحوادث من حتفه
فأين المعافى من النائبات * ومن صحب الدهر لم يعفه
ومن صحب الدهر لاقى الذى * ينال على الرغم من أنفه
فكن حازم الرأى واصبر له * فللحر صبر على صرفه
ولا تخضعن الى ساقط * ولو كانت الارض فى كفه
وصن حر وجهك عن بذله * بتلميسك الترب أو سفه
فان اللئيم وان خلته * كريما يذودك عن عرفه
ويرجع محصول أخلاقه * الى اصله والى صنفه
فلا تسئل الناس ما يملكون * ولكن سل الله واستكفه
فكل مقل وذى ثروة * فان المنية من خلفه
ومن يقض رزق له يأته * بكل مكان ويستوفه
ولو جهد الناس لم يقدروا * على دفع ذلك ولا صرفه

(قال بعضهم) اذا رضى الله عن العبد حمله ما يطيق ودون ذلك ورزقه

من حيث لا يحتسب ووفقه لفعل الخير ولم يكله الى نفسه واستنقذه من الشدائد واذا اسخط على العبد حمله ما لا يطيق وأبلاه بدين لا يجد قضاءه وأغراه بعدا وة من هو أقوى منه على دنياه وأولعه بمطامع كاذبة ووكله الى نفسه وأسلمه فى الشدائد (قال وهب بن منبه) كان فى بنى اسرائيل عابد فلبث سبعا لم يطعم هو وعياله شيأ فقالت له امرأته لو خرجت فطلبت لنا شيأ فخرج فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال والله لاعملن اليوم مع ربى فجاء الى ساحل البحر فاغتسل ولم يزل راكعا وساجدا حتى أمسى وأتى أهله فقالت امرأته ماذا صنعت قال قد عملت مع أستاذى وقد وعدنى أن يعطينى ثم غدا الى السوق فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال والله لاعملن اليوم مع ربى فجاء الى ساحل البحر فاغتسل ولم يزل راكعا وساجدا حتى اذا أمسى أقبل الى منزله فقالت له امرأته ماذا صنعت فقال ان أستاذى قد وعدنى أن يجمع لى أجرتى فخاصمته امرأته وبرزت عليه ولبث يتقلب ظهرا لبطن وبطنا لظهر وصبيانه يتضاغون جوعا ثم غدا الى السوق فاستأجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال والله لاعملن اليوم مع ربى فجاء الى ساحل البحر فاغتسل ولم يزل راكعا وساجدا حتى اذا أمسى قال الى أين أمضى وانا قد تركت العيال يتضاغون من الجوع ثم تحامل على جهد منه فلما قرب من باب داره سمع ضحكا وسرورا وشم رائحة قديد وشواء فاخذ على بصره فقال أنائم أم يقظان تركت أقواما يتضاغون جوعا وأشم رائحة قديد وشواء وأسمع ضحكا وسرورا ثم دنا من باب داره فطرق الباب فخرجت امرأته حاسرة قد

حسرت

حسرت عن ذراعيها وهي تضحك في وجهه ثم قالت يافلان قد جاءنا رسول أستاذك فأتانا بدنانير وكسوة وودك ودقيق وقال اذا جاء فلان فاقرؤه السلام وقولوا له ان أستاذك يقول لك قد رأيت عملك وقد رضيته فان أنت زدتني في العمل زدتك في الاجرة ﴿قال الشاعر﴾

عليك اذا ضاقت أمورك والتوت * بصبر فان الضيق مفتاحه الصبر
ولا تشكون الا الى الله وحده * فمن عنده تأتي الفوائد والنصر

(قال سفيان الثوري) دخلت على جعفر الصادق رضي الله عنه فقلت له يا ابن رسول الله مالي أراك سكنت دارك ولا تخالط الناس فقال نعم يا ابن سعيدان في العزلة دعة وفي الدعة القناعة وما قدرك يا أتيك يا سفيان فسد الزمان * وتغير الاخوان * فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد (قال بعضهم) ولفساد الزمان وقلة من يسكن الى مودته * ويؤمن من خانته * آثر أهل الفضل مجالسة الكتب وجعلوها عوضا مما فاتهم من مجالسة الاصحاب ووصفوها ووصفوا انفوسهم بالاقبال عليها ومن ذلك قول الشاعر

لم يبق شيء من الدنيا تسر به * الا الدفاتر فيها الشعر والسمر
مات الذين لهم فضل ومكرمة * وفي الدفاتر من احسانهم أثر

(قال بعض الحكماء) العزلة عن الناس تصون العرض وتستر الفاقة وتبعث على السلامة وترفع مؤنة المكافأة في الحقوق اللازمة وتورث الراحة وتبقي حسن الذكر وتقصر الامل * وتؤمن من الملل * وتولد الفكرة في الآخرة ﴿قال الشاعر﴾

الحمد لله لا شريك له * في صبحه دائما وفي غلسه

لم يبق لى مؤنس فيؤنسنى * الا أنيس أخاف من أنسه
فاعتزل الناس ما استطعت ولا * تركن الى من يخاف من دنسه
والمرء يرجو ماليس يدركه * والموت أدنى اليه من نفسه

﴿فصل﴾

(عن ابن عباس رضى الله عنه) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ياغلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة اذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما هو كائن فلو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيأ لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه وعلى أن يمنعوك شيأ كتبه الله لك لم يقدروا عليه فاعمل لله بالرضى فى اليقين واعلم ان فى الصبر على ماتكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا (وروى عن أبى الدرداء) انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى قال له اكتسب طيبا واعمل صالحا وسل الله رزق يوم فيوم واعدد نفسك من الموتى (وقال رجل) لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى قال له اتق الله حيث كنت قال زدنى قال أتبع السيئة الحسنة قال زدنى قال خالط الناس بخلق حسن (ودخل) رجل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له أوصنى قال له أوصيك بثلاث أن تحفظ آلاء الله عليك فى كل حالة كنت وان تذكر اطلاع الله عليك فى كل حالة كنت وان تذكر الموت ودخول القبر على أى حالة كنت (ودخل) أبو جعفر محمد بن على بن الحسن بن على رضى الله عنهم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وقد ولاه فقال له أبو جعفر أوصنى فقال له أوصيك بثلاث أن

تتخذ

تخذ صغير المسلمين ولدا وأوسطهم أخا وأكبرهم أبا فارحم ولدك وصل أخاك وبر والدك واذا صنعت معروفا فربه وقال أبو جعفر المذكور أدبنى أبى بثلاث خصال ونهانى عن ثلاث قيل له وما هن يا ابن رسول الله فقال من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم ثم أنشد

عوّد لسانك قول الخير تحظ به * ان اللسان لما عوّدت معتاد
موكل بتقاضى ما سننت له * فى الخير والشر فانظر كيف ترتاد

قيل له صدق رضى الله عنه فما الذى نهاك عنهن فقال لا تعاشر حاسد نعمة أو شامتا بمصيبة أو حاملا لنميمة وأنشدنى فى ذلك

يموت الفتى من عثرة بلسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

(وأوصى) أبو بكر لعمر رضى الله عنهما فقال يا عمر انى مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله تعالى ان لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا وان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فاذا سمعت بهم قلت انى أخاف أن لا أكون من هؤلاء وذكر أهل النار بأقبح أعمالهم وأمسك عن حسناتهم فاذا سمعت بهم قلت أنا خير من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب

ليكون العبد اغبار اهما ولا يتمنى على الله غير الحق فاذا حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك وان ضيعت وصيتى فلا يكونن غائب أبغض اليك من الموت ولن تعجزه (وقال سعيد بن جبير) لابنه يا بنى انى أوصيك بوصية ان لم تحفظها منى كنت جديرا الا تحفظها من غيرى يا بنى أظهر للناس الجميل واياك وطلب الحاجة فانه فقر حاضر واذا صليت فصل صلاة مودع وأنت ترى أن لا تصلى بعدها أبدا وان استطعت أن تكون غدا خيرا منك أمس فافعل واياك أن تيأس عن شئ أتى الله منه خيرا (وعن عمر بن عتبة) قال قال لنا أبونا عتبة يا بنى انكم صغار قوم لا يحتاج اليكم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم فعليكم بالعلم والدين تنتظم لكم الدنيا واجعلوا أموالكم واقية لاديانكم ويكون الله جارا لكم فان الموت فى طاعة الله حياة والفقر فى رضوانه غنى واذكروا ما خلقتم له وخلق لكم فانه لا يدنا كم من وكل بكم واياكم والعقوق فانه يثمر العقوبة (وأوصى) بعض الحكماء ابنه فقال يا بنى انك ان تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره ولن تنجو مما تكره حتى تصبر على كثير مما تحب وقليل من الذل يدفع كثيرا من الهوان (وأوصى) آخر ابنه فقال يا بنى نزه نفسك وسمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن القول بالخنا فان السميع شريك القائل وانما نظر الى شر ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ولو ردت كلمة حاسد دونا طق بالاذى فى فيه لسعد رادها كما شقى قائلها (وأوصى) آخر ابنه فقال يا بنى اذا كنت فى نادى قوم فحدث القوم ما حاذوك بآذانهم ولحظوك بأبصارهم فاذا وجدت فترة منهم فأمسك وكف عن الشتم فانه اسلم للاعراض

للاعراض ومن سبب وأحسن جوارك بحسن تناولك وامنع ضيم الغريب من القريب واذا حدثت فع واذا احدثت فأوجز فان مع الاكثار يكون الاهذار ولاخير فيمن لا روية له مع الغضب ولا فيمن اذا عوتب لم يعتب (وقال) سليمان بن عبد الملك لمؤدب أولاده ليكن أول صلاح بني أول اصلاح نفسك فان عيوبهم معروفة فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت علمهم كتاب الله ورووهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه ولا تخرجهم من علم الى علم حتى يحكموه فان ازدحام العلوم مضلة للفهم وجنبهم مجالس السفلة والنساء وعلمهم سير الحكماء وهددهم بي وأدبهم دوني وكن كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعلم موضع الداء فقد اتكلت على أمانتك (وقال أبان) بن ثعلب شهدت أعرابية وهي توصي ابنها وقد أراد سفرا وهي تقول له يا بني اجلس حتى أوصيك وبالله توفيقك ان الوصية أجدى عليك من كثير عقلك قال ابان فوقفت أسمع كلامها فاذا هي تقول يا بني اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا وخليق أن لا يثبت الغرض على كثرة السهام من الناس وقلما اعتورت السهام غرضا الا كلمته حتى يهين ما اشتد من قوته واياك والجود بدينك والبخل بمالك واذا هززت فاهزز كريما يلن لهزتك ولا تهزز لئيما فانه صخرة لا ينفجر ماؤها ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به وما استقبحت من غيرك فاجتنبه فان المرء لا يدري عيب نفسه ومن كانت مودته لا يصدقها فعله كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها واعلم يا بني ان الغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ومن جمع العلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها

وسمر بالهما (وأوصى) رجل ابنه فقال له يابنى ابذل المودة الصادقة تستفد اخوانا وتتخذ أعوانا فان العداوة موجودة عتيدة والصداقة مستعذرة بعيدة وجنب كرامتك اللئام فانهم ان أحسنت اليهم لم يشكروا وان نزلت معضلة لم يصبروا واعلم ان الحسد ماحق للحسنات والزهو جالب لمقت الله عز وجل ومقت عباده والعجب صارف للازدياد من العلم داع الى الجهل والتخبط والبخل أذم الاخلاق وأجلبها لسوء الاحدوثة (وأوصى) رجل صديقا له فقال آثر بعملك معادك ولا تدع لشهوتك رشادك وليكن عقلك وزيرك الذى يدعوك الى الهدى ويعصمك من الردى ألجم هواك عن الفواحش وأطلقه فى المكارم فانك تبر بذلك سلفك وتشيد به شرفك (وقال بعض العلماء وصية) لا يحملنك ماترى من اقبال النعمة على الجاهل على الرغبة فى الجهل ولا ادبارها عن العالم رغبة عن العلم فان اقبالها على الجاهل اتفاق واقبالها على العالم استحقاق وليس مستحق النعمة ومستوجبها كحاملها بغير استحقاق (وقال بعض الصالحين) لابنه يابنى نفسك مسترهنة بأعمالك والايام مقربة لآجالك فاشتر نفسك ما دامت السوق قائمة والثمن موجودا والربح مضمونا ولا تسوفها الوقت تكون السوق فيه كاسدة والآمال منقطعة متباعدة ولا سبيل الى استدراكها وقد حيل بينك وبين الثمن وهو العمل وما أحسن قول القائل

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا * ندمت على التفريط فى زمن البذر

فالنجاة النجاة قبل حلول الوفاة والعمل العمل قبل هجوم الاجل فالويل كل الويل لمن فرط حتى تورط وآثر الاهمال حتى صار فى حيز الاهمال

الاهمال ثم هجم عليه مفرق الاحباب فحينئذ تنقطع به الاسباب ويسد دونه طريق الاياب ويندم يوم لا ينفع الندم حين تأخر ولم يتقدم وانظر الى قول بعض الشعراء

قلت للنفس ان أردت رجوعا * فارجعي قبل أن يسد الطريق

وقال لقمان لابنه يابني جالس قوما يذكرون الله بطاعته فان كنت عالما نفعك علمك وان كنت جاهلا علموك وان نزلت عليهم رحمة أو رزق كان لك فيه معهم حظ ولا تجالس قوما لا يذكرون الله فان كنت عالما لم ينفعك علمك وان كنت جاهلا زادوك جهلا وان نزلت عليهم لعنة أو سخط شاركتهم فيه وقال بعض الحكماء لصاحب له ارض بالقضاء واصحب الدنيا على علاتها فانك لا ترى الا احد رجلين متقدما أخره حظه أو متأخرا قدمه حظه فان لم ترض بالحال التي أنت فيها وان كانت دون أملك واستحقاقك اختيارا والا رضيت بها اضطرارا ﴿قال الشاعر﴾

اصبر على القدر المحتوم وارض به * وان أتاك بما لا تشتهي القدر

وقال آخر لصاحب له اياك أن تدنس عرضك بالمعاصي فان الماء لا يغسله ولا تستغفر لذنبك الا ربك فان سواه لا يغفره وأخلص لله عملك لعله يتقبله وفي مثل هذا ﴿يقول الشاعر﴾

الماء يغسل ما بالجسم من دنس * وليس يغسل قلب المذنب الماء

(وقال بعض العلماء) اذا ابتليت فثق بالله ولا تجزع واذا عوفيت فاشكر الله ولا تقطع واذا وقف بك أمر فلا تيأس ولا تطمع وفوض أمرك الى الله فنعم الملجأ ونعم المرجع فاذا فعلت فقد فزت بخير الدارين أجمع

﴿قال الشاعر﴾

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذى يكشف البلوى هو الله
اذا اقضى الله فاستسلم لقدرته * ما لامرئ حيلة فيما اقضى الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فنعم القادر الله

(وقال بعض العلماء) لابنه يابنى اياك والجزع على ما فات والطمع فيما لا يرجى وما اشتد خطب الا وأعقبه فرج ولا انسد باب الا سوف ينفرج فان الله عز وجل قد جعل مع العسر يسرين وجعل فى الصبر خير الدارين ومازال مع الصبر الظفر والانس ومع الجزع الكدر واليأس فاختر لنفسك ما يدنيك الى الله ويقربك واطرح عنها ما يحزنك ويكربك

﴿قال الشاعر﴾

لا تجزعن ان مضت للخطب أيام * فربما ساعدت للسعد أعوام
وان تعرض عسر فانتظر فرجا * صرف الليالى كذا بؤس وانعام

(ولما) حضرت الوفاة هرم بن حيان قيل له أوص قال ما أدرى بما أوصى ولكن بيعوا درعى واقضوا دينى فان لم تف فبيعوا فرسى فان لم تف فبيعوا غلامى وعليكم بخواتم سورة النحل (قال قتادة) أوصى والله بجماع الامر وبما أوصى به الله عز وجل ومن أوصى بما أوصى به الله فقد أبلغ (وقال بعض العلماء) لا أحد أجمع من السفيه للخلال المذمومة وأبعد منه من الخصال المحمودة فانه لا يستحى من المحال ولا يرى العار فى حال فاحذره جهدك وباعده عن رك فان اضطرك الدهر الى الجمع به فأعد له حلما تدفع به شره وصبرا تقمع به ضره ولا تبتئس بما أعلق بك ولا تبال بما أصاب اليك وكن معه كمن مر بروضة شوك يسعى فى تخليص جسده عنها ولم يسئل عما تعلق بثيابه منها (وقال) رجل لبعض الصالحين

الصالحين أوصني فقال له اتق الله سرك وعلانيتك وافعل الخير ما أمكنك ولا تضيع أمانة من ائتمنك وأصدق الحديث ساءك أو أحزنك فان فعلت ذلك فقد استعدت السيادة رسنك وأرحت من المكاره قلبك وبدنك (وقال) بعض الصالحين لبنيه يا بني لا تبخلوا برزق الله على عباد الله تفوزوا بالشكر وتحصلوا على الاجر ويوسع عليكم فى الرزق فان لم تجدوا فبكلمة طيبة فانها صدقة وان مر بكم ذو فاقة فلا تحوجوه الى السؤال فانه مقام اذلال فان لم تقدروا فتحية مباركة فان فيها أنسا (وقالت) أعرابية لابنها يا بني عليك بحسن الخلق وجميل العشرة ولطف الموافقة ولين الجانب والاحتمال للصاحب وكف الاذى والمقاسمة فى العزاء فانك تستميل القلوب وتنال كل مرغوب ويحفظك علام الغيوب (وأوصى) طاوس رجلا فقال له انى أجمع لك العلم كله فى ثلاث كلمات خف الله حتى لا يكون أحد أخوف لك منه وارج الله حتى لا يكون أحد أرجى عندك منه وأحب الله حتى لا يكون أحد أحب اليك منه فاذا فعلت ذلك فقد علمت علم الاولين والآخرين (وأوصى) بعض الملوك ابنه فقال يا بني كن بما علمت عاملا وعما جهلت سؤولا وافحص الامر يتجلى لك واستبطن أهل التقوى وذوى الاحساب تزن نفسك وتحكم أمرك ولا تخص بسرك من لا يكتمه ولا تول أمرك من لا يفهمه ولا تثق برجل تتهمه ولا تعود لسانك الخنا وكثرة التسألى ولا تكلف نفسك ما لا تقدر عليه واذا هممت بأمر خير فعجله واذا هممت بأمر شر فتأن فيه واياك وقبول التزكية فيما لا تشك فيه انك مكذوب فانها خدعة تتبعها صرعة (وقال بعض الحكماء) ذللوا أخلاقكم

المحاسن وقودوها الى المحامد وعلموها المكارم وعودوها الجميل واصبروا على الايثار على أنفسكم وتكرموا بالغنى عن الاستقصاء وعظموا أقداركم بالتغافل عن دنى الامر وامسكوا رمق الضعيف بالمعونة وصلوا من رغب اليكم بجاهكم ان لم يكن بمالكم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وأصلحوا ما بدر منكم ولو بالتخلق ان لم تكن حشمة واياكم والكبر فانه رأس المقت وثوب البغضة عند الله والناس (وقال بعضهم) أكثر من مخالطة أهل الادب فان صلاح الاخلاق وفسادها كثيرا ما يكون ذلك على قدر أخلاق الذين تطيل صحبتهم وتواظب على معاشرتهم وكثيرا ما يفسد الطبع الحسن معاشرة أهل الجهل والريب فانظر من تصحبه فانك موسوم بسيما من صحبت فتحفظ من دخلاء السوء وأظهر مجانبة أهل الريب واذا نظرت فيمن ترتاده لاخائك فان كان من أهل الدين فليكن فقيها غير مراء ولا حريص وان كان من اخوان الدنيا فليكن حييا غير جاهل ولا كذاب ولا شرير فان الجاهل أهل ان يفر عنه أبواه وان الكذاب لا يصدق فى مودته وان الشرير ان سلمت من شره ا كسبك شر غيره (وأوصى) سفيان الثورى بعض اخوانه فقال اطلب العلم للعمل به ولا تطلبه لتباهى به العلماء وتمارى به السفهاء وتأكل به الاغنياء وتستخدم به الفقراء فقد بلغنا ان من طلب الخير صار غريبا فى زمانه فلا يستوحش واستقم على سبيل ربك فانك اذا فعلت ذلك كان مولاك الله وجبريل وصالح المؤمنين واشتغل بذكر عيوب نفسك عن عيوب غيرك واحزن على ما مضى من عمرك فى غير طلب آخرتك وأكثر من البكاء على ما أوقرت ظهرك به من الذنوب لعلك تخلص منها وان أردت اللحاق

بالصالحين

بالصالحين فاعمل بأعمالهم واكتف بما أصبت من الدنيا ولا تنس من لا ينساك ولا تغفل عمن قد وكل بك من يحصى أثرك ويطلب عملك وراقب الله فى سريرتك وعلانيتك فهو رقيب عليك واستحى ممن هو معك وهو أقرب اليك من حبل الوريد واعرف من فاقة نفسك وحقارة منزلتها فانك ان لم ترحمها لم ترحم ولا تغشها ولا توردها الموارد وخذ منها لك وأكثر البكاء على نفسك فانك لست من الضحك بسبيل (وأوصى) بعض أئمة الصوفية ولده فقال يا بنى عليك بالسيرة الجميلة والهمة الجليلة والسير على الطريقة والجمع بين الشريعة والحقيقة ولا يظهر عليك الا سر مخزون وأمر موزون وفكر يجول فيما هو كائن ويكون واجعل الشرع فى يمينك والعقل فى شمالك والتفويض بينهما واحكم فى شأنك كله بالكتاب والسنة والاجماع والقياس وعامل نفسك وغيرك بالمعروف وعليك بالتخلى والتحلى وبالبسط عند القبض وبالشكر لله على كل حال وورد لك لا تغفل عنه ان فاتك بالليل فاخلفه فى النهار أو فاجعله فى الذكر واعلم ان بالعلم يصعد السعداء الى المراتب العلية وبالعمل الصالح يثبتون عليها وقد صح ان العلم يفيد الكمالات كما ان العمل الصالح يحفظها ولا تعاشر أحدا غير اخوانك واهجر منهم من أهمل الادب حتى يستغفر الله وعليك باحترام كل مسلم ولا تسمح فى قليل من المنكر ولا كثيره وصم الليالى البيض وتصدق كل يوم ولو بتمرة أو بصلة وحسن ظنك بأولياء الله فهم أبواب الخير وصل الصلوات الخمس فى جامع خطبة

﴿فصل﴾

من المنقول فى تأليفنا تذكرة من اتقى (قال لقمان) الحكيم لابنه يا بنى

لا تركن الى الدنيا ولا تشغل قلبك بحبها فانك لم تخلق لها وما خلق الله خلقا أهون عليه منها لانه لم يجعل نعيمها ثوابا للطيعين ولا عقوبة للعاصين يا بنى ان الدنيا بحر عريض قد هلك فيه بشر كثير فان استطعت ان تجعل سفينتك الايمان بالله وعدتك التوكل على الله وزادك التقوى فان نجوت فبرحمة الله وان هلكت فبذنوبك يا بنى لا تضحك من غير عجب ولا تمش فى غير أرب ولا تسئل عما لا يعنيك يا بنى لا تضيع مالك ولا تصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بنى ان من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم (وأوصى) شهاب الدين السهروردى بعض أصحابه فقال يا أخى اذا نزل بك أمر من الله فاستعمل الرضى فان الله مطلع عليك يعلم ما فى ضميرك فان رضيت فلك الثواب الجزيل وأنت فى رضاك أو سخطك لست تقدر أن تزداد فى الرزق المقسوم والامر المكتوب فان لم تجد الى الرضى سبيلا فاستعمل الصبر فانه رأس الايمان فان لم تجد فعليك بالتجمل ولا تشك من ليس بأهل أن يشكى وهو أهل الشكر والثناء فاذا اضطررت وقل صبرك فالجأ اليه بهمك واشك اليه بثك واحذر ان تستطيعه وتسىء به ظنا فان كل شىء بسبب ولكل سبب أجل ولكل أجل كتاب ولكل هم من الله فرج ومن علم انه بعين الله تعالى استحى أن يراه يرجو سواه ومن أيقن بنظر الله اليه أسقط اختيار نفسه ومن علم ان الله الضار النافع أسقط مخاوف المخلوقين فراقب الله واطلب الامور من معادنها واحذر أن تعتمد على مخلوق أو تفشى له سرا فان غنيهم فقير وفقيرهم ذليل وعالمهم جاهل وجاهلهم حائر فى فعله

الا

الا القليل ممن عصم الله سبحانه فاتق الفاجر من العلماء والجاهل من العباد فانهم فتنة لكل مفتون (وأوصى) رجل من الحكماء بنيه فقال يا بنى اياكم والجزع عند المصائب فانه مجلبة للهم وسوء ظن بالرب وشماتة للعدو واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين ولها آمنين فانى والله ما سخرت من شئ الا نزل بى مثله فاحذروها وتوقعوها فانما الانسان فى الدنيا غرض تتعاوره السهام فمجاوز له ومقصر عنه وموقع عن يمينه وشماله حتى يصيبه بعضها واعلموا ان لكل شئ جزاء ولكل عمل ثوابا وقد قالوا كما تدين تدان ومن يبر يوما يبر به (وأوصى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابنه عبد الله فقال) يا بنى اتق الله فان من اتقى الله وقاه ومن اتكل عليه كفاه ومن شكر له زاده ومن أقرضه جزاه فاجعل التقوى عماد قلبك وجلاء بصرك فانه لا عمل لمن لا نية له ولا خير لمن لا خشية له (وأوصى) عبد الملك بن مروان بنيه فقال يا بنى كفوا أذاكم وابذلوا معروفكم واعفوا اذا قدرتم ولا تبخلوا اذا سئلتم ولا تلحفوا اذا سألتم فانه من ضيق ضيق الله عليه ومن أعطى أخلف الله له (وقال بعض السلف الصالح فى وصية) تفقه فى الدين وعود نفسك المكروه وكل نفسك فى أمورك كلها الى الله فانك تكلها الى كاف حريز ومانع عزيز وأخلص المسئلة لربك فان فى يده العطاء والحرمان واكثر الاستخارة له والاستخارة به واعلم ان من كان مطيته الليل والنهار يساربه وان كان لا يسير وان الله تبارك وتعالى قد أبى الا خراب الدنيا وعمارة الآخرة فان تزهد فيما زهدك كله فافعل ذلك تفز وان كنت غير قابل لنصيحتى اياك فاعلم علما يقينا انك لن تبلغ أملك ولن

تعدوا أجلك وانك فى ديوان من كان قلبك فأكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى رغب فانك لا تعتاض بما ابتذلت من نفسك واياك ان توجف بك مطايا الطمع وتقول متى أجرمت نزعت فانه هكذا هالك من هالك قبلك وأمسك عليك لسانك فان تلافيك ما فرط من صمتك أيسر عليك من ادراك ما فات من منطقك واحفظ ما فى الوعاء وشد الوكاء فحسن التدبير مع الاقتصاد أكفى لك من الكثير مع الفساد والعفة مع الحرفة خير من السرور مع الفجور والمرء أحفظ لسره ولرب ساعى الى ما يضره واياك والاتكال على الامانى فانها بضائع النوكى وتثبط عن الآخرة والدنيا ومن خير حظ قرين صالح فقارن أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشر تبن عنهم ولا يغلبن عليك سوء الظن فانه لن يدع بينك وبين خليل صالح صلحا واعلم ان مالك من دنياك الا ما أصلحت به مثواك فأنفق من خيرك ولا تكن خازنا لغيرك لم يهلك امرؤ اقتصد ولم يفتقر من زهد رأس الدين اليقين وتمام الاخلاص اجتناب المعاصى وخير المقال ما صدقه الفعال (وقال أبو نصر الكاتب فى وصية) راقب الرقيب فانه قريب واحفظ الاوقات فان الشهيد هو الحسيب ولا تغفل عن مولاك فانه دائم الشهود عليك وطهر الافكار والسرائر فانه يعلم البواطن كما يعلم الظواهر وارفض الاسباب فان بضاعتك هو الفقر ولا تساكن الدنيا فان مسكنك هو القبر واحفظ الصبر فان عدمت الرضى كفاك الصبر (وأوصى على بن أبى طالب) للحسن والحسين رضى الله عنهم فقال تنافسوا فى المعالى وسارعوا الى المكارم واكتسبوا الحمد بالجود ولا تكتسبوا بالبخل ذما ولا تعدوا معروفا

لم

لم تجعلوه ومهما تكن لاحد كم عند أحد نعمة لم يبلغ شكرها فالله أحسن لردها أجرا وأجزل عليها حظا واعلموا ان أفضل المال ما أكسب حمدا وأعقب أجرا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما عظمت نعمة الله تعالى عند أحد الا كثرت حوايج الناس اليه فمن مل تلك الحوايج فقد عرض تلك النعمة للزوال (قال ابن العربى) قلت لبعض أشياخى أوصنى فقال اقطع علائق الدنيا عنك الا مالا غنى لك عنه وتأهب لامر لابد لك من المصير اليه واعرف الحق لغيرك يعرفه لك ولا يقف بك التخيير عن أمرين الا أخذت أقربهما الى التقوى

﴿فصل﴾

(من المنقول فى تأليف نامقالات الادباء) قال بزرجمهر لابنه يابنى كن من الكريم على حذران أهنته ومن اللئيم ان اكرمته ومن الفاجران عاشرته ومن الاحمق ان مازحته ومن العاقل ان احرجته وكن حذرا كانك غر وكن فطنا كانك غافل وكن ذاكرا كانك ناس (وقال بعض الحكماء) فى وصية لا تطلب من صاحبك خلقا واحدا وهو ذو طبائع أربع فان فى تكليف هذا نحو جا من العدل الا ترى ان الله سبحانه شوق الجنة الى خلقه بضروب متفاوتة وأشياء متباينة فقال عز وجهه فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وقال فيهما فاكهة ونخل ورمان وقال وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون فوصف جل ثناؤه ضروبا مختلفة مما فيها ليميل كل فريق لما اشتهى منها (وقال بعض الحكماء) فى وصية اذا أعجبك ماتواصفه الناس من محاسنك فانظر فيما بطن من مساويك ولتكن

معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح الناس لك (وأوصى) الاشعث ابن قيس لبنيه فقال يا بنى ذلوا فى أعراضكم وانخدعوا فى أموالكم ولتخف بطونكم من أموال الناس وظهوركم من دمائهم فان لكل امرئ منكم تبعة واياكم وما يعتذر منه ويستحيي فانما يعتذر من ذنب ويستحيي من قبيح وأصلحوا أموالكم بجفوة السلطان وتغير الزمان وكفوا عند حاجة أو مسئلة فانه كفى بالرد منعا وأجملوا فى الطلب حتى يوافق الرزق قدرا (وقال) بعضهم فى وصية غافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا تحمل على قلبك هم يوم لم يأت بعد ان يكن من أجلك يأتك الله فيه برزقك ولا تجعل سعيك فى طلب المال أسوة المغرور فرب جامع لبعل حليلته واعلم ان تقتير المرء على نفسه هو توفير منه على غيره (وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه) فى وصية من علم من أخيه مروءة فلا يقبل فيه أقاويل الرجال ومن حسنت علانيته فنحن لسريرته أرجى ألا لا يردن أحدكم يقينه شكا فقال له المسيب بن نجبة ومن ذا الذى يرد يقينه شكا فقال هو من اذا علم من أخيه المروءة الجميلة ثم قيل فيه أقاويل الناس الا وقد يرمى الرامى وقد تزل السهام ويحال الكلام على طريق الشنئان والباطل يبور والله شهيد ألا وان بين الحق والباطل أربع أصابع ووضع يده بين اذنه وعينه وقال الحق هو ان تقول رأيت بعينى والباطل هو أن تقول سمعت بأذنى (وأوصى) ازدشير لابنه فقال يا بنى ان الملك والعدل اخوان لا غنى لاحدهما عن صاحبه فالملك أس والعدل حارس فما لم يكن له أس فهدوم وما لم يكن له حارس فضائع يا بنى اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك

لاهل

لاهل الدين وبرك لمن عناه ماعناك من ذوى العقول (وقال) المنصور لولده يابنى لاتبرم أمرا حتى تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته واعلم ان الخليفة لا يصلحه الا التقوى والسلطان لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الى العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من دونه (وقال ابن عباس رضى الله عنه) لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه وانى والله مارأيت أحدا اسعفته فى حاجة الا أضاء ما بينى وبينه ولا رأيت أحدا رددته عن حاجة الا أظلم ما بينى وبينه (وقال الاصمعى) قال لى الرشيد أول يوم عزم فيه على تأديبى يا عبد الملك أنت أحفظ منا ونحن أعقل منك لا تعلمنا فى ملاء ولا تسرع الى تذكيرنا فى خلاء واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال فاذا بلغت من الجواب قدر استحقاقه فلا تزد واياك والبدار الى تصديقنا وشدة العجب بما يكون منا وعلمنا من العلم ما نحتاج اليه على عتبات المنابر وفى فواصل المخاطبات ودعنا من رواية حوشى الكلام وغرائب الاشعار واياك واطالة الحديث الا أن نستدعى ذلك منك ومتى رأيتنا صادفين عن الحق فارجعنا اليه من غير تقرير بالخطأ ولا اضجار بطول الترداد قال الاصمعى فقلت له يا أمير المؤمنين أنا الى حفظ هذا الكلام أحوج منى الى كثير من البر (قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه) فى وصية لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم ان السماء لا تمطر له فضة ولا ذهبا وليعلم ان الله عز وجل يرزق العباد بعضهم من بعض (وقال) محمد بن حازم الباهلى لابنه يابنى اذا سألت الحوايج فتأمل بها الصباح الوجوه من ذوى العناصر

السنية والشيم المرضية واحذر ذوى الوجوه العابسة والاكف اليابسة أصحاب القراريط وكسبة الدوانيق المعروفين بالضيق المنسوبين الى التدقيق الذين ان سئلوا اضنوا وان أعطوا امنوا فلا تخلقن بالطلب اليهم وجهك ولا تدنس بالسعي اليهم عرضك وعليك بمن أنعم الله على وجهه بالصباحة وعلى كفه بالسماحة فأولئك هم المعروفون بالصبر على ماينوبهم من ملمات الرجال (وقال الشعبى) فى وصية عليك بالصدق حيث تظن انه يضرك فانه ينفعك واياك والكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك واعلم انه لا جنة أوقى من الصدق ولا شئ أقوى من الحق ولا سبيل أخوف من الكذب ولا حادث أقبح من الزور وقد ينتج الله للصادق النجاة العظيمة وان لم ينوها والخلاص من النازلة وان لم يتوهمها (وأوصى) رجل ابنه فقال له يابنى اذا كنت فى قوم فدار بينهم تدبير فلا تعجل بالجواب قبل أن تعرف ماعندهم ولا تتكبر عن متابعتهم اذا ظهر لك الحق فان المتابعة على الصواب أحسن من الابتداء بالخطأ واعلم يابنى ان اصابتك الرأى بعد خطأ القوم أجدلك من اصابتك قبل كلامهم فانه لا يعرف فضل رأيك على غيره الا بعد المعرفة بما عندهم فعند ذلك يستبين القول السديد من السفيه والرأى الرشيد من الكريه ومن استقبل وجوه الآراء علم مواضع الخطأ (ومن وصية بعض الحكماء) اطلب فى الحياة العلم والمال تحز الرئاسة على الناس لانهم بين خاص وعام فالخاصة تفضلك بالعلم والعامة تفضلك بالمال التمس الرفعة بالتواضع والشرف بالدين واستقبل من صلاح نفسك ما يستقبلك فساده ان لم تصلحه صن عقلك بالحلم ومروءتك

بالعفاف

بالعفاف وتجد تلك بمجانبة الخيلاء وخاتمك بالاجمال فى الطلب ان أردت أن لا يصل اليك من أحد شر فلا تعتقد الشر بقلبك ولا تطوعليه سرك وقال التفقد لعيوب الناس يقل تفقد الناس لعيبك تجنب القول فى أخيك خلتين أما الواحدة فلعلك أن تعيبه بشئ هو فيك وأما الاخرى فان يكن الله تعالى عافاك مما ابتلاه فلا يكن شكرك الله على العافية تعييرا لاخيك على البلاء احذر منزلتك من الفساد عند سلطانك بمثل ما اكتسبتها به من الجد والمناصحة واحذر أن يحطك التهاون عما رقاك اليه التحفظ احذر الجاهل وان كان لك ناصحا كما تحذر عداوة الجاهل اذا كان غاشا فيوشك أن يورطك الجاهل بمشورته فيسبق اليك مكر العاقل وتورط الجاهل لا تصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفوائد عمله ومن كانت غايته الاحتيال على مالك واطرائك فى وجهك فان هذا لا يكون الاردىء الغيب سريعا الى الذم اجعل اختيارك للانسان من أفعاله خصوصا لا من أقواله فان كثيرا من الناس أفعالهم رديئة وأقاويلهم سديدة طهر قلبك من دنس البخل بمجانبته وارفع نفسك عن مصاحبة أهله ونزه سمعك عن قبيح ذكره فلا داء أدوأ من البخل ولا حال أنكر من مصاحبة أهله ولا محطة أوضع من الارتسام به اذا أنعم الله عليك بنعمة فيها فضل عنك فاعلم ان فيها نصيبا لغيرك فتسرع الى اخراجه تأمن بغتة الاستدراك

﴿فصل﴾

(لما) حضرت يونان الوفاة أوصى ابنه فقال له يا بنى انى قد وافيت الأجل وقربت من الحتم وانى راحل عنك ومفارقك ومفارق أهل بيتك

واخوتك وقد كانت أحوالكم حسنة النظام وكنت لكم كهفا فى الشدائد وعونا على المحن ومجنا فى الرزايا فعليك بالجود فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب الرئاسة ودرج السيادة وكن حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا واياك والحيدة عن الطريقة المثلى التى عليها مبنى العقل فان من ترك رأى اللب وثمرة العقل تورط فى المهالك ووقع فى مغائص التعب (وأوصى) لقمان ابنه وقد أراد سفرا فقال يابنى اذا سافرت فلا تنم على دابتك فان كثرة النوم عليها يسرع فى دبرها واذا نزلت بأرض مكلئة فأعطها حظها من الكلاء وابدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك فاذا بعدت عليك المنازل فعليك بالدلج فان الارض تطوى بالليل واذا أردت النزول فلا تنزل على قارعة الطريق فانها مأوى الحيات والسباع وعليك من بقاع الارض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها كلاء فانزل بها واذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس وقل رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين واذا أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب وعليك بالسترة واذا ارتحلت من منزل فصل ركعتين وودع الارض التى ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فان لكل بقعة أهلا من الملائكة واذا مررت ببقعة أو واد أو جبل فاكثر من ذكر الله فان البقاع والجبال تنادى بعضها بعضا هل مر بكم اليوم ذاكر الله وان استطعت أن لا تطعم طعاما حتى تتصدق منه فافعل وعليك بذكر الله مادمت راكبا وبالتسبيح مادمت صائما وبالدعاء مادمت خاليا واياك والسير فى أول الليل وعليك بالتغليس والدلجة من وسط الليل الى آخره واياك ورفع الصوت فى سيرك الا بذكر الله وسافر بسيفك وقوسك وتزود معك الادوية تنتفع بها ومن

معك

معك من أصحابك المرضى والزمنا وكن لاصحابك موافقا فى كل شئ يقربك الى الله عز وجل ويبعدك من معصيته وأكثر التبسم فى وجوههم وكن كريما على زادك فيهم واذا دعوك فأجبهم واذا استعانوك فأعنهم واذا استشهدوا بك على الحق فاشهد لهم واجهد رأيك فاذا رأيتهم يمشون فامش معهم أو يعملون فاعمل معهم وان تصدقوا بصدقة أو أعطوا شيئا فاعط معهم واسمع ممن هو أكبر منك وان تحيرتم فى طريق فانزلوا فان شككتم فى القصد فتثبتوا وتآمروا فان رأيتم خيالا واحدا فلا تسئلوه عن طريقكم فان الشخص الواحد فى الفلاة هو الذى حيركم والحاضر يرى مالا يرى الغائب فان العاقل اذا أبصر الشئ عرف الحق بقلبه (وأوصى) بعض الحكماء ابنه فقال يابنى انى أرانى أنقص فى كل يوم والنقص مرقاة للفناء وانك لتشتمل بعد ذلك على أمرى فتعمر منزلى وتتغنى بهدبي وفى ذلك الوقت تحتاج الى مجاهدة ظن الحاسد واجحاف القاصد ورأى المعيب واطراء المتملق وكذب المحروم فان صبرت لها رفقا بالتهاب حسن الروية وسدادا لتدبير فهقرت هذه الجماعة منك حسيرة مدحورة وبعد عن القادح أن يقدح فى شئ من أمرك واعلم ان مالك من مالك أكثر من ما أحرزلك المكانة فى أهل طبقتك فأقمه مقام الشريك الذى تثق بسرعة اجابته وتحمد حسن صحبته ويرى زيادة جاهك ونقصانه بزيادته ونقصانه فلا تسعفن فيه رأيا تصدى لك فانه أجرى عليك منه ولا تجمع بك الرغبة فى الازدياد منه الى الطلب لمحظور عليك فان قليل ماخبث من المال يمحق كثير ما طاب منه واعلم ان الشهوات حلوة الموارد مرة المصادر وان طاعة الرأى مرة المورد حلوة المصدر فتحمل مافى يديها

لما فى غيرها ولا تنس ان التظلم من لم فوقك والرأفة بمن دونك أكبر من صبرك على استعتاب من فوقك واحتمالك لمن ضعف عنك أزيد من احتمالك لمن قوى عليك واعلم ان أضر من عاشرته مغريك ومطريك ومن قصرت همته عن همتك واعلم انك ان ظننت بالشئ أكثر مما فيه قعد بك أحوج ما كنت اليه وان ظننت به دون ما هو فيه تظلمت منك قواه فناسب بعملك طبيعة الزمان ما لم يقدح ذلك فى مروتك ودينك وأخلاقك فاذا بلغ الى هذه الثلاثة تخل عنه ولا تستهن بصغير الخطأ فى كبير العمل واحذر ان تستصغرك عدوا فيه تحمل عليك مكر وهه من زيادة مقداره على تقديرك فيه واعلم ان الزمان الردئ يقلب أعيان المنعم بن الى المنع والاساءة بما يظهر فيه من كفر الاحسان ومقابلة الجميل بالقبيح وينبغى للعاقل أن يخدم فى شبيبته زمان الشيخوخة قبل مجيئه كما يخدم فى الصيف زمان الشتاء قبل هجومه فانه يجمع الحطب وما لا يصل اليه فى ذلك الوقت لصعوبته عليه واجعل حذرك من الناس أكثر من رجائك لهم وتحرزك منهم أكثر من استئنافك اليهم واذا ضاق عنهم وفرك فليسعهم بشرك واعلم ان تكبر الحر على من فوقه وتكبر النذل على من دونه وينبغى أن تخاف الضعيف اذا كان تحت رأيه الانصاف أكثر من خوفك القوى تحت رأيه الجور فان النصر ربما أتاه من حيث لا يشعر واعلم ان احتمال المكاره فى هذا العالم والصبر على المحن كراء للحياء وخرج يلتزمه العاقل لايام البقاء واعلم ان من غلب الشباب ومساعدة الحظ ولم يثنياه عن الامور الفاضلة فهو القوى ومن تصور صدره فى ورده وجعله نصب عينيه ونجى فكرته فهو السعيد النجيب ومن قضى ما أسلف اليه من الاحسان فهو تام الحرية

الحرية واعلم ان الميل الى الراحة غفلة عن عدو لا يغفل وان من ضعف لمره
لم يقو لشيء من أمره وان الاحرار تخاف التبكيت كما تخاف العبيد الضرب
واعلم ان أعظم الفاقات فاقة الرجل الى حاشيته وان الخيار يرغبون عند
الحاجة والشرار يرغبون في الحاجة والشهوة وان سياسة الغني للفقير أشد
من سياسة الملك للرعية وان الجدة لا تكاد تهدى الى صاحبها صديقا فيه
خير والشدة لا تكاد تهدى الى صاحبها صديقا فيه شر واعلم ان المعروف
ذخيرة لا يحتاج صاحبها الى حراس فما اشمر الشكس بالتواضع والمهين
بالتآمر والبخيل بالمسامحة والسخي بالرغبة اليه ولا تغفلن في كل الاحوال
عن ثمرة حسن المداراة واعلم ان أضيق المشاهد مكان لم تجد فيه معينا لك
ولا مشيرا عليك وأخوف المسالك حال حسنت فيها مفارقة حريتك وجميل
أوصافك وتعبدت فيها الرذائل وأسوأ المجاورين لك مخالط يحرف
حسنك ويحسد فضلك ويتتبع غوائلك واذا حاولت أمرا فلا تجمع اليه
ولا ترمه فأ كثر جهدك وكن فيه مثل الملاح في قطع عرض البحر يسرق له
الرياح والجرية واستعمل الاخلاص لله تعالى فيما عجزت عنه لانه ربما
كان الاعراق في الامر سببا الفواته والاخطار بصاحبه فيه واعلم ان للجاه
زكاة تجب على صاحبه وهي السعي في انصاف المظلوم وقضاء حاجة
المستور وتقريب النجح ممن عجز جاهه وعزت عليه مطالبه فهذه تربه
وتزيد فيه واعلم ان الدهر حاملك على طبقات منها حال السخاء حتى تدنو
من السرف ومنها حال الاقتصاد حتى تدنو من البخل ومنها حال الاناءة
حتى تدنو من البلادة ومنها حال المناهدة للفرصة حتى تدنو من الطيش
ومنها حال الزلاقة في اللسان حتى تدنو من الهذر ومنها حال الاخذ بحكم

الصمت حتى تدنو من العين وأنت جدير أن تبالغ فى كل طبقة حدها فى محاسنها فاذا وقفت على الحدود التى لا تجاوز معها امنعت نفسك ما وراء ذلك واعلم انك بعين الله فى تصرفك وتقلبك وانه مطلع على خائنة قلبك وما عقدت عليه نيتك فخف خلافه وادم على طاعته يجمع لك بين احسانه لك فى الدنيا ورضاه عنك فى الآخرة وأنا أسئل الله أن يرشدك و يحسن الاختيار انه سميع الدعاء قريب الاجابة (وأوصى بعض العلماء) ابنه فقال له اعلم يا بنى ان الادب أفضل الاثاث وان المروءة أفضل الميراث والادب زينة الحسب وصلة فى المجالس وأنس فى الوحدة وعون فى المروءة وانما المرء بمروءته وأصل المروءة اجتناب المرء ما يشينه واختياره ما يزينه ولا مروءة لمن لا أدب له ولا أدب لمن لا عقل له ﴿قال الشاعر﴾

وما أدب الانسان شئ كعقله * وما عقله الا بحسن التأدب

فواظب يا بنى على طلب الادب جهدك واشغل به عقلك وتدبر منه فى الخلا ما يزينك فى الملا ﴿قال الشاعر﴾

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

وقد رسمت لك يا بنى رسما ان لزمته أجلك الملوك وانقاد لك السوقة والصعاليك يا بنى أول ما أوصيك به تقوى الله تعالى والشكر له فى السر والعلانية وامتثل قول الشاعر

ليس الظريف بكامل فى ظرفه * حتى يكون عن الحرام عفيفا
فاذا تورع عن محارم ربه * فهناك يدعى فى الانام ظريفا

واعلم يا بنى ان الشكر مزاد والتقوى خير زاد ﴿قال الشاعر﴾

ولست

ولست أرى السعادة جمع مال * ولكن التقي هو السعيد
فتقوى الله خير الزاد ذخرا * وعند الله للأتقى مزيد
وما لابد أن يأتي قريب * ولكن الذي يمضي بعيد

يا بني اذا اجتمعت عليك أشغال جمة فابدأ بأحبها الى الله عز وجل وأحمدها عاقبة ففي ذلك (قال الشاعر)

اعمل وأنت من الدنيا على حذر * واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدمت من عمل * محصى عليك وما خلفت موروث

واعلم يا بني ان الصبر أفضل الاعمال وأحصن المعاقل فعليك بالصبر على طاعة الله عز وجل على ما أحب الناس أو كرهوا فقد قال الشاعر

صبرت ومن يصبر يجد غب صبره * ألذ وأحلى من جنى النحل في الفم

يا بني استغن عن الناس جهدك يحتاج الناس اليك واعلم ان أغنى الناس عن الناس من أفرد الله بحاجته وما استغنى أحد بالله الا افتقر الناس اليه قال الشاعر

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز في اليأس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم * ان الغني من استغنى عن الناس

يا بني لا تزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف فكم من طالب كان مطلوبا اليه وراغب صار مرغوبا ما لديه واعلم ان الزمان ذو ألوان ومن يصحب الزمان يرى الهوان وكن كما قال الشاعر

وعد من الرحمن فضلا ومنة * عليك اذا ما جاء للعرف طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لا تدرى متى أنت راغب
رأيت النوى هذا الزمان بأهله * وبينهم فيه تكون العجائب

يا بنى اذا فعلت معروفا فلا تمن به فان المنة تهدم الصنيعة وتحبط الاجر وتسقط الشكر ولذلك قال الشاعر

فلا تك منانا بخير فعلته * فقد يفسد المعروف بالمن صاحبه

وكن يا بنى أحسن ما تكون فى الظاهر حالا أقل ما تكون فى الباطن مالا واعلم ان الكريم قد كرمت عند الحاجة طبيعته وظهرت عند الافتقار نعمته قال الشاعر

ولا عار ان زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل

يا بنى عليك بالوفاء فانه يدعو الى التقى واعلم انه لا يتم كرم المرء الا بحسن وفائه ولذلك قال الشاعر

ان الوفاء بعهد الله عادتنا * ولا يفى بعهود الله كذاب

يا بنى اذا وعدت أحدا عدة فتممها وعجل بها واياك أن تقول لا فيما قلت فيه نعم وامتثل قول على بن أبى طالب رضى الله عنه

ولا أقول نعم وأتبعها بلا يوما * ولو ذهبت بالمال والولد

يا بنى خذ فى أمورك بالاناءة وحسن التثبت تسلم من عتاب الاخوان عند عواقبها كما قال الشاعر

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

يا بنى اذا ائتمنك أحد على أمانة فاله عن ذكرها حتى تسلمها مصونة الى أهلها وفى ذلك قال الشاعر

واذا ائتمنت على الامانة فارعها * ان الكريم الى الامانة راعى

يا بنى الق صديقك وعدوك بوجه الرضى وكف الاذى من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وكن فى الامور متوسطا فان خير الامور أوساطها وكن

للاخوان

للاخوان فى الحضر وللرفقاء فى السفر قال الشاعر

وكنت اذا صحبت رجال قوم * صحبتهم وشيمتى الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم * وأجتنب الاساءة ان أساؤا
أشاء سوى مشيئتهم فآتى * مشيئتهم وأترك ما أشاء

يا بنى أكرم عرضك وصنه جهدك واجعل مالك وقاية لعرضك واجعل عرضك وقاية لدينك وكن كما قال الشاعر

أقى بمالى عرضى لا أدنسه * لا بارك الله بعد العرض فى المال
أحتال فى المال ان أودى فاكسبه * ولست للعرض ان أودى بمحتال

يا بنى كن حذرا كانك غر وكن ذاكرا كانك ساه وكن فطنا كانك غافل فان اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل واذا اعتذر اليك أحد من قول بلغته عنه أو سمعته منه فاقبل معذرته ولا تدع صلته فتكون قد جعلت صديقا عدوا وفى ذلك يقول الشاعر

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

يا بنى كن جوادا بالمال فى موضع الحق بخيلا بالسر على جميع الخلق فان من تمام كرم الحر القيام بالبر والبخل بكتوم السر كما قال الشاعر

أجود بمضنون البلاد وانني * بسرك عمن رامنى لضنين
وان ضيع الاخوان سرا فاننى * كتوم لاسرار العشير أمين
وعندى له يوما اذا ما ائتمنته * مكان بسوداء الفؤاد كنين

يا بنى اذا التبس عليك أمر فشاور لبيبا واذا أرسلت رسولا فليكن حليما فان لم يكن حليما فكن رسول نفسك فان مشاورة اللبيب قوة لرأيك وحلم رسولك حزم فى أمورك وفى ذلك قال الشاعر

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه
وان باب أمر عليك التوى * فشاور لبيبا ولا تعصه

يا بنى اذا استشارك عدو أو صديق فامنحه النصيحة فان فعلت قلت بالحكمة وبرئت من التهمة وفى ذلك قال الشاعر

أشر اليوم علينا بالهدى * فتى يستشار الحر يشر

ولا تدع يا بنى مواصلة الكريم وفر الفرار كله من اللئيم فانه لا يستقيم لك وده الا من حاجته اليك أو فرق منك فان استغنى عنك كان عليك واذا احتجت اليه هنت عنده قال الشاعر

ان من أحوجك الدهر اليه * وتعلقت به هنت عليه
ليس بصفو ودمن واخيته * ان تعرضت لشئ فى يديه

يا بنى عليك بالصدق فانه زين فى الدنيا ونجاة فى الآخرة وصدق يعطب صاحبه خير من كذب ينجو به كاذبه وقد قال الشاعر

ان خير المقال ما وافق الحق * وان قط فيه حبل الوريد
ولقط الوريد فى الحق خير * من دراك المنى على التفنيد

وجنب الكذب فانه شين فى الدنيا ووبال فى الآخرة والكذوب يرد صدقه كما يرد كذبه وعليك بالسخاء واكتساب الحمد والمداراة عن العرض وخذ بقول زهير

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

واعلم يا بنى ان بر الوالدين حين الطاعة لهما وبرهما ميتين الترحم عليهما والكف عن أعراض الناس صيانة لاعراضهما قال الشاعر

وما عق مولود من الناس والدا * عقوق الذى يجنى لوالده شتما

يا بنى

يابني لاتستخف بحقوق الرجال فيستخفوا بحقك واقبل منهم الجميل وكافئ عليه فانك اذا فعلت ذلك دام لك حمدهم وصفا لك ودهم وخذ بقول الشاعر

خذ العفو واصفح عن أمور كثيرة * ودع كدر الاخلاق واعمد لما صفا
وباغي عدو كاشح قد علمته * فكنت كمن أغضى بعين على قذى

يابني اذا أحببت فلا تفرط واذا أبغضت فلا تشطط وقد قال الشاعر

وأحبب اذا أحببت حبا مقاربا * فانك لاتدرى متى أنت قاطع
وأبغض اذا أبغضت بغضا مقاربا * فانك لاتدرى متى أنت راجع

يابني وان سمعت كلمة حاسد فكن كانك غير شاهد قال الشاعر

اعرض عن العوراء ان أسمعتها * واقعد كانك غافل لاتسمع
ودع السؤال عن الامور وبحثها * فلرب حافر حفرة هو يصرع

يابني اذا نازعتك نفسك الى أمر هو لك شائق فخوفها المقت وعاتبها على ما به طالبتك فان لم ينفعها كتابك فكيف ينفعها كتاب غيرك وفى ذلك قيل

وليس عتاب الناس للمرء نافعا * اذا لم يكن للمرء لب يعاتبه

يابني اياك والبخل فانه لوم وصاحبه مذموم واياك والمطل فانه أجلب للذم من البخل قال الشاعر

اذا اجتمع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل
فلا خير فى وعد اذا كان كاذبا * ولا خير فى قول اذا لم يكن فعل

يابني لاتنقل غيبة فتكسب بها شتيمة مع ان من عرف بها تحفظ من مجالسته وزهد فى مواصلته قال الشاعر

ان الكريم الذى تبقى مودّته * ويحفظ السر ان صافا وان صرما
ليس الكريم الذى ان زال صاحبه * بث الذى كان من أسراره علما

يابنى لاتعب أحدا بما يبدو لك من عيوبه فاذا هممت بذلك فاذكر عيوب نفسك فانك ترى ما يشغلك عن عيوب الناس فان عبت أحدا بما فيه كان ذلك قبيحا وأقبح منك أن تعيبه بما فيك وفى ذلك قال الشاعر

اذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم * فلا عيب الا دون ما منك يذكر
فان عبت قوما بالذى هو فيهم * فذلك عند الله والناس منكر
وان عبت قوما بالذى فيك مثله * فكيف يعيب العور من هو أعور

يابنى اياك وقرين السوء فانما اصلاح أخلاق المرء بمقارنة الكرام وفسادها بمحادثة اللئام وانما يعرف المرء بقرينه وخدينه قال الشاعر

عن المرء لاتسئل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتدى

يابنى اياك وكثرة الكلام والمزاح والضحك فان مع كثرة الكلام الزلل والمزاح يورث البغضاء وكثرة الضحك يذهب البهاء فأقلل من الكلام وأفش السلام وليكن ضحكك تبسما ولا تمازح شريفا فيحقد عليك ولا وضيعا فيجترئ عليك قال الشاعر

واياك اياك المزاح فانه * يجرئ عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

والزم الصمت وليكن كلامك بتقدير وصمتك فى تفكير وحصل القول وترسل فيه ومن اكثر أهجر قال الشاعر

وأقلل اذا ما قلت قولا فانه * اذا قل قول المرء قل خطاؤه

يابنى لاتمازح حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واعلم

ان

ان المراء يمرض قلبك ويضعف رأيك ويزرى بمروءتك عند جلسائك ويفسد الصداقة القديمة وفى ذلك قال الشاعر

فاياك اياك المراء فانه * الى الشر دعاء وللشر جالب

واعلم يا بنى ان من الكلام ما هو أحر من الجمر وأمر من الصبر وقد قال الشاعر

النار أبلغ أوجاع سمعت بها * والقول أبلغ من كى المسامير

يا بنى ان لكل مقام مقالا ولكل كلام جوابا وكل كلام منكر الا وجوابه أنكر وقد قال الشاعر

ما أحر الكلام يرحمك الله * ولكن أحر منه الجواب

يا بنى لا تغترن بالمال فانه كالمسافر يحل ويرحل واعلم ان العقل مقيم لا يبرح ومثل من له مال ولا عقل له كرجل له نعل ولا رجل له ومثل من له عقل ولا مال له كرجل له رجل ولا نعل له فان آتاه الله بالنعل فالرجل مهيأة له وان أتى بنعل من لا رجل له فانما هى أعجوبة فى الناس قال الشاعر

اذا كنت ذا عقل ولم تك ذا غنى * فأنت كذى رجل وليس له نعل

وان كنت ذا مال ولم تك عاقلا * فأنت كذى نعل وليس له رجل

يا بنى اذا أتيت بلدا أهلها على غير ما تعرف فاترك كثيرا مما كنت تعرف وخذ بما يعرفون فان ذلك من حسن المداراة وكثير من دارى فلم يسلم فكيف بمن لم يدار قال الشاعر

يا ذا الذى ليس له والد * يمشى على الارض ولا والده

قد مات من قبلهما آدم * فأى نفس بعده خالده

ان جئت أرضا أهلها كلهم * عور فغمض عينك الواحده

يا بنى كن من الحليم على حذر ان أحرجته ومن اللئيم ان أكرمته ومن الاحمق ان مازحته ومن الفاجر ان عاشرته واعلم ان من الناس من يقول ويفعل ومنهم من يقول ولا يفعل ومنهم من لا يفعل ولا يقول وهو خيرهم وشرهم الذى يقول ولا يفعل يا بنى اغض عن الفكاهات من المضاحك والحكايات ولا تحدث أحدا اعجابك بولدك وزوجتك ولا اعجابك بسيفك ولا فرسك واياك وأحاديث الرؤيا فانها تطمع فيك السفهاء فيولدوا لك الاحلام ويفسدوا فى عقلك ولا تلبس من الثياب مشهورا ولا تتخذ من الدواب مطورا ولا تتصنع تصنع المرأة ولا تتبذل تبذل العبد وتوق الكحل والاسراف فى الدهن ولا تلح فى الحاجات ولا تخضع فى الطلبات واياك أن تعلم أهلك وولدك كثرة مالك أو قلته فانهم ان علموا قلته هنت عليهم وان علموا كثرته لم تبلغ به رضاهم يا بنى أخف أهلك وولدك فى غير عنف وارفق بهم فى غير ضعف ولا تر زوجتك حب الافراط فتجترئ عليك ولا ترها بغضا فتنفر منك وأحب ولدك وأحسن أدبه ولا تهازل أمتك ولا عبدك يا بنى اذا خاصمت فدع الحدة وفكر فى الحجة واصبر ان خصمك ولا تغضب فتذهل عن حجتك وأر الحاكم بينكما حلمك ولا تكثر الاشارة بيدك وان قربك سلطان فكن منه على حد السنان وان أمن اليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبى وكلمه بما يشتهى واياك أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وحشمه وغلمانه وان كان لقولك فيهم مطيعا فان أهل الملوك أصحاب خلوتهم وبطانتهم يحضرون لك فى موضع يشربونه الوقيعة فيك ويولدون فى

فى صدره ما يغيره عليك وان الدخول بين السلطان وأهله زلة لا تقال يا بنى اذا ركبت فلا تكثر من ضرب دابتك ولا تخفق بقدميك فى ركابك واذا سايرت موكبا فكن فى وسطه ولا تكن أمام القوم فتثير الغبار عليهم ولا خلفهم فيثيروا الغبار عليك يا بنى لا تفرش عرضك لمن هو دونك ولا تنقض عهدا فتحمل بذلك حقدا وأقلل الكلام على الطعام الا بالحمد لله وكذلك عند الخلاء يا بنى اتق الله يكفيك ما تخافه وتتقيه واحذر ان تعصيه فانه ليس لك من ورائه وزر ولا من دونه معتصم واياك والفجور بحرم الناس فانه ما انتهك امرؤ حرمة الا ابتلى فى حرمه بمثله واياك والخمر فانها متلفة للمال طلابة لما لا ينال وفيها مفسدة للعقل وسقوط الهيبة والبهاء واياك والاختلاف فانه ليس معه ائتلاف ولا يكن لك جار السوء جارا ولا خدين السوء زوارا

﴿فصل﴾

كان مما حفظ من مكاتبة ازدشير بن بابك الى خواص رعيته وعماله من ازدشير بهمن ملك الملوك الى الكتاب الذين هم تدبير المملكة والفقهاء الذين هم عماد الدين والاساودة الذين هم حماة الحرب والحراث الذين هم عمدة البلاد سلام عليكم نحن بحمد الله صالحون وقد رفعنا أتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا ونحن كاتبون اليكم بوصية فاحفظوها لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو ولا تحبوا الاحتكار فيشملكم القحط وكونوا لابناء السبيل مأوى تأووا غدا فى المعاد وتزوجوا فى الاقارب فانه أمس للرحم وأقرب للنسب ولا تركنوا الى الدنيا فانها لم تدم لاحد ولا تهتموا بها فلن يكون الا ما شاء الله ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة

لاتنال الابها (وكتب) ملك الروم الى سابور بن ازدشير (أما بعد) فقد بلغني من سياستك لجندك وضبطك ماتحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما أحببت ان أسلك فيه طريقتك وأركب مناهجك (فكتب) اليه سابور نلت ذلك بثمان خصال لم أهزل فى أمر ولانهى قط ولم أخالف وعدا ولا وعيدا وجازيت للغنى لا للهوى واجتلبت قلوب الناس مقة بلامقت وخوفا بلا جرءة وعاقبت للذنب لا للغضب وعممت بالقلوب وحسمت الفضول (وكتب) سابور الى بعض عماله اذا استكفيت رجلا فاسن رزقه وشد بصالح الاعوان عضده وأطلق بالتدبير يده ففى اسناء رزقه حسم طمعه وفى تقويته بالاعوان ثقل وطأته على أهل العدوان وفى اطلاق يده بالتدبير ما أخافه عواقب الامور ثم قف من أمره على ماله ندبته ليمتثله أماما ويحفظه كلاما فان وقع أمره بما قدرسمت فاجعله غرضك وأوجب زيارته عليك وان حاص عن أمرك فالقه حجتك وانطلقت بالعقوبة يدك (وكتب) هرمز بن سابور الى بعض عماله انه لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وابرام الامور وتدبير الاقاليم الارجل تكاملت فيه خمس خصال فهم يتيقن به عند موارد الامور حقائق مصادرها وعلم يحجبه عن التهور فى المشكلات الاعند تجلى فرصها وشجاعة لاتنقضها الملمات بتواتر حوائجها وصدق الوعد والوعيد ليوثق بوفائه بهما وجود يهون عليه تبذير الاموال فى حقها (كتب) حكيم الى حكيم (أما بعد) فانى سائلك عن ثلاثة ان أجبت عنها تلمذت لك (فكتب) اليه سل وبالله التوفيق فكتب اليه أى الناس أولى بالرحمة ومتى تضيع أمور الناس وبم تتلقى النعمة من الله عز وجل

(فأجابه)

(فأجابه) أولى الناس بالرحمة الرجل البر يكون فى بلد الامير الجائر فهو خائف حزين لما يرى و يسمع والعاقل فى تدبير الجاهل فهو الدهر متعب مغموم والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع ذليل وتضيع أمور الناس اذا كان الرأى عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه وتتلقى النعمة من الله تعالى بكثرة شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فأقبل عليه ذلك الحكيم فتلمذ له حتى مات (وكتب) أيضا حكيم الى حكيم يشكو اليه دهره (فأجابه) أما بعد فانه ليس من أحد أنصفه زمانه فتصرفت به الحال حسب استحقاقه وانك لن ترى من الناس الا أحد رجلين اما متقدم أخره حظه أو متأخر قدمه حظه فارض بالحال التى أنت عليها وان كانت دون أملك فان رضيت بحالك اختيارا والا رضيت بها اضطرارا وفى مثل ذلك قال الشاعر

لقد غرت الدنيا رجالا فاصبحوا * بمنزلة ما بعدها متحول
فساخط عيش لا يبدل غيره * وراض بعيش غيره سيبدل
وبالغ أمر كان يأمل دونه * ومختلج من دون ما كان يأمل

(وكتب) ملك عصره الى بعض الحكماء ان اكتب لى بأشياء أنتفع بها وأوجز فكتب اليه أوفق الامور ترك الفضول والتحفظ من السقوط ولزوم الصواب وأصل المعيشة اصلاح المال بالتقدير فان التبذير مفتاح الفقر ومن العجز والتوانى تنبعث الهلكة وأحوج الناس الى الغنى من لم يصلحه الا الغنى وفى المشورة والعدل صلاح الرعية ورضى الناس غاية لا تدرك والبر أجمعه فى حسن الخلق والنجح مع الصبر والنجاة مع الايمان والعفو

لاتنال الابها (وكتب) ملك الروم الى سابور بن ازدشير (أما بعد) فقد بلغني من سياستك لجندك وضبطك ماتحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما أحببت ان أسلك فيه طريقتك وأركب مناهجك (فكتب) اليه سابور نلت ذلك بثمان خصال لم أهزل في أمر ولانهي قط ولم أخلف وعدا ولا وعيدا وجازيت للغنى لا للهوى واجتلبت قلوب الناس مقة بلامقت وخوفا بلا جرأة وعاقبت للذنب لا للغضب وعممت بالقوت وحسمت الفضول (وكتب) سابور الى بعض عماله اذا استكفيت رجلا فاسن رزقه وشد بصالح الاعوان عضده وأطلق بالتدبير يده ففي اسناء رزقه حسم طمعه وفي تقويته بالاعوان ثقل وطأته على أهل العدوان وفي اطلاق يده بالتدبير ما أخافه عواقب الامور ثم قف من أمره على ماله ندبته ليمثله أماما ويحفظه كلاما فان وقع أمره بما قد رسمت فاجعله غرضك وأوجب زيارته عليك وان حاص عن أمرك فاقته حجتك وانطلقت بالعقوبة يدك (وكتب) هرمز بن سابور الى بعض عماله انه لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وابرام الامور وتدبير الاقاليم الا رجل تكاملت فيه خمس خصال فهم يتيقن به عند موارد الامور حقائق مصادرها وعلم يحجبه عن التهور في المشكلات الا عند تجلي فرصها وشجاعة لا تنقضها الملمات بتواتر حوائجها وصدق الوعد والوعيد ليوثق بوفائه بهما وجود يهون عليه تبذير الاموال في حقها (كتب) حكيم الى حكيم (أما بعد) فاني سائلك عن ثلاثة ان أجبت عنها تلمذت لك (فكتب) اليه سل وبالله التوفيق فكتب اليه أي الناس أولى بالرحمة ومتى تضيع أمور الناس وبم تتلقى النعمة من الله عز وجل

(فأجابه)

(فأجابه) أولى الناس بالرحمة الرجل البر يكون فى بلد الامير الجائر فهو خائف حزين لما يرى و يسمع والعاقل فى تدبير الجاهل فهو الدهر متعب مغموم والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع ذليل وتضيع أمور الناس اذا كان الرأى عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه وتتلقى النعمة من الله تعالى بكثرة شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فأقبل عليه ذلك الحكيم فتلمذ له حتى مات (وكتب) أيضا حكيم الى حكيم يشكو اليه دهره (فأجابه) أما بعد فانه ليس من أحد أنصفه زمانه فتصرفت به الحال حسب استحقاقه وانك لن ترى من الناس الا أحد رجلين اما متقدم أخره حظه أومتأخر قدمه حظه فارض بالحال التى أنت عليها وان كانت دون أملك فان رضيت بحالك اختيارا والا رضيت بها اضطرارا وفى مثل ذلك قال الشاعر

لقد غرت الدنيا رجالا فاصبحوا * بمنزلة ما بعدها متحول
فساخط عيش لا يبدل غيره * وراض بعيش غيره سيبدل
وبالغ أمر كان يأمل دونه * ومختلج من دون ما كان يأمل

(وكتب) ملك هنرالى بعض الحكماء ان اكتب لى بأشياء أنتفع بها وأوجز فكتب اليه أوفق الامور ترك الفضول والتحفظ من السقوط ولزوم الصواب وأصل المعيشة اصلاح المال بالتقدير فان التبذير مفتاح الفقر ومن العجز والتوانى تنبعث الهلكة وأحوج الناس الى الغنى من لم يصلحه الا الغنى وفى المشورة والعدل صلاح الرعية ورضى الناس غاية لا تدرك والبر أجمعه فى حسن الخلق والنجح مع الصبر والنجاة مع الايمان والعفو

يوجب المحبة والحلم قائد القلوب والرفق بالرعية يوجب الطاعة والفتنة ينشئها الضغائن والنعمة تستدام بلزوم الشكر مع اطراح الهوى والمعاصى (وكتب) أكثم بن صيفى فى وصية لطى أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم وايا كم ونكاح الحمقاء فان نكاحها غرر وولدها ضياع وعليكم بالخيل فأكرموها فانها حصون العرب ولا تضعوا رقاب الابل الا فى حقها فان فيها ثمن الكريمة ورقوء الدم وبألبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير ولو أن الابل كلفت الطحن لطحنت ولم يهلك امرؤ عرف قدره والعدم عدم العقل والرجل خير من ألف رجل ومن عتب على الدهر طالت معتبته وآفة الرأى الهوى والعادة أملك والحاجة مع المحبة خير من البغضة مع الغنى والدنيا دول فما كان لك أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك والحسد داء ليس له دواء والشماتة تعقب البكاء ومن ير يوما يربه وقبل الرمى تملأ الكنائن والندامة مع السفاهة ودعامة العقل الحلم وخير الامور مغبة الصبر وبقاء المودة عدل التعاهد ومن يزر غبا يزدد حبا والتغرير مفتاح البوس ومن التوانى والعجز نتجت الهلكة ولكل شئ ضراوة فوضرلسانك بالخير وعى الصمت أحسن من عى المنطق والحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت وكثير النصح يهجم بك على كثير الظنة ومن الحف فى المسئلة ثقل ومن سأل فوق قدره استحق الحرمان والرفق يمن والخرق شؤم وخير السخاء ما وافق الحاجة وخير العفو ما كان بعد القدرة (وقيل) ان زبيدة زوجة هارون الرشيد كتبت الى منصور بن عمار (أما بعد) فكيف يقف ذو اللب على ما ينفعه وكيف يجتنب ما يضره فكتب اليها (أما بعد) فمن أبصر عيب

نفسه

نفسه شغل عن عيب غيره ومن تعرى عن لباس التقوى لم يستتر من اللباس ومن رضى برزق الله تعالى لم يحزن على ما فى يدى غيره ومن سل سيف البغى قتل به ومن احتفر بئر الاخيه وقع فيها ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن نسى زلته استعظم زلة غيره ومن كابد الامور عطب ومن اقتحم اللجج غرق ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن فجر عليهم قصم ومن سفه عليهم شتم ومن خالط الارذال حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن تهاون بالدين ارتطم ومن اغتنم أموال الناس افتقر ومن انتظر العاقبة اصطبر ومن خشى الله فاز ومن لم يجرب الامور قتل ومن صارع أهل الحق صرع ومن احتمل مالا يطيق عجز ومن كثر غلطه كثر سقطه ومن عرف أجله قصر أمله ومن استفاد الجهل فقد ترك طريق العدل (فكتبت اليه) أما بعد فانا قد وقفنا على عيوب النفس فكيف لا نقف على عيوب الدنيا (فكتب اليها) أما بعد فان الدنيا من طلبها طلبته ومن داهنها كلمته ومن صادقها اقتلته ومن اطمأن اليها خذلته ومن رفضها رفضته ومن تركها ولم يخدمها خدمته استحسنها من جهلها واستنكرها من عرفها نجاء الناجون عند ادبارها وهلك الهالكون عند اقبالها فالعاقل يجعل الزهد حسامه والحق سهامه والورع قوسه والنصيحة درعه والقنوع رمحه وكتاب الله عز وجل حماه والرفق مركبه والعقل تجافيفه والعمل عدته والآمال بأسه والنية جنته والصمت ترسه والتقوى طايعته وخشية الله تعالى حصنه والسلام (وكتب) يوسف ابن اسباط الى حذيفة المرعشي أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله والعمل

بما علمك الله والمراقبة حيث لا يراك الا الله والاستعداد لما ليس لاحد فيه حيلة ولا تنفع الندامة عند نزوله واحسر عن رأسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة الموتى وشمر للسباق غدا فان الدنيا ميدان المتسابقين ولا تقعد عن أظهر النسك وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوف (واعلم) يا أخي انه لابد لي ولك من المقام بين يدي الله تعالى فيسألنا عن الدقيق والخفي وعن الجليل والجافي ولست آمن أن يسألني واياك عن وساوس الصدور ولحظات العيون والاصغاء الى الاستماع وما عسى ان يجزه مثلي عن وصف مثله واعلم يا أخي ان ما وصفوا به منافقوا هذه الامة انهم خالطوا أهل الدنيا بأجسامهم وطابقوهم عليها باهوائهم وخضعوا لما طمعوا في نائلهم وسكتوا على ما سمعوا من باطلهم وفرحوا بما رأوا من زينتهم وظاهر بعضهم بعضا بالقول والفعل ولهم من الظاهر واعمال السر الحامد والرياء فقد صرنا في زمان هذه صفة أهله الا من شاء الله وفقنا الله واياك لما يحب ويرضى والسلام (وكتب) سلمان الفارسي الى أبي الدرداء أما بعد فانك لن تنال ما تريد الا بترك ما تشتهي ولن تدرك ما تأمل الا بالصبر على ما تكره فليكن كلامك ذكرا وصمتك فكرا ونظرك عبرة فان الدنيا تتقلب وبهجتها تتغير فلا تغتر بها وليكن بيتك المسجد والسلام (فاجابه أبو الدرداء) أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله وان تأخذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك واذكر حياة لاموت فيها في احدى المنزلتين اما في الجنة واما في النار فانك لا تدري الى أيهما تصير والسلام (وكتب) بعض الزهاد الى أحمد بن حنبل أما بعد فمن أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته ومن

أصلح دنياه أصلح الله آخرته ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما ليس فى نفسه أساء الله به ظنهم ومن خاف الله خافه كل شئ ومن خاف غير الله وكله الله الى نفسه والبهم ولن يغنوا عنه من الله شيأ فالهرب الهرب والنجاء النجاء واياك أن تقنع بما تؤوه باسمك فى الخلق فانك لن تنجوا من الله الا باداء فرائضه ولا تقرب ولا تحبب اليه بمثل النصح فعليك بالنصح له وقل الحق فان الحق قديم ولا تدع أن تصل الى منك موعظة يحلى بها قلبى ويقشعر منها جلدى وتذرف بها عيناى فالست بمستغن عن علمك ورأيك نفعنا الله لنا ولك بخير وما ترك عبد شيأ من مخافة الله الا عوضه الله خيرا منه وفى الله خلف من كل هالك وعوض من كل فائت وأنس من كل وحشة وغنى من كل عدم وعزاء من كل مصيبة فبالله نثق وعليه نتوكل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿فصل﴾

(كتب) على بن أبى طالب رضى الله عنه الى ولده الحسين من عبد الله على أمير المؤمنين الوالد الفانى المقر للزمان المستسلم للحدثان المدبر العمر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الى الولد المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك عرضة الاسقام ورهينة الايام وعبد الدنيا وتاجر الغرور وأسير المنايا وقرين الرزايا وصريع الشهوات ونصب الآفات وخليفة الاموات أما بعد يا بنى فان فى ما تفكرت فيه من ادبار الدنيا عنى واقبال الآخرة الى وصنو الدهر على ما يزعنى عن ذكر من سواى والاهتمام بما ورائى غير انه حيث تفرد بى هم نفسى دون هم الناس وصدقنى هواى صرح بى محض رأيى فأفضى بى الى جد لا يزرى

به لعب وصدق لا يشوبه كذب وجدتك يا بني من بعضي بل وجدتك
من كلي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني وحتى كأن الموت لو أتاك أتاني
عناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي كتبت اليك كتابي هذا يا بني ان
بقيت أو فنيت فاني أوصيك بتقوى الله عز وجل وعمارة قلبك بذكره
والاعتصام بحبله فان الله يقول واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته
اخوانا وأي سبب يا بني أوثق من سبب بينك وبين الله عز وجل أحي قلبك
بالموعظة ونوره بالحكمة وقوه بالزهد وذلله بالموت وقرره بالفناء وحذره
صولة الدهر وتقلب الليالي وأعرض عليه أخبار الماضين وسر في ديارهم
وآثارهم فانظر ما فعلوا وأين حلوا فانك تجدهم قد انتقلوا من دار الغرور
ونزلوا دار الغربة وكأنك عن قليل يا بني قد صرت كأحدهم فبع دنياك
بآخرتك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والامر
فيما لا تكلف ومر بالمعروف بيدك ولسانك وكن من أهله وأنكر المنكر
بيدك ولسانك وباين من فعله وخض الغمرات الى الحق ولا تأخذك في الله
لومة لائم واحفظ وصيتي ولا تذهب عنك صفحا فلا خير في علم لا ينفع واعلم
انه لا غنى بك عن حسن الارتياد مع بلاغك من الزاد فان أصبت من أهل
الفاقة من يحمل عنك زادك فيوافيك به في معادك فاغتنمه فان أمامك
عقبة كؤدا لا يجاوزها الا أخف الناس حملا وأجمل في الطلب وأحسن
في المكتسب فرب طلب قد جر الى حرب وانما المحروب من حرب دينه
والمسلوب من سلب يقينه واعلم انه لا غنى بعدل الجنة ولا فقر بعدل النار
والسلام عليك ورحمة الله (وقال رضي الله عنه)

صن

صن النفس واحملها على مايزينها * تعش سالما والقول فيك جميل
ولاتر ين الناس الا تجملا * نبابك دهر أوجفاك خليل
فان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد * لعل صروف الدهر عنك تزول
ولاخير في ود امرئ متلون * اذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد اذا استغنيت عنه بماله * وعند احتمال النائبات بخيل
فما أكثر الاخوان حين تعدهم * ولكنهم في النائبات قليل

(قال كميل ابن زياد) أخذ على رضى الله عنه بيدى فاخرجنى الى ناحية الجبانة فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها يا كميل احفظ عنى ما أقول الناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع لكل ناعق أتباع يميلون مع كل ريح لم يستضيؤا بنور العلم ولن يلجؤا الى كل وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق يا كميل محبة العلم دين يدان به يكسبه العلم الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته ومنفعة المال تزول بزواله والعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل مات خزان المال والعلماء باقون مابقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة ثم قال هاان ههنا علما وأشار الى صدره لو أصبت له حملة بلى أصبته لقنى غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعم الله على معاصيه أو منقادا لحملة العلم لابصيرة له فى انحائه يقدح الشك فى قلبه بأول ناعق من شبهة ألالاذا ولاذاك أفمن هومنهوم باللذات سلس القياد الى الشهوات ومغرم بالجمع والادخار وليس من دعاة الدين أقرب شبها به الانعام كذلك

يموت العلم بموت حامليه ثم قال اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم بحجة اما ظاهرا منشورا واما خافيا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وميثاقه وكم وأين أولئك الاقلون عددا والاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه حتى يودعها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الامور فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى يا كميل أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة الى دينه هاه هاه شوقا اليهم والى رؤيتهم وأستغفر الله لنا ولهم انصرف اذا شئت (واذ قد تضمنت هذه الوصية ذكر العلم وتعليمه وحملته) فلنذكر العلوم الضرورية على الانسان وما يلزم تبديته وتقديمه منها فى تعلمه لها وأجعل ذلك خاتمة كتابى هذا تيمنا وتبركا بذكرها وتحريضا على تعلمها ونشرها لتعظم بها الفائدة وتكمل فيها العائدة والى الله سبحانه أبتهل فى حسن العون والتأييد والتوفيق والتسديد

﴿فصل﴾

قال الامام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن اسحق الحافظ رحمة الله عليه اعلم ان أحق ما يلزم المرء تبديته وتقديمه تعلم القرآن فان الله تعالى يقول ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الآية وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين فى كثير من الآيات يكثر تعدادها ففيه والحمد لله الهدى الساطع والنور اللامع وشفاء الصدور ومراهم القلوب سراج لا يخبو ضياؤه وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه وبحر لا يدرك غوره المانع من الهلكة والبوار والدال

على

على سبيل الجنة والنار من رزق علمه استغنى به عن كل علم ومن علمه وتعلمه تعلم خير العلوم وأفضلها وهو أقرب ما يتقرب به العباد الى ربهم عز وجل (عن الحارث الاعور) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمتك ستفتتن من بعدك فسأل رسول الله أو سئل ما المخرج منها قال كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من ابتغى العلم فى غيره أضله الله ومن ولى هذا الامر من جبار فحكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل وهو الذى سمعته الجن فلم تتناه أن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به لا يخلق على طول الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجائبه ثم قال للحارث خذها يا أعور فمن تعلمه فليصبر على ما يعرض له دون تعلمه ولا يكن همه فى تعلمه اقامة حروفه دون القيام عند حدوده وليحذر من أن يتكبر فيه أو يأكل به ولا يترك قراءته ودرسه ليبقى له حفظه ولا يغفل عن القيام به فى الليالى ويستعين على تحفظ القرآن بقراءته ودورامع الاصحاب والرفقاء ثم ليبحث عن علومه ومعانيه وليحذر الكلام فيه بغير علم وليحذر أن يتوانى فيه وينساه (عن سعيد بن عبادة رضي الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يتعلم القرآن ثم ينساه الا لقى الله يوم القيامة أجذم (قال الحسن) قراء القرآن ثلاثة أصناف صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم واستدروا به الولاة كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله وصنف عمدوا الى دواء القرآن فوضعوه على داء

قلوبهم فركدوا به في محاربهم وحنوا به في برانسهم واستشعروا الخوف وارتدوا الحزن فأولئك الذين يسقى الله بهم الغيث و ينصر بهم على الاعداء والله لهذا الضرب في حملة القرآن أعز من الكبريت الاحمر (ثم) الذي يتلو القرآن من العلوم سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فانها الحكمة قال تعالى وما ينطق عن الهوى وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فمن أراد حفظ الاحاديث التي في الاصول الصحاح فليكن في طلبه للحديث محتسبا صادق النية فان أهل الحديث خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته من بعده (عن ابن عباس رضي الله عنه) قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ارحم خلفائي قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي و يعلمونها الناس (فاذا) أحرز صدرا من علم سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فليأخذ في علم الفرائض فانه ثالث علوم الدين وعليه المعول في قسمة المواريث بين المسلمين (و) المختار من علم الفرائض مذهب زيد بن ثابت الانصاري (عن عبد الله بن عمر) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فضل آية محكمة وسنة قائمة وفريضة عادلة (فاذا) أحكم علم الفرائض فليأخذ في الفقه فانه علم الحلال والحرام وهو عصمة في الدين وزينة في الدنيا و بحسب الفقيه من المدحة قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين (و) الذي يستحب للمتعلم من مذاهب الفقهاء مذهب أهل المدينة والحجاز (عن معاوية بن أبي سفيان) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخير

عادة

عادة والشر لجاجة ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين (ثم) يتلو الفقه من العلوم علم العربية والنحو لانه آلة لجميع العلوم لا يجد أحد منه بدا ليقيم به تلاوة كتاب الله ورواية كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لكيلا يخرجه جهل الاعراب الى اسقاط المعانى (عن عمر رضى الله عنه) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رحم الله امرأ أصلح من لسانه (و) ليأخذ بحظ من علم الغريب ومعرفة اختلاف اللغات ففيه اذراب اللسان وفصاحة المنطق ومعرفة المشكل وبيان الغامض (عن عطية السعدى) قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أناس من بنى سعد بن بكر فأتيته فقال ما أغناك الله فلا تسئل الناس شيأ فان اليد العليا هى المعطية وان اليد السفلى هى المعطاة وان مال الله مسؤل ومنطى فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا (ثم) ليعرف طرفا من الشعر فانه ديوان العرب وموروث فى الاعقاب والاخلاف باق مدحه وذمه لازم خيره وشره وفيه الشاهد الحاضر والمثل السائر والذم والامتداح والشرح والافصاح وبيان غريب القرآن ومعانى سنن الرسول عليه السلام (عن عائشة رضى الله عنها) قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة (ثم) ليتعلم طرفا من الانساب لما فى علمه من اتصال الانسان ومعرفة الاسلاف وفضائل الاشراف وبه تواصل الارحام ويتوارث بنو الاعمام (عن أبى هريرة) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل مثراة فى المال منسأة فى الاثر (ثم) يتلو ما ذكرنا من معرفة علم الانساب علم الطب فانه علم الابدان وجوامع الطب

حفظ الصحة وتدبير الامراض وشفاء الاسقام قد نطق به القرآن ودلت عليه السنة وافتقر الى أهله جميع الامة (عن أبى سعيد الخدرى) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من داء الا أنزل معه دواء علمه من علمه وجهله من جهله (ثم) يتلو الطب الخط والكتابة فانه سفير العقل وبه كمال الفضل ورباط علوم الدين والدنيا وبه تحفظ الآثار وتنفسح الابصار (عن أنس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتابة (ثم) ليتعلم عبارة الرؤيا فانه علم نبوى وبشرى علوى (عن عبادة بن الصامت) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة (ثم) ليتعلم الحساب لانه علم لاغنى عنه فيه خير الدنيا والدين ثابت الدلائل واضح البراهين به تحفظ الاموال وتقسم المواريث (عن العرباض بن سارية) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب (ثم) الذى يتلو الحساب الذرع والمساحة وهما من نتائج الحساب (عن أبى سعيد الخدرى) ان قتيلا أو ميتا وجد بين قريتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيسوا فانظروا الى أيهما أقرب فكأنى أنظر الى شبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقاه الى أقربهما (فاذا) تعلم ما ذكرنا من العلوم فلا بأس أن يتعلم من جليل علم النجوم ومعرفة أعيان الكواكب ما به يعلم عدد السنين والشهور وأوقات الصلاة ومجارى الاهلة وساعات الليل والنهار والبرارى والبحار قال الله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقال سبحانه الشمس والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقال وكل فى فلك يسبحون

يسبحون وقال والسماء ذات البروج وقال هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب (وعن عبد الله بن أبى أوفى) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والاظلة لذكر الله (قالت الحكماء) العلم كثير والعمر قصير فاطلب منه ما دعاك الى خير وحملك على بر (وقالوا) اقصد من أصناف العلم ما هو أشهى الى نفسك وأخف على قلبك فان نفاذك فيه على حسب شهوتك له وسهولته عليك (وقالوا) الماء ألين من القول والحجر أشد من القلب والماء اذا كثر انحداره عليه لم يلبث أن يؤثر فيه

﴿فصل﴾

وما ذكرنا قبل فهى من أصناف العلوم التى هى من حيز الدين ونتائج العقول وأما العلوم المكتسبة التى هى من محاسن الافعال وتلبس أصحابها ثوب الجمال وهى أيضا مستحسنة فى الدنيا والدين فكالرمى والسباحة والفروسية والثقافة والعلم فى المحاربة (فأما الرمى) فالتشاغل من التجارات المربحة المنجحة (من المنقول) فى تأليفنا تحفة الانفس اعلم ان الترغيب فى الرماية روى عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى وكان عليه السلام يعجبه أن يكون الرجل راميا فارسا سابحا (وقال) عليه السلام علموا أبناءكم الرمى فانه نكاية للعدو وقال عليه السلام لقوم من الانصار رآهم يرمون ارموا يا بنى اسمعيل فقد كان أبوكم راميا وقال عليه السلام من رمى بسهم فى سبيل

الله مخطئا أو مصيبا كان له من الاجر كرقبة اعتقها من ولد اسمعيل وقال عليه السلام ان الله تعالى ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب فى صنعه الخير والرامى له والممدبه (وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه) انه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدى أحدا غير سعد بن أبى وقاص فانه قال له يوم أحد ارم فداك أبى وأمى وفى ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد ولابى طلحة وقتادة وغيرهم من الرماة اثبتوا فلن يزال النصر معنا ما ثبتم وكان عدد الرماة فى ذلك اليوم خمسة عشر راميا (و) الاحاديث فى هذا المعنى أكثر من أن تحصى (ولله) در الشاعر اذ يقول

فمن شاء أن يسلك سبل العناية * ويحصل من عزها فى نهاية
ويحظى بكل ثواب جزيل * فلا يتعد طريق الرماية
فان بها فى الدنار فعة * ونصر الدين نبى الهداية

وقد فضل الله تعالى القوس على جميع الاسلحة (عن) رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما مد الناس أيديهم الى شئ من السلاح الا وللقوس عليه فضيلة (وقال) عليه السلام من اتخذ فى بيته قوسا نفى الله عنه الفقر ما دامت فى بيته وكان صلى الله عليه وسلم يخطب عند الحرب وهو متكئ على قوسه وقال عليه السلام منتهى المؤمن القوس والنبل والقسى جنسان قوس اليد وهى العربية وتنقسم على أنواع وقوس الرجل وهى الافرنجية وتنقسم كذلك على اربعة أنواع فالقوس العربية أنسب للفارس لانها أسرع وأقل مؤنة والقوس الافرنجية أنسب للرجال لانها أبلغ وأكثر معونة ولا سيما فى الحصار والمواكب البحرية وشبه ذلك

وهى

وهي خاصة بأهل الاندلس بها يصيدون وعنها يرمون وفيها يتنافسون وعليها يعتمدون فرسانا ورجالا (وأما السباحة) فهي من الخصال المحمودة (نقل) الامام أبو نعيم بسنده الى أبي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الولد على الوالدان يعلمه كتاب الله والسباحة والرمي (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم لهو المؤمن الرمي والعيامة ومن تركها كانت نعمة جحدها (وقال) عليه السلام كل شئ من لهو الدنيا باطل الاملاعبة الرجل أهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه وتعلمه السباحة (قال) بعض الحكماء من تمام ما يجب للابناء على الآباء تعليمهم الكتابة والحساب والسباحة (وقال) الحجاج بن يوسف لمعلم ولده علم ولدي السباحة قبل تعليم الكتابة فانهم يجدون من يكتب عنهم ولا يجدون من يسبح عنهم (وأما الفروسية) فهي من أفضل الاعمال وأشرفها (ومن) المنقول في تأليفنا تحفة الانفس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير معاش الناس لهم رجل يمسك عنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغي الموت مظانه (قال) عليه السلام طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ان كان في الحراسة كان في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ان استأذن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع وقال عليه السلام ارموا واركبوا وعرضت عليه صلى الله عليه وسلم الخيل وعنده عيينة ابن حصن الفزاري فقال عليه السلام لعيينة أنا أفرس بالخيل منك وقال عليه السلام لو أن هذه الامة أنتهت عندما أموت لا كلوا غير زارعين لان الله تعالى جعل أرزاقها في سنابك خيلها وأسنة رماحها وقال عليه

السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري (وكتب) عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أهل حمص علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية واخشوشنوا وانزوا على الخيل نزوا (ويروى) عنه انه قال لن تزالوا أصحاء ما نزعتم ونزوتم يعني نزعتم بالقسي ونزوتم على ظهور الخيل (وقال) أسلم مولاه رأيت عمر رضي الله عنه يمسك باذن نفسه ثم يمسك باذن فرسه فينزو عليه وكان يقال قديما العز في صدور الصفوف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف والفروسية أفضل مدارجها وأكرم معارجها وارتباط الجياد أعز اعتدادا وأقوى لك استنجادا فبها تشن الغارات وتدرك الثارات فيجب على الفارس أن يشمر عن ساق الجد والعزم ويكشف عن ساق الحذر والحزم ويأخذ نفسه في كل حين بالاستعداد والتأهب للجهاد وينظر قول من عرف الحرب وباشرفيها الطعن والضرب فقال

وأعددت للحرب أوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

قال بعض السلف غزا المسلمون أرض الروم فرفارس منهم الى جانب صومعة راهب فقال الراهب يا صاحب الفرس أمن المتطوعة أنت أم من أهل الديوان فقال بل من المتطوعة قال له ومالك والديوان فانا نجدهم في بعض كتبنا انهم عدة الله في الارض (عن ابن عباس رضي الله عنه) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مثل الذين يغزون من أمتي ويأخذون الجعل وينفقونه على عدوهم كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها (قال ابن محيريز) أصحاب العطاء أفضل من المتطوعة لما يروعون (وقال مكحول) روعات البعوث تنفي روعات يوم القيامة

(قال

(قال الطرطوشي) اعلم ان الجند هم عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحوزة والدافعون عن العورة وهم جنن الثغور وحراس الارض والعدة للحوادث وامداد المسلمين والجهد الذي يلاقي العدو والشوكة عليه والسهم الذي يرمى به والسلاح المدفوع في نحره وبهم يذب عن الحريم ويؤمن السبيل وتسد الثغور قال أبوذر الخشني

بقاء الدين والدنيا جميعا * بكل مقاتل ثبت الجنان
اذا شهدوا الحروب رأيت أسدا * تهش كرامة نحو الطعان
هم بيض وفي الايمان بيض * فما تدري من السيف اليماني

(وأما الثقافة) والعلم في المحاربة فمن الواجب المؤكد تعلمها (من المنقول) في تأليفنا تحفة الانفس اعلم ان الحرب معالمها الصبر وقطبها المكر ومدارها الاجتهاد وثقافها الاناءة وزمامها الحذر ولكل شيء من هذه ثمرة فثمرة الصبر التأييد وثمرة المكر الظفر وثمرة الاجتهاد التوفيق وثمرة الاناءة اليمن وثمرة الحذر السلامة (وقالوا) جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها النصر فاذا قاتلت فلا تبذل مهجتك وقوتك من أول وهلة لئلا يأتي معظمها فتعجز وتكل ولا تنشب في حرب وان وثقت بشدتك حتى تعرف وجه التخلص منها فمن استضعف عدوه فقد اغتر ومن اغتر بقوته فقد وهن والحازم يحذر عدوه على كل حال المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولى (وقد) قالوا التمكن أشد ما تكون من عدوك حذرا ما كنت عند نفسك أكثر قوة وعددا

فليس من القوة التورط فى الهوة (قال هدبة العذرى)

ولا أتمنى الشر والشر تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب
ولست بمفراح اذا الدهر سرنى * ولا جازع من صرفه المتقلب

وقد جمع الله سبحانه تدبير الحرب كلها فى آيتين من كتابه العزيز فقال يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة فقوله عز وجل ما استطعتم مشتمل على ما فى مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبى صلى الله عليه وسلم القوة بالرمى وقد تقدم ذلك عن اسامة بن زيد الليثى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا غزا أخذ طريقا وهو يريد أخرى ويقول الحرب خدعة (وكان) المهلب يقول لبنيه عليكم فى الحرب بالمكيدة فانها أبلغ من النجدة وفسر بعضهم النجدة فقال النجدة هى الجرءة على الاقدام عند ازورار الاقدام (وعن الحسن بن السائب) قال لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه كيف تقاتلون فقام عاصم بن ثابت ابن أبى الأقلح فأخذ القوس وأخذ النبل فقال أى رسول الله اذا كان القوم قريبا من المائتى ذراع أو نحو ذلك كان الرمى بالقسى واذا دنا القوم حتى تنالنا أو تنالهم الرماح كانت المداعسة بالرماح حتى تقصف فاذا تقصفت وضعناها وأخذ السيف فتقلده واستله فقال وكانت المجالدة بالسيوف قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل قتال عاصم (قال عتبة) ابن عبد السلمى أعطانى رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم سيفا قصيرا فقال ان لم تستطع أن تضرب به ضربا فاطعن به طعنا (قال) بعضهم ومن شرط السيف الا يسل الا عند الضرب به وان سل قبل ذلك أورث الجبن وليس فى السلاح ما يجب أن يحذر عند العمل به كالسيف فقد وجد كثير ممن عمل به بغير حذر ولا دربة أصاب اذن فرسه أو عضده وربما أصاب اذن نفسه أو رجله فقطعها أو أثر فيها فينبغى للفارس أن يتمرن فى الضرب به حتى يخف عليه العمل به (وأما الرمح) فينبغى للفارس أن يخففه ما قدر فانه على الخفيف أقوى وله أضبط وبه أحكم وليكن بين الدقيق والغليظ قدر ما لا يعجز عنه الكف ولا تلتقى عليه الانامل فالتوسط هو المحمود بحسب قدر اليد والتمكن من ذلك (قلت) واحكام العمل بالسلاح لا يتساوى الناس فيه بل التفاوت بينهم فى ذلك شديد والتباين فيه بعيد فيجب على العاقل أن يشاهد من أهلها الاعمال ويحاضر بها الرجال ويأخذ بحظ من التمرن فيها مع من يراه أهلا لذلك ممن يصطفيه حتى يعرف كيفية الطعن والضرب والثقافة فى السلاح بالحرب ووجوه العمل فى الكر والفر والامتناع والدخول على المبارزين والخروج عنهم فى المطاعنة والمصاع وملاحظة مواقع السهام وأوقات الاقدام والاحجام واستراق الارض فى المبارزة واستدبار الشمس عند اللقاء والمناجزة والمراوغة والعطف فى القتال ودقائق ذلك ولواحقه عند النزال وترصد غرة العدو فى حال الحركة والعدو من الختل فى تعطيل الرمح عليه أو ملكه على ربه أورده اليه أوخلع عذار الفرس أو قطع عنانه ليشتغل الفارس بأمر فرسه وشأنه فيتمكن منه فى الحين وتظهر الفرصة فيه وتستبين ومن لم يتمرن فى

ذلك فلا تغره نفسه بأن تسلك به هذه المسالك في معرفة ذلك كله وإمعان النظر فيه يتفاضل الفرسان مع الاستثبات وجرءة الجنان وشدة الحذر عند منازعة الاقران ومنازلة الميدان والله جل وعلا في كل حال هو المستعان (قال أبو الطيب المتنبي)

ان السلاح جميع الناس يحمله * وليس كل ذوات المخلب السبع

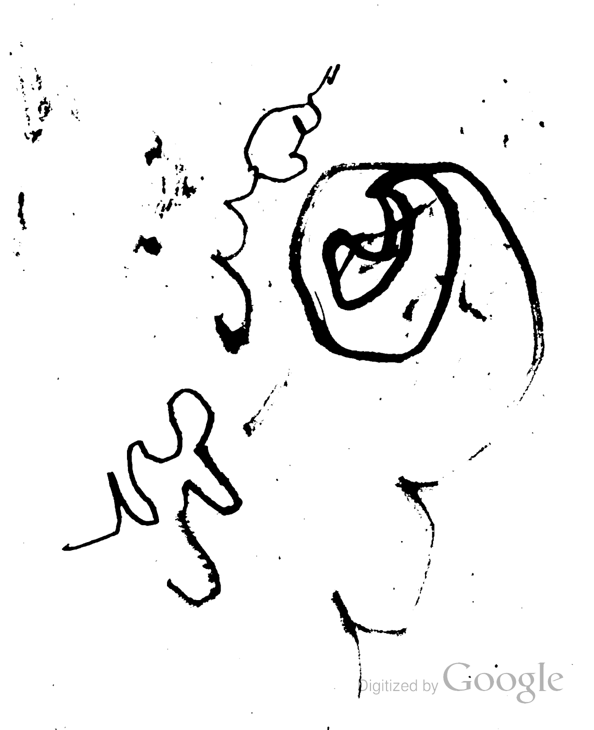
(فهذا) ما كتبه قلم الاستعجال على ضيق المجال اذا الخاطر منقسم بين مراوضة طبع ومحافظة على أصل وفرع ونظر في أمر دين ومسالمة قرين ومداراة حاسد ومدافعة معاند وتأديب ولد وملاحظة عادة بلد وسياسة أهل في استصحاب حلم وعدل وتدبير معاش واعداد رياش واصلاح حال وفكرة في مآل ومعاناة دهر في صروف عام وشهر وفي هذا كله عذران وقع تقصير ولا ينفرد بالكمال الا العليم الخبير سبحانه وتعالى لا رب سواه ولا معبود الا اياه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا (محمد) وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

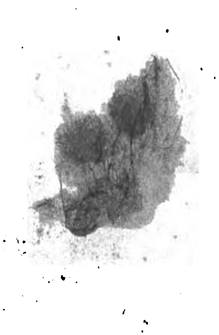
يقول مصححه الفقير الى مولاه مصطفى محمد قشيشة

بحمد الله وحوله تم طبع هذا الكتاب النفيس على أحسن طراز وأجمل منوال مصححا بغاية الضبط والاتقان بالمطبعة الاعلامية لازالت بعين العناية محمية وكان الفراغ من طبعه يوم الثلاثا الموافق للتاسع من ربيع الاول عام ثلاث وثلثمائة والف من هجرة سيد الاولين والآخرين

فهرسة عين الاب والسياسة

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣	١	قضب	قصب
٨	١٩	ماده	عباده
٩	٩	للخيرووبل	للخيرمغلاقاللشر وويل
١٠	٢	أحثى	حى
١٥	٣	اغـاامام أهلك	اغـا أهلك
١٦	٦	بالرضى	فالرضى
١٦	٦	العملك	لعملك
١٧	١٨	مجزع	مجدع
٢١	٢١	عمن	على من
٣٨	٤	الغدر	القدر
٤١	٧	وجدت مافاتك	وجدت ماقاتك
٤٣	[illegible]	قصته	فصنه
٥٥	٣	[illegible]	يمنع
٦٨	٩	[illegible]بات	والشباب
٧٦	١٧	واكبا	[illegible]
١١٣	١٦	حداد	سعداً
١٢٣	٦	التغابن	التغابى
١٨٧	٥	واحكمتكم	واحكمتم
٢٠١	١١	اتقت	أتقنت
٢٤٨	٢٠	يدعن	يدعى
٢٥٣	١٥	يعتابه	يعاتبه







Ibn Hudhayl al-Andalusī
Ayn al-adab wa-al-siy-
āsah wa-zayn al-hasab
wa-al-riyāsah...